

الجزء السابع والثامن — المجلد التاسع عشر



تموز وآب سنة ١٩٤٤ — شهر رجب وشعبان سنة ١٣٦٣

الفصيح والمولد

في كلام أهل الغوطة

– ٧ –

(١٩) أدوات الزينة والأثاث والملبس والخياطة

الحرير · الصوف · الكتان · الوبر · القصب ثياب من كتان ناعمة · كفّ الثوب خاطه الخياطة الثانية · لفقت الثوب ضممت احدى الشقتين الى الأخرى · غبنت الثوب اذا ثنيته ثم خطته ومنه الغَبْنة · شللت الثوب خطته خياطة خفيفة · خبن الثوب ودروزه (معربة) · تلفع الرجل بثوبه تلحف به · الملاءة (الملاية عندهم) · الإزار · الحبرة ج الحبر · رتيت الثوب ولعله من رتاه شده · التف بثوبه وتلفف اشتمل · رفوت الثوب اذا جعلت مكان القطع خرقة واسمها رتوة · فتقت الثوب نقضت خياطته فتقته تفتيقاً فانفتق · لقط الثوب رقعه ورفاه · الأشنان (فارسية) (الشنان عندهم) · الصابون (فارسية) · الصبغ · الطيب تطيب · العطر تعطر · المسك تطيب بالمسك · تلوث الثوب ولوّثه بالطين لطخه · البرنس الجبة · القفطان · العباءة · الصدرة · الحشوة · الظهارة البطانة · المضرَّبة (المضربية) · العروة ج عرى · زيق القميص ما أحاط بالعنق · القماط الخرقة التي يُشدّ بها الصبي في مهده وقمّطه شدّه بالقماط · الكوفية · العقال · العمامة (يطلقون عليها اللفة ويستعملون الفعل تعمم كما يقولون لفّ لفة · الطرحة نوع من قناع النساء والطرحة في القاموس

الطيلسان • القبعة كقبرة خرقة كالبرنس (قاموس) وهم يقولون قبوعة لما يقي الرأس من الشمس والمطر • الشروال بالكسر والشين لغة في السروال ويستعملون أيضاً البنطلون (الأعجمية) في المخصص التكة رباط السراويل وجمعها تكك قال ابن دريد أحسبها دخيلاً وقد استك بها والهميان شداد السراويل احسبه فارسياً معرباً • المدك كمصك لغة في المتك لما يربط به السراويل (التاج) الملقط مايلقط به ومنه ملقط الشعر • جهاز العروس • فرش البيت • السحنة لين البشرة والهيئة واللون • دعك الثوب باللبس ألان خشنته وفي التراب مرَّغه والأديم دلكه اي مرّسه ودعكه • انجرد الثوب انسحق وجرده قشره وجرّده • زغبر الثوب وزئبره ما يعلوه اذا كان جديداً • التخريص والتخريصة بكسرهما بنيقة الثوب معرّب تيريز • العصابة • القناع • البرقع • الخمار • العصبة • القشوة في كتب اللغة هي قفة من خوص لعطر المرأة وقطنها ج قشوات وقشاء ، والقشوة عندهم صندوق صغير ذو أدراج تجعل فيه المرأة ما يصلح ولدها من المراهم والذرور والمساحيق والقطن • المخدّة ج مخادّ • قصرت الثوب قصراً بيضته والقصارة الصناعة والفاعل قصّار • لبس الزّواق لبس لباساً حسناً للعيد ونحوه • زوّقت الشيء حسنته • حوّرت الثياب بيضتها • خططت المرأة وجهها جعلت فيه خطوطاً واخذوا منه الخطوط لمسحوق يلون وجوههن به حفت المرأة وجهها زينته بأخذ شعره وكذلك نتفت ، نتفه فهو منتوف وقصه فهو مقصوص • الخف ج خفاف • السوار • الطوق البخنق الطوق عندهم وفي القاموس البخنق كجندب وعصفر خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقي الخمار من الدهن والدهن من الغبار • المنديل (المحرمة عندهم) القيطان ما ينسج من الحرير والصوف • التاسومة الخلخال (فارسية) الخمار (فارسية) الخزانة ج خزائن ما تودع فيه الثياب • الزر الذي يعلق في العروة والعرى التي تعلق فيها الازرار • ثوب مرحرح واسع منبسط من شيء رحرح ورحاح ورحراح • النعل الحذاء وتطلق على التاسومة • المسواك استاك وساك • ندف القطن وحلجه • الوزرة (بكسر الواو وهم يفتحونها) كساء صغير والجمع وزرات • الخضاب خضب لحيته • المكحلة اداة يوضع فيها الكحل وكحلت الرجل جعلت

الكحل في عينه وهو مكحول . والفاعل كحال . الميل الذي يكحل به البصر . الطرّة الغرّة . السالف ج السوالف . الضفيرة ج الضفائر . ضفر الشعر . شعر معكوف ممشوط مضفور . الفرشاة . الوشم أن يغرز الجلد بابرة ثم يحشى بكحل أو نيل فيزرّق أثره ويخضر (النهاية) . فلان مهندم أي مصلح (فارسية) الزّي (المودة بالدارجة) بطن الثوب جعل له بطانة طرّش الثوب وسخه (سريانية) . حفّ شاربه ورأسه احفاه . شعر حليق ، لحيته حليق ولا يقال حليقة وهم لا يقولونها . حنأ رأسه بالحناء يقولون حنا رأسه بالحناء . الخرز الواحدة خرزة . الابزيم المشد . الحزام . الزنار تزنر . الشال . ربطة الساق . ربطة العنق . الجوارب (الجرابات) . الستارة والجمع الستائر . الصبغة ما يصبغ به وجمع الصبغ اصباغ . الكسوة كسوته ثوباً فاكتسى . اللثام ملثم ملثمة . مرّخ جسده بالدهن ومرّخه . الليفة والليف ، وليفه غسله بالليف . الشاش الشاشية . النضارة . الطلاوة مثلثة : الحسن والبهجة والقبول . يقولون هي مبرشمة بالذهب اي مزوقة به والمبرشم الملوّن . المزوّق المزين والزواق . سيف مُحلى . الحُليّ . المجوهرات . الخاتم . الحلق . طوق لؤلؤ (لولو) المشلح الثوب الذي يلبس الشلحة عندهم . المشط ما يمشط به ومشطت الشعر سرّحته ومشطته ومنه الماشطة التي تحسن المشط يستدعونها في الأعراس لتزيين العروس كما يعهد النساء اليوم الى من تقص شعورهن وتمشطها وتكويها ويسمونها القصاصة . وكن الى عهد قريب يقصدن امرأة تنقش لهن أيديهن وارجلهن بالحناء و « النقوش » ويسمينها النقاشة تلوّن الجلد وتنقشه بأشكال . تقول السيدة لصاحبتها هذا يليق لك وأنت لبقة وهو من لبق به الثوب لاق واللبقة الحسنة الدلّ واللبسة . رجل رشيق ظريف . الجخّ التحول يعطونها معنى الظهور والتزين . البذخ الكبر يطلقونها في مكان الإسراف . التجمل . فلان عليه مسحة من الجمال اي ظاهر منه . الخضاب . الاستحمام . الفندرة التزين واستجادة الثياب وفي التاج الغُندور كزنبور الغلام الناعم الحسن الثياب والعامة تفتحه .

(٢٠) المكاييل والموازين والمقاييس

المثقال · الأوقية ج اواق · الأقة ج الأقق · الرطل · الكيلو · الليتر · المتر · (أعجمية) · القيراط · الدرهم · الجفت (تركية بمعنى زَوْج) او مدٌّ مزدوج او مدان · القنطار · المكيال · الكيل من اكتال ومنها الكيلة أيضاً والكيال · طف المكيال امتلأ الدَّورق مكيال للشراب وأراه فارسياً معرَّباً (المختار) · القبان ، القباني ، القبانة (القبونة عندهم) · المُدّ · الصاع · المَسحة · التبنية · القسطاس · القاموع مجموعة من جُرُز القنب يسند بعضها الى بعض على شكل هرمي ، وما رأيت له تخريجاً مقبولاً · الشَّقلة هي قدر ما يرفع الانسان من الأرض قيل انها سريانية والثقل الأخذ وقيل الوزن يقولون راز الشقلة اي اختبر ثقلها ووزنها او رفعها لينظر ثقلها من خفتها · وشيء رزين ثقيل · الغرارة شبه العدل والجمع غرائر وتطلق علي مقدار من الحبوب قد يكون ثمانين مداً المشال (بفتح الميم) ما تقوى الدابة على حمله من الأثقال من شال الحجر وشال به رفعه فانشال · الميزان ج موازين ، وزن الشيء فهو وازن والوزّان صانعه وشال الميزان اذا اخفت احدى كفتيه فارتفعت ونقيضه طبش وليس لهذا الفعل ذكر في المعاجم · صنجة الميزان (معرب) الرَّشم وضع طابع على صُوبة الغلة وفي القاموس رشم كتب كرشم الطعام ختمه قال الجوهري والروشم اللوح الذي تختم به البيادر بالسين والشين جميعاً · الصوبة ما يجمع من الحبوب يحرفونها فيقولون صُبة والصوبة الكدسة من الحنطة والتمر وغيرهما · ضِعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله · العيار المقدار المعلوم عيرت الكيل او الوزن مثل عايرت · السحتوت يريدون به الشيء القليل وفي الأمهات السحتوت القليل من الدسم او الثوب الخلق · النمط · الصنف النوع وتصنيف الشيء جعله أصنافاً وتمييز بعضها عن بعض · الوتيرة الطريقة · مزته فصلته عن غيره · الشبر كيل الثوب بالشبر والذَّرع كيله بالذراع يقولون فلان يقص ويشبر من عقله · وكان الباع والذراع من جملة المقاييس · الوسق حمل البعير وسقه حمّله · ثقل فهو ثقيل وللأثقال الأحمال الثقيلة · خفَّ فهو خفيف · قاسه بغيره وعليه

يقيسه قيساً وقياساً واقتاسه قدّره على مثاله فانقاس والمقدار مقياس (قاموس)
القدُّ القدّر ج قدود الطول. العرض . المستطيل . العمق . السعة . المدى مدّ
البصر . المديد : الممدود . طول الإنسان ومد يديه . الُخطوة (بضم الخاء وفتحها)
ما بين القدمين ، والقدم من جملة ما يقيسون به الأرض كالخطوة . ويستعملون اسم
الفرسخ والميل والكيلومتر وليس لهم أرض متسعة حتى تقاس بهذه المقاييس الكبيرة .
والفدّان من الأرض في مصطلحهم مائتان وأربعون قصبة وطول القصبة تسعة وأربعون
ذراعاً . التربيع جعل الشيء مربعاً . التخميس جعله ذا خمسة أركان . النقصان اسم
للقدر الذاهب من المنقوص . نصف القوم أخذ نصفهم . نصّف الشيء جعله نصفين
وناصفه قاسمه على النصف . الدُزّينة من الفرنسية Douzaine أي اثنا عشر والدستة
من الفارسية وهي الحزمة والقبضة يقولون دستة معالق ودستة فناجين

(٢١) الألفاظ الإسلامية[1]

الايمان العقيدة الدين الديان المؤمن المسلم الاسلام الكافر المنافق الفاسق .
الحمد الزكاة . الصلاة صلاة الجماعة . القضاء والقدر . منكر ونكير . المهاجرون
والأنصار . يأجوج ومأجوج . ليلة القدر . القنوت قنت . السجود سجد . الركوع
ركع . المضمضة الاستنشاق الطهارة الاستنجاء الاستبراء الاستجمار الاغتسال
الجنابة الجنب . نصاب الزكاة . النية الأذان التبليغ التراويح . الوتر . الابتهال
التضرع . كتب الله الصيام أوجبه . كفّره نسبه الى الكفر او قال له كفرت ،
وكفر الله الذنب محاه ، ومنه الكفارة لأنها تكفر عن الذنب وكفر عن يمينه
اذا فعل الكفارة . نكل عن اليمين امتنع منها . الاثم آثم . العبادة العبادات
المعاملات النواهي الزواجر التسبيح الاستغفار الغفران التذكير التهليل التوحيد
التكبير تكبيرة الاحرام . الحرام الحلال الاتكال التسليم التشريق . الكتاب
السنة الواجب الفرض المستحب النافلة الصدقة ج الصدقات . صدقة الفطر . عيد الفطر

(١) يلاحظ ان من هذه الألفاظ ما عرف في الجاهلية بمعنى غير المعنى الذى صار لها في الاسلام
ومنها ما وضع في الاسلام لمعنى خاص .

عيد الأضحى ، عاشوراء الحقيقة الشريعة الشرع الطريقة المذهب ، المسح ، الوضوء
أقام الصلاة الإقامة ، الافطار الامساك ، الباطل ، الحق المباح ، المندوب ،
اسماء الله الحسنى ، المكروه ، نواقض الوضوء ، مبطلات الصلاة ، التيمم ، الختان
الحيض الطهر الاستحاضة ، استقبال القبلة ، التشهد ، ترتيب الأركان ، صلاة التطوع
صلاة كسوف الشمس صلاة خسوف القمر ، قضاء الصلاة ، الامام المأموم ،
سجدة التلاوة سجدة الشكر سجود السهو ، صلاة العصر ، قضاء الفوائت ، صلاة
الجنازة ، الهبة ، الصداق ، المهر ، النكاح ، الطلاق ، الخلع ، العتق العدة ، النفقة
المرأة ، الناشز ، الحضانة ، التهجد ، التزهد ، الدية ، دار الاسلام ، دار الحرب ،
اهل الحرب اهل الذمة ، الذمي الذميون ، الجالية العشر العشور الخراج الجزية ،
الامامة الخلافة ، اهل الحل والعقد ، الجهاد ، الفيء الغنيمة حد الزنى حد الخمر ، المظالم
التحبيس الوقف التحكير التسبيل ، الوسيلة التوسل الشفاعة الشفيع شفع ، جامد ،
مجتهد ، الغيبة ، النميمة ، القذف الرجم القطيعة الاعتكاف ، القيامة ، الحشر ،
النشر ، النشور البعث ، الصراط ، المعجزة ، الكرامة ، الوحي ، الغيب عالم الغيب
والشهادة ، علام الغيوب ، النذر ، ليلة القدر ، البراق ، السحت الحرام العرش الكرسي
الباقيات الصالحات ، عمل صالح ، جل جلاله ، جلال الله ، الجامع المسجد المصلى ،
استجاب الله دعاءه ، تجاوز الله عنه عفا ، راقب الله تعالى خافه ، المجاورة الاعتكاف
في المسجد ، المحلل في النكاح الذي يتزوج المطلقة ثلاثاً حتى تحل للزوج الاول ،
المتعة ان تتزوج امرأة تتمتع بها أياماً ثم تخلي سبيلها ، المستحب المكروه ، الترتيل ،
الربا ، الرحمن الرحيم القرآن ، الفرقان ، حي على الصلاة ، اسباغ الوضوء إتمامه ،
شعائر الله ، اعمال الحج ، حدود الله وكل ما جعل علماً لطاعة الله تعالى ، الشفع
ضد الوتر ، الشهيد الشاهد التشهد ، الثواب العقاب ، اللوح المحفوظ ، المناسك الحج
العمرة (قال الزجاج معنى العمرة في العمل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا
والمروة مأخوذة من الاعتمار وهي الزيارة) ، الداران الدنيا والأخرى او دار الدنيا
والدار الآخرة ، حق اليقين ، الالحاد ، التعطيل ، الزندقة ، البقاء ، الخلود ، التنزيل ،

التثليث ، حمس وتحمس تشدد وتصلب في دينه ، ضلّ الضلالة ، اهتدى الهداية ، سبحل ، حوقل ، روح القدس ، العزائم الرُّقى ، اولو العزم من الرسل الذين عزموا على امر الله فيما عهد اليهم (القاموس) من الأنبياء اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية

(٢٢) اسماء وأفعال مختلفات

فقر وافتقر قلّ ماله . فهو قليل . القلة الفقر . عسّ ومنه العسس للحارس . القوّال المغني وهو في اصطلاحهم الرجل الذي ينظم الشعر العامي ويتغنى به والقوّال في الشام كالزجال في مصر . أقام بالموضع اتخذه وطناً فهو مقيم . عاقه وعوّقه منعه . قهره غلبه . كبة من الغزل وخصلة من الشعر . الجيفة (الميتة) الشق والشّق انفراج في شيء . الضريح اللحد لحده دفنه . اعوج الشيء اعوجاجاً اذا انحنى من ذاته فهو فهو معوج . العيال أهل البيت ومن يمونه الانسان والواحد عيّل مثل جياد وجيّد كثر الشيء وكثرته را كثرته واستكثرته عددته كثيراً . كرب فهو مكروب أي مهموم والاسم الكربة . كرّر الشيء أعاده مراراً والاسم التكرير . كسرته فانكسر وكسّرته فانكسر وكسرته تكسيراً فتكسر والكسير القطعة من الشيء المكسورة ويقولون لها الكسارة ، والكسرة من الخبز . موت احمر يوم أسود بخت اسود . عدو أزرق . مقته أبغضه أشد البغض . انبهته من نومه ونبهته . أججت النار وأضرمتها ألهبتها ونار جاحمة وهيج النار سطوع لهبها وكل ما سطع فقد وهج . هجت النار اشتد استعارها . شببت النار اوقدتها ويقولون ولع النار ولم ادر له أصلاً . البصبص لمعان النور ومنها البصة لقطعة من النار تلمع من بص لمع وبرق . الشرر والشرارة ما يتطاير من النار ، الوقيد الوقود ، لوّحه احماه ، الضوء الضياء ضاءت النار اضاءت لمع الشيء لمعاناً اضاء ، لسان النار شعلتها ، غاب الشيء بعد فهو غائب والجمع غُيب وغُياب ، فاح المسك اذا انتشرت ريحه ، بلي الميت أفنته الارض بلاه الله بخير أو شر يبلوه بلواً وابلاه بالألف وابتلاه ابتلاء بمعنى امتحنه والاسم بلاء ، نقفه بظفره ضربه ، عضضت اللقمة وبها وعليها امسكتها بالأسنان ، عطب هلك ومنه العطب وسريع العطب ، الدلاك السحق ، البيطار المطار ، السمسار السقاء الجمال

الحمال الدلاّل ، الصراف ، جبروت جبار ، العفريت الداهية وتعفرت اذا صار كالعفاريت ، شيطن وتشيطن اذا فعل فعل الشيطان ، الجن ، الانس ، النحس ، السعد السعادة ، الشقاء الشقاوة ، بينهما مناقرة ونقار مراجعة في الكلام ، نكشه ، خنقه اذا عصر حلقه حتى يموت ، رجل خبْر ذو خبر ، الدبغ المدبغة الدباغة الدباغ ، الصُنان الرائحة الكريهة او رائحة الابط خاصة . زحزحه فتزحزح باعده . الزوج الفرد اسم لعبة عندهم وكذلك الكجة وكجّ بها لعب . الرمص ما تجمع في زوايا العين من مادة . وصلت اليه اصل وصولاً ، ووصل الخبر بلغ . تولد الشيء عن غيره نشأ عنه . هش لان واسترخى فهو هش . وسخت الثوب وتوسخت يده تلطخت بالوسخ وهو ما يعلق الثوب وغيره من قلة التعهد . نظف الشيء نقي من الوسخ . لبدت الشيء تلبيداً الزقت بعضه ببعض حتى صار كاللبد ، اللبادة . لحقته أدركته . لصق الشيء بغيره مثل لزق . ألهاني الشيء شغلني . عرّجت عنه اذا عدلت عنه وتركته . القبر ج القبور ، المقبرة ج المقابر . صعد نزل . صففت الشيء فهو مصفوف . صقل السيف جلاه ، اضمحل ذهب وامحى . سحبه على الأرض جرّه . حاد عن الشيء والطريق يحيد اذا عدل يقولون حِدْ عنه او حوِّد عنه اي اتركه . الجلة (مثلثة الجيم) البعر او البعرة او التي لم تكسر . حميت الحديد فهي حامية اذا اشتد حرها . أقفلت الباب وسكرته رددته . العشى العشاء بالكسر ج اعشية طعام العشى . معك ، مرت ملّس شطف . السندان كور الحداد . المغتسل للموتى المغسلة لغسل الثياب والاصواف . كبّ الاناء كفأه . قش الدار كنسها . حلّ الحبل . خطف الأكل . خُرافات يفتحون خاءها وهي مضمومة . الخيال الحلم ج أحلام . شمت الشماتة وفي أمثالهم : «كبر البيدر ولا شماتة العدى» الحجيرة الحجر الحجارة التحجير . ذكره وذكّره . اليأس ، البطش ، اللبط ، الرش ، الريش . كشر عن أسنانه ابدى . خاب ومنه خيبة الله عليه . الخام الجلد لم يدبغ او لم يبالغ في دبغه . الرّجم القبر . تاه في الأرض ذهب متحيراً ، الانحدار . جفّ ثوبه . المخزوم المحروم . الدبر مخففاً الظهر . السواد الشخص . الشبح الشخص . السخن الحار سخُن يسخن سخونة وتسخين الماء وماء مُسخن . سوّف التسويف . الشؤم مشؤم ومشوم . الشاعر الشعر فلان

يشعر يقول الشعر · الصئبان بيض القملة (الصيبان عندهم) الشوط الطلق · المشيئة الارادة · صان الشيء صياناً وصيانة فهو مصون ولا تقل مصان · المصاب مفعول من أصابته مصيبة والمصيبة واحدة المصائب · صدف الدرة غشاؤها الواحدة الصدفة · المتصدق الذي يعطي الصدقة تصدق عليه · الصلب والصليب الشديد · استقله عده قليلاً · كدّه أتعبه · النقيصة العيب · انقطع الحبل قطع الشيء وتقطع · العود من الخشب واحد العيدان · التعويق التعوّق · التثبيط ثبطه · قحل الشيء يبس فهو قاحل · استظل بالشجرة استذرى بها · فيأت الشجرة نفيئة صارت ذات فيء وتفيأت انا في فيئها وتفيأت الظلال تقلبت · كل هذا مستعمل ولكنّ بدون همز · ضمن كتابي اي في باطنه · طرق طارق إذا جاء ليلاً · انطمس امحى واندرس · طم دفن وسوّى · الطوية الضمير · الطيش النزق والخفة · الطفيف القليل · العتيق المزمن · العثّ واحدتها العثة · السوسة التي تلحس الصوف · عجيب عجائب الأعجوبة تعجب منه واعجبني · عج عجيجاً العجاج الغبار والدخان والعجاجة وعجت الريح عجعجت البيت دخاناً فتعجج · عفره في الترب مرّغـه · العقبة واحدة عقبات الجبال · قوّم الغصن اجعله مستقيماً · الكآبة الانكسار من الحزن · عروة القميص والكوز · عراه واعتراه غشيه · اعراه وعرّاه فتعرى · نقش الشوكة من رجله وانتقشها نتشها استخرجها يقولونها بالكاف نكش · هدّته المصيبة اوهنت ركنه · الروّاس بياع الرؤوس · الترّاس صانع الترسة واحدها ترس · القزاز صانع القز أي الحرير · القصار اللبان النحاس المبيض الدهان النقاش الطيان · رحل عن مكانه حاص حوله حام · قش وقشش أكل من هنا وهنا والشيء جمعه يقولون فلان يقشقش الباقي من الطعام · الفادر القطعة من كل شيء يقولون الفادار · استفرد فلاناً انفرد به · مغط مده يستطيله والمغط من شيء لين كالمصران فامتغط وامغط (قاموس) · تأله يعطونها معنى تعاظم وتأله تعبد وتنسك · نفس فرّج والنفس يقولون كذا نفس اي شخص · وشيء نفيس يتنافس فيه ويرغب · طاس يطيس كثر يقولون الحبّ طيس واللبن طيس اي كثير · اللخن قبح الكلام يشتقون منه فعلاً ويقولون يلخن لفلان بالكلام اي يكلمه كلاماً قبيحاً مورياً له · تأفف · التشبث التعلق ·

ومن تحريفاتهم القريبة المأخذ الفطر ضرب من الكمأة قتال بلفظونه بالكسر وهو الفُطُر بضمتين . ويقولون الأصيل للقصيل الحشيش المقصول او مجزوز الزرع وهو مقبل نام كما حرفوا اسم عربيل فقالوا عربين بالنون . والمنيحة فقالوا المليحة وعين ترما فقالوا عين ترما . وجعفيل فقالوا جعفير وقد مرّ ؟ وبرتقال فقالوا البرتقان . ويقولون شرشر بوله ، وأصلها شلشل فرّق . اللِّثة يقولون اللثة يشددونها وهي مخففه . نفث الدم يلفظونها بالسين نفس . وحرفوا النارف فقالوا الضرف لهذا الوعاء من الجلد الذي تجعل فيه السوائل ومن أمثالهم : « هلي بيصير له لبن الضرف يغرف غرف » يقولون نبت دبلان وزهر دبلان بالدال وهي بالذال ذبلان او ذابل . نوّز قلل يقولون نوّس الضوء اي قلل من اضاءته . غثت نفسه غثياناً اضطربت حتى تكاد تتقيأ من خلط الى فم المعدة ، يقولون غتيت روحي بالتاء . يقولون فلان ينتظر فلاناً على عترة (بالتاء) محرفة عن عثرة والعثرة المرة من العثار . درّع في السباحة أي اتسع وهي بالذال ذرّع . يقولون عبيت الشيء اي وضعته في الوعاء والأصل فيها عبأت أعبؤه . بحثر فرّق يوردونها بالتاء بدل الفاء . بؤبؤ العين (البوبو في نطقهم) . الناطور حافظ الكرم وغيره قيل انه من السريانية ولا ما يمنع مجيئه من العربية ناظور بالظاء والناظورة والمناظر والمنظرة حرفوها الي منطرة كما حرفوا الظهر الى ضهر والظل الى ضل وخط الثلث الى السلس . وقلب الظاء طاء او ضاداً والذال دالاً والفاء سيناً او تاء والقاف ألفاً كثير في لهجتهم

ومما سرى الى كلامهم الفاظ تركية استعملوها مع الألفاظ العربية القديمة ومنها ما حرفوه عن أصله ومنها ما نطقوا به صحيحاً مثل البوق استعملوا معها بوري . الجيش وقالوا اردو وحرفوها فقالوا العرضي . واستعملوا مع الراية والعلم بايراق وسنجاق وبنديرة . وأطلقوا لفظ مخفر على القره‌قول والمستشفى على الخسته خانه او البيمارستان . والمصرف على البنك . والشكنة على القشلة او القشلاق والبريد على البوستة . والمحضر على الجورنال او التقرير . والحلوان على البخشيش . والبويا على الصباغ او الدهان . والمعسكر أو المخيّم على القرار كاه . والبازار على السوق . والطوب على المدفع . والسنكة على الحربة .

محمد كرد علي

العربية اللاتينية

قرأت اقتراح صاحب المعالي عبد العزيز فهمي باشا وهو يدور على رسم الكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، واذا كنت أكتم في هذا المقال شعوري بعد قراءة هذا الاقتراح فاني غير كاتم خواطر خطرت ببالي بعد مطالعتي اياه .

إني أدرس الفرنسية من أربعين سنة ، ولم أفطن الى المصاعب التي تشتمل عليها هذه اللغة الا بعد قراءة الاقتراح ، لقد كنت أتملى سهل اللغة الفرنسية وأغفل عن وعرها ، أما الآن فقد فطنت الى ناحية واحدة من هذا الوعر ، قلت في نفسي : هل تخلو الفرنسية من مصاعب ، وهل فكر رجالها في قلب وجهها حتى يذللوا هذه المصاعب .

رجعت الى مقال احتفظت به في جملة دفاتري ، نشر هذا المقال من ست سنين في صدر صحيفة من أمهات صحف باريز وهي « ماريان » عنوان هذا المقال : إصلاح الإملاء .

من ست سنين فكر بعض الفرنسين في إصلاح قواعد الإملاء ، وفي أواخر القرن الماضي ظهر مثل هذا التفكير ، ولكنهم في تلك السنين أهملوا « الأكادمية » ولم يشركوها في الإصلاح وقد اكتفوا بأخذ رأيها بعد الفراغ من العمل .

لم يقعوا من ست سنين في هذا الخطأ فقد اشتركت « الأكادمية » في موضوع اصلاح الاملاء .

كل هذا غير ذي بال ، وانما المهم في الأمر ان الفرنسيين يشعرون بأن لغتهم تشتمل على مصاعب ، من ألفاظهم لفظة : dompter ومن معانى هذه المادة : غلب واستولى وأخضع ، تكتب هذه اللفظة بصورة وتلفظ بصورة ، فاذا لفظوها استغنوا عن حرف منها وهو : p فلم يلفظوه ، فقد قالوا : ماذا يصنع هذا الحرف في اللفظة ، ولماذا لا نطرحه ، ومن هذا القبيل لفظة poids ومعناها : الوزن ، فهي مثل اختها السابقة ، انها تشتمل على حرف يكتب ولا يلفظ وهو : d ، فقد قالوا : ماذا يصنع هذا الحرف في اللفظة ، ثم توسعوا في هذا الموضوع فقالوا : لماذا لا نحذف

حرف : x وهو علامة بعض الجموع ونجعل بدلاً منه حرف : s ، وعلى هذا الشكل تكتب لفظة : Chevaux ومعناها : الحصن ، على الصور الآتية : Chevaus ، ثم قالوا لماذا نكتب : Charrette وهي عجلة من العجل ولكن لا يجرهـا الثور برائين ونكتب : Chariot وهي نوع آخر من العجل براء واحدة ، ولماذا نكتب : il appelle ومعناها : يدعو ، بلامين ونكتب : il épèle ومعناهـا : يهجي ، بلام واحدة ، ولماذا نلفظ : portions على صورتين مختلفتين في العبارة الآتية Nous portions des portions ، في اللفظة الأولى تلفظ التاء على وضعها ، وفي اللفظة الثانية تقلب التاء سيناً .

والشواهد على هذه المصاعب كثيرة ، ولقد كنت أقرأ الفرنسية من أربعين سنة ولم تقع في خلدي هذه المصاعب أما الآن فلا أكاد أمر بسطر واحد من دون ان أجد فيه ملاحظات شئ ، اني أمرُّ بألفـاظ مشحونة أواخرها بحروف تكتب ولا تلفظ مثل : délicieux أو soucieux ومثل : sans فهذه الحروف x و s لا تلفظ فيها ، ثم أمر بألفاظ يتشابه لفظها وتختلف كتابتها فهذه لفظة : cent ومعناهـا : مائة ، ولفظة : sang ومعناها : دم ولفظة : je sens ومعناها : أشعر وأشباه هذه الألفاظ .

فكيف كان عمل رجال اللغة الفرنسية لما عرض عليهم مثل هذا الاصلاح .

في اللغة الفرنسية لفظة : scintillation ومعناها : اللمعان ، من جملة حروف هذه اللفظة في أوائلها حرف s و c فاذا أصلحت قواعد املائها وجب عليهم الاستغناء عن الحرف الأول وهو : s ثم من جملة حروفها اللامان قبل أواخرها ، ففي قواعد الإصلاح تسقط من اللامين لام واحدة فتصبح كتابة هذه اللفظة على الشكل الآتي cintilation ، قال « برونتير » والذين درسوا الأدب الفرنسي يعرفون منزلة هذا الرجل : اذا كتبوا cintilation ولم يكتبوا : scintillation ذهب لمعان النجوم .

ومن هذا النمط كلمة لشاعرهم « هوغو » في اللغة الفرنسية لفظة من الألفاظ تدل على نوع من الزهر وهي : asphodèle فاذا اصلحت قاعدة املائها كتبت على الشكل الآتي : asfodèle فقالـــ « هوغو » لو كتبت هــذه اللفظة على الشكل الثاني لذهبت رائحتها الطيبة !

المهم في هذا كله ان نعرف كيف قوبل مشروع إصلاح الإملاء من قبل الفرنسيين ، فقد شعر القوم بأن لغتهم تصبح فوضى بعد هذا الإصلاح وقالوا : كيف تصبح معاجم لغتنا القديمة اذا تمّ الإصلاح الحديث !

ويظهر انهم أحبوا ان يلهوا بفكرة مثل هذه الفكرة ثم أحسوا بعواقب هذا اللهو فكفوا عنه ، فاللغة الفرنسية على جلالة قدرها لا تخلو من كثير من المصاعب ، سواء أكانت هذه المصاعب في قواعد املائها أم في تصريف بعض أفعالها الشاذة أم في غير ذلك ، ولكن رجالها رأوا ان احتمال هذه المصاعب خير من ان تصبح لغتهم فوضى وخير من ان تقطع صلة الحاضر بالماضي فأغلقوا باب الإصلاح .

أغلق هذا الباب في باريز وفتح باب مثله أو أوسع منه في القاهرة ، انه باب يؤدي الى ضياع أمة بحذافيرها ، ما ذا بقي للعرب من جليل فتوحاتهم وعظيم سلطانهم ، لم يبق لهم من هذا كله الا لغتهم وحدها ، فاذا مسخ وجه هذه اللغة مسخ ماضي العرب بأجمعه !

قد يكون في هذا الكلام شيء من العاطفة وقد تكون العاطفة في أمور الاصلاح نابية ، لا محل لها ، والمنطق وحده انما هو الحكم ، فلنرجع الى المنطق ، فماذا يكون مصير طائفة من الحروف العربية في الرسم الجديد ، ماذا يكون مصير الصاد والضاد والقاف وغيرها ونحن نعلم ان كثيراً من أجراس الحروف يضاهي على نحو ما قرّره ابن جني أصوات الأفعال التي عُبر بها عنها ، فهم يقولون : قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف ، ولكن صاحب الاقتراح يقول : سنرسم هذه الحروف بإشارة خاصة ، سنترك هذه الحروف على وضعها ، فاذا رضينا بهذا المزج المشوّه فكيف نصنع بقواعد التجويد ، كيف نستطيع إعطاء كل حرف حقه من مخرج وصفة ، فاذا كتبنا : ماله أخلده بالحروف اللاتينية فهل تساعدنا هذه الحروف على ان نمد هاء الضمير باللاتينية مدّنا لها بالعربية ، لا شك في ان الحروف اللاتينية تقضي على أصول التجويد .

لقد اعترض صاحب الاقتراح على اشتمال بعض الأفعال على جملة مصادر أو اشتمال أصل واحد من الاسماء على تسعة اسماء ، مثل انثى الأسد .

من مصادر بات : بيت وبيات وبيتوتة ومبات ومبيت ، ولكن قوانين تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي وغيرها تعمل في اللغة عملها في الطبيعة ، فهي تميت ما يجب موته ، وتستبقي ما يجب بقاؤه ، وما أظن ان الكاتب في هذا العصر يلجأ الى استعمال بيتوتة او بيت او بيات ويفر من استعمال مبيت ، فالطبيعة تستبقي من هذه المصادر ما يسهل لفظه ، اما المصادر المهملة فانها تدفن في كتب اللغة ولا يبحث عنها الاّ علماء اللغة وحدهم وليس من الضروري ان يكون كل كاتب عالم لغة .

وكذلك القول في اسماء انثى الأسد ، فأي كاتب في هذا العصر يستعمل لبأة أو لباءة ويطرح ما شاع من هذه الأسماء مثل لبوة أو لبؤة ، فقوانين الطبيعة تحيي من هذه الأسماء اسماً أو اسمين وتبقي الاسماء الباقية في بطون كتب اللغة .

ولقد فعلت مثل هذا الفعل في كثير من مواد اللغة ، فلم يبق في كتاباتنا للأسد أو للسيف تلك الاسماء التي كانت لها في الماضي ، وإنما بقيت لها الاسماء السهلة .

هذه مصاعب تذللها الأيام ، لأن قوانين الطبيعة تجري أحكامها على اللغة جريانها على المخلوقات وانا اعتقد ان السهولة التي يتوخاها صاحب الاقتراح قد نصل اليها من طريق اصلاح أساليب التعليم في المدارس ، ولو قابلنا بين أصول تدريس اللغة في المدارس من ثلاثين او اربعين سنة وبين أصول تدريسها في هذه الأيام لرأينا فرقاً واضحاً بين هذه الأصول ، وشيء قليل من تجويد هذه الاصول يذهب بكثير من المصاعب في الآتي ، اما ان تخلو لغة من اللغات الحية من قليل او من كثير من المصاعب فهذا أمر متعذر ، ولم يجرؤ أهل هذه اللغات على قلب لغتهم رأساً على عقب تذليلاً لهذه المصاعب .

شفيق جبري

المبادئ وتطورها في الأفراد والجماعات (*)

(١) سبب اختيار الموضوع

ان الموضوع الذي سأحاضركم عنه قد يبدو مبهماً وغريباً وقد يبدو بديهياً لكنه غير محدود التعريف ومع هذا فهو من المباحث النفسية الاجتماعية التي يجب الاكثار منها والبحث عنها ليستقر مدلولها في قلوبنا وتستحوذ أهدافها على مشاعرنا فنعمل اعمالنا ونحن ندري ما نريد ونعرف الدوافع التي تدفعنا ونحن نعلم لماذا نسير وهذا منتهى العلم الذي يتحتم عليك وعلي وعلى كل ساع للحياة وخدمة الأمة ان يحيط به ويلم بعناصره وقد اخترت البحث عن المبادئ وتطورها في الأفراد والجماعات لاعتقادي ان قيمة الأفراد والأمم والجماعات هي بمباديهم وان مقياس تلك القيمة هو بالمقدار الذي تفعله تلك المبادئ في حياتهم الخاصة والعامة وفي تفكيرهم وجهدهم العلمي .

وقبل إقامة الدليل أرى من الواجب تحديد معنى المبدأ بحيث لا يبقى مجال للاختلاف في مفهوم هذه الكلمة الحديثة ليصح الدخول الى صميم الموضوع والانتهاء منه الى نتيجة هي الغاية من المحاضرة .

(٢) ما هو المبدأ

اعتاد المعلمون ان يبحثوا عن مبادئ علم الحساب ويعنون بذلك البحث عن الأعمال الأربعة لأنها الأساس او الطريق المؤدي الى معرفة بقية ما يحويه علم الحساب او الأوليات من علم الحساب التي لا بدّ منها .

ويذكرون أيضاً مبادئ علم الجغرافيا ويعنون بها البحث عن كروية الأرض وعن تقسيمها وعن تقسيم الزمن وعن تقسيم الأرض الى بحار ويابسة وعن تقسيم اليابسة الى قارات وسهول وجبال وأودية وأنهر وبحيرات الخ وعن تقسيم البحار الى اوقيانوسات وجزر وخلجان ومداخل وغير ذلك وتحديد معنى كل منها ليسهل

(*) محاضرة ألقاها معالي وزير المدلية الدكتور عبد الرحمن الكيالي في المجمع العلمي يوم الجمعة في ١٨ شباط سنة ١٩٤٤ .

على طلاب هذا العلم معرفة ما يحويه من معارف أخرى . ويقول الناس : (فلان من اصحاب المبادئ) اي من اصحاب الاخلاق الثابتة . واعتدنا ان يخاطب بعضنا بعضاً قائلين و (انا من مبدئي كذا وكذا) ونريد من عقيدتي كذا وكذا . وان نسأل مخاطبنا (ما هو مبدؤك في الحياة) اي ما هي غايتك منها . ونقرأ في الكتب (ومن المبادئ الكونية [النظام] فلولا النظام لاختلت الأكوان) وهذا يعني انه من القوانين الكونية الثابتة . ونقول (ان المبدأ الاجتماعي الخالد ان تعيش وتترك لغيرك مجالاً ان يعيش) . ومن المبادئ الطبيعية (ان لا فراغ في الوجود) . ومما اتفقت عليه الأديان واصبح مبدأ عاماً لكافتها في حسن التعامل وضمانة العدل قول التوراة (كيلوا للناس بالصاع الذي يكال لكم) . وقول الانجيل (عاملوا الناس كما تحبون ان يعاملوكم) وقول الحديث الشريف (لا يكمل ايمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) وهذا يشير الى دستور التعامل بين العباد وفيه منتهى الانصاف والعدل وغاية ما تصبو اليه الانسانية .

وهنالك مبادئ لا تعد ولا تحصى تتعلق بالأخلاق والسياسة والدين والاجتماع والعلوم والتجارة وبقية الأمور أقرها العرف وجرى عليها الاصطلاح وحققها العالم واتخذها الناس مقياساً لأعمالهم وحقائق بديهية في أقوالهم ومحاكاتهم وطرقاً قويمة لعلاقاتهم وتجاربهم .

(٣) فما هو المقصود من المبدأ

ان المفهوم من قولنا (مبدأ) يختلف باختلاف المناسبة فيكون معناه تارة الاساس وتارة الطريق وتارة العقيدة وأخرى القانون او العادة لأن الكلمة لها مدلولات شتى في كل اللغات ومعاني متعددة لدى مختلف الطبقات . ففي العربية تشتق الكلمة من البدء ومعناه الأولية او المباشرة ثم صار معناها (الاصل) فمبدأ القول أوله ومبدأ الشيء أصله كقولنا (مبدأ الوجود) اي اوله ومبدأ العادة اي اصلها ثم تطورت الكلمة فغدت تفيد الطريق المعين او الأسلوب المتبع او الاساس المتخذ ففلان له (مبدأ في الأكل) اي له (عادة) وفلان من مبدأه (سوء الظن) في الناس اي

(من خطته) وزيد (ذو مبدأ مستقيم) اي لا يكذب ولا يتحول عما يقول او يفعل (ومبدأي يأمرني ان أفعل كذا وكذا) اي واجبي . ومبدأ التجارة (ان لا تبيع في الصعود ولا تشتري في النزول) اي الاصل ان تتريث حتى يستقر السوق على حال . ومن المبادئ الديموقراطية (ان يكون الشعب مصدر السلطات) اي من شروطها . وقولنا هذا مخالف للمبادئ الدستورية أي للأسس التي بني عليها الدستور كالحرية التي يجب ان لا يحرم منها وطني ضمن حدود القانون وكصيانة النفس وصيانة الأموال والحقوق فهي من الأسس التي اعتبرها الدستور واعتبرها القانون واعتبرتها الدولة من الحقوق العامة لأنها مفيدة وضرورية وضامنة للمصلحة الاجتماعية وبدونها لا يقوم استقلال ولا يدوم سلطان . ومن مبادئ التوكل ان (الأسعار والاعمار بيد الله) اي من شروطه . والذي يتحصل من مجموع ما تقدم من الافادات والاصطلاحات (ان المبدأ هو ما يقرره الفرد او الجماعة او يتواضع الناس عليه بسائق الغريزة او بسائق الفكر للحصول على غاية معينة يرجى منها الفائدة ودوام الحال بما فيه نجاح العمل واطمئنان النفس) . وقد يكون المبدأ خيالياً فلا ترجى منه نتيجة معقولة وقد يكون منطقياً ولا يصح عملياً . وقد يكون معقولاً وواقعياً فيصح من كل الوجوه .

قلت ان المبدأ قد يكون خيالياً أو وهمياً ولعلكم تعجبون من ذلك ولكن عجبكم يزول متى علمتم ان اصحاب الدوافع المرضية او اصحاب الشذوذات المرضية يملكون مبادئ تسير حياتهم وهي زعمية أو خيالية وليس لها نتيجة منطقية ولا فائدة اجتماعية . خذوا مبدأ المعري في عدم الزواج وفي ترك اللحوم أليس هذا غير منطقي ومخالفاً لسنن الحياة وسنن الطبيعة خذوا مبدأ التقشف واهمال الجسم وترك الحياة أليس هذا شذوذاً ووهماً بأنه يرضي الإله . وهل له نتيجة انشائية او نتيجة منطقية سوى التعطيل والتعطيل ليس من سنن الطبيعة ولا من سنن الحياة

لا شك ان لكل من تارك اللحم تقشفاً ورحمة بالحيوان ، ولتارك الزواج رهبنة فيه او خوفاً من الجناية على الأبناء ، مبدأ يعللان به عملهما الذي هو وقر في النفس سببه الوهم والاعتقاد الفاسد الناتج عن فرضيات توحي بها الشذوذات المرضية

او الدوافع النفسية المكبوتة (على رأي رجال علم النفس وعلم الأمراض العقلية) وليس من المبادئ التي يقرها العقل او يسلم بها العلم ولذا قلت ان المبدأ قد يكون وهمياً او خيالياً وأتيت بهذا المثال الذي له أمثلة أخرى تعرفونها متى رجعتم لدراسة المبادئ التي يدعيها الناس .

(٤) تقسيم المبادئ

ينقسم المبدأ الى قسمين الأول (خاص) وهو ما يختص به الفرد لنفسه ويختطه لذاته بعد درس او تلقين او تجربة . والثاني (عام) وهو ما يختص به المجموع او الجماعات بعد درس او تلقين او تجربة كمبدأ الدين ، ومبدأ الحكم ، ومبدأ الكساء ، ومبدأ القانون ، ومبدأ القضاء ، ومبدأ المعاشرة ، وغير ذلك مما له علاقة مباشرة بالأمة او المجموع من الناس .

(٥) خواص المبادئ والمؤثرات لها

والمبادئ سواء أكانت فردية أي خاصة ، او عمومية اي شاملة ، ليست وراثية ولا ولادية بل هي نتيجة التجارب والاكتساب ولذا كان لكل فرد أو لكل جماعة او لكل أمة مبادئ يتمايزون بها ويعملون بها وحيث ان المبادئ من طبيعة الانسان فهي تتبدل وتتغير وتتطور كلما ارتقى الفكر وزادت الاختبارات والتجارب واتسع العلم وارتقت المدنية التي هي الوسيلة لتهذيب طبيعة الانسان وتعديل سلوكه .

ولعلاقتها بحياة الانسان وضروراته الاجتماعية تكون في نشأتها لا شعورية ثم تغدو عاطفية ثم تتطور فتكون شعورية تحت وعي الذهن وسطوة الإرادة .

ومن المشاهد ان مفعول المبادئ قد يكون آنياً وقد لا يظهر الا بعد حين وقد نلمس نتائجها بسهولة لأنها تسيطر علينا وقد لا نشعر بتأثيرها بسهولة لأنها لا تسيطر علينا ولكنها في كل حال لها مفعولها المستمر وقوتها الدائمة متى كانت صالحة لتوجيه الأعمال ومحكومة لضوابط العقل .

والذي يغلب على الأفراد والجماعات ان مبادئهم تتجلى عليها اللاشعورية ولهذا تتصف بالبطء والتقليد والمحاكاة وسرعة التقلب والعكس بالعكس متى تسلطت عليها قوى الذهن .

(٦) تأثير المبادئ في الفرد والجماعة

وحيث علمنا بأن المبادئ تلازم الانسان وهو حي فلا بد ان يشملها قانون الحياة فتتبع المؤثرات المحيطة اي مؤثرات البيئة ، تأثيرات الزمن والتربية والعلم فتتطور طرداً اذا كانت صالحة وعكساً اذا لم تكن صالحة والصالح ما صحت أساساته وضمن العمل نجاحه وكان في حيز الإمكان والواقع والعقل وملائمة الزمن .

ان دراسات تأثيرات المبادئ تعني في الحقيقة دراسة الفكر البشري وأعماله في الفرد والجماعة وفي عبارة أخرى درس المدنية والعلم والعمران .

ومما لايحتاج الى دليل قولنا ان الحروب والمنازعات والثورات والانقلابات والأنظمة والشرائع والآداب والعادات حتى الفنون والأخلاق والمعاملات هي محصول المبادئ ونتيجة فعلها المباشر أو غير المباشر . والحقيقة ان فعل المبادئ لا يظهر إلا متى اختمرت عناصرها وخرجت صورها من حيز التصور الى حيز الفعل ونزلت من أعالي الواعية الى مقر الباطنة حيث تنمو وتتكون منها دوافع الحركة والعاطفة وعندها كما يقول غوستاف لوبون (تصير المبادئ جزءاً من الخلق ويكون لها التأثير في الحياة لأن خلق الانسان يحتاج في تركيبه الى تراكم طبقات من الأفكار اللاشعورية) والبرهان انها اذا استحوذت على ضمير الأكثرية وتملكت عواطفهم ومشاعرهم وأفكارهم تسوقهم الى العمل دون وعي لكن بلذة ونعيم .

أضع امامكم هذه الحقيقة وأسألكم التمعن فيها . انها المفتاح لفهم الحادثات التي مرّ ذكرها والسر لاستشهاد المتدينين في سبيل عقائدهم الدينية والعلة لافراط المتهوسين في تنفيذ دوافعهم ورغائبهم والسبب لانكباب المفكرين والعلماء على مباحثهم ومكتشفاتهم والداعية للفنانين على الجهد والتحمل لخلق بدائعهم ونفائس مصنوعاتهم والباعث لشجاعة ووطنية المدافعين عن أوطانهم وحريتهم والدافع للغوغاء على تخريباتهم ومظاهراتهم دون وعي او حساب للعواقب .

(٧) تطور المبادئ وكيفية حصولها

ان عوامل التطور لا تخلو من أحد الاسباب الآتية (الحاجة ، المحيط ، رقي الفكر

الزمن ، الاستعداد) وللايضاح أسرد عليكم بعض الأمثلة . خذوا مبدأ الطعام . انه كان ويجب ان يبقى لتأمين ما يحتاجه الجسم من مواد تحفظ نموه وتعطيه الوقود اللازم لاستهلاك الحرارة الضائعة في كل حركة تجريها عضلاته وأعضاؤه وذلك بما يتناوله الانسان من لحوم الحيوان ومن خضروات الطبيعة وفواكهها .

ولكن هل يبقى مبدأ الطعام على ما ذكر وهل اختصر على ما تتطلبه الحاجة من طبخ وتهيئة وما يتطلبه المحيط من اعداد للأواني والمائدة وما تتطلبه العادة من أدوات وغرف وزخرفة وزينة وما يقضي به رقي الفكر والحضارة من حديث ومجاملة وصحبة . ؟

كلا . ففعل التغذيـة وقل الطعام تطور مبدؤه وأصبح يحمل عناصر أخرى ذوقية واجتماعية وعلمية لا بد منها بسبب تأثير العوامل المار ذكرها . وخذوا مبدأ الكساء فقد كان يرمي للوقاية ثم دخلت فيه دواعي الزينة ثم دواعي الترف وهو اليوم على ما ترونه يتطور بحسب تطور المدنية والمحيط والحاجة وخذوا مثالاً ثالثًا (الحب) ان الحب مظهر من مظاهر العطفية اقتضته الحياة لتأمين النسل بايجادها الميل عند البلوغ نحو الجنس الآخر . انه طبيعي في كل انسان وعدم وجوده او التحسس به دليل الانحراف عن الحالة السليمة . تصوروا كيف كان عند الانسان الأول ولا يزال عند الذين يشابهونه وكيف هو الآن عند من يتقيد بحدود الآداب والقانون ويعلم من أهدافه ما يوحيه العلم والدين والتهذيب فالمبدأ في الحالة الأولى كان قضاء شهوة واستمتاع رغبة شأن البهائم ثم تحول الى لهو وتلذذ ثم تحول الى الفة وتبادل عاطفة لتأمين غاية وهو ما ترمي اليه الحالة الثانية ونصفه اليوم بارتقاء الاعتبارات الاجتماعية والمدارك البشرية بأنه غاية سامية للترابط ودوام النسل وبقاء الألفة والاجتماع . فالحب في نظر الحياة ضروري ، لأن الغريزة الجنسية تبعثه في العواطف ، والحب في نظر المدنية ضروري ، لأنه مدار الالفة والارتباط . والحب في نظر العلم والفن ضروري لانه مبعث الخيال والشعر والالهام والابداع وفي نظر « فرويد » سبب الاجتماع والأدب والفنون والقوانين والأديان يقول الصوفي العظيم ابن العربي :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي   اذا لم يكن ديني الى دينه داني

فأصبح قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
ومعبد أوثان وكعبـة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب انّى توجهت ركائبـه فالحب ديني وإيماني

واليكم المثال الرابع وهو المهم خذوا مبدأ الدين ما ذا كن وماذا آل اليه . قلت الدين بعد الحب لأنه نشأ ونما بنشأته ونموه . ما هو المبدأ الأول له . كان مظهراً لغريزة الاستطلاع والشك والحيرة يدعو اليه الخوف والهرب من قوى الطبيعة ثم تطور فصار مظهراً للرجاء والأمل والاستسلام لها ثم تطور الى الخضوع والاحتفاء بقوى الحيوان والانسان أمل دفع الضرر وجلب النفع ثم تقدم فغدى وسيلة لاستمتاع القوى بما لا يستطيع الضعيف الوصول اليه فاكتنفته الخرافات والأوهام والشعوذات وسترته الرموز والطقوس ولما استنار الفكر الانساني بتقدم الحضارة اتجه للتحري عن مصادر القوة وخواص الحياة والمادة فتحول من الخوف والمبادئ اللاشعورية وبدأ بعبادة القوة والفضائل المتجلية في شخصية الأجداد والآباء والابطال والملوك والرؤساء وما يمثلها من الاصنام والاشخاص التي تعبر عن الفكرة أو الرغبة القائمة في نفس المؤمنين وفي التطور السادس اتجه الى التحري عن كيفية الاتصال بالقوى المطلقة فلم يجد الفكر الانساني ما يرضي رغباته ولا شعوريته غير القول بالألوهية التي عددها ثم ثناها ثم ثلثها ثم وحدها وجعلها مجردة ووصفها بما فرضه فيها (وهي معكس مما فيه) من صفات وكمالات وراح بتحرى معرفة الحقيقة فتسائل عن مكانها وماهيتها وأعمالها وعلاقاتها ومصدرها ونهايتها ومضى عليه اكثر من عشرة آلاف سنة وهو مجد في بحثه وفي استقصا آته واستنتاجاته ولما يصل للمعرفة التي هي الحقيقة بعينها ولن يصل اليها وجل ما سينتهي اليه الاقرار بالقول (بطل الإله ان يكون إلهاً اذا قام الدليل المادي على وجوده) لان العقل الذي لم نستطع إدراك ماهيته يعجز عن ادراك ماهية الموجود الأول الذي كل ما نستطيع ان نعلم عنه بمدرا كنا وحواسنا او مظاهره الوجودية في نظام الكائنات وجمال المخلوقات وابداع المصورات فللوجود موجد لان هنالك نظاماً وجمالاً وابداعاً نلمس أثرها ونشعر بوجودها في كل الأشياء

وعليه (فالدين) ان ندرك الصلة بين الانسان وخالقه ونفهم المظاهر الالهية بأكملها واعمها وما سواه فأعمال ووسائل وأمور تتعلق بدنيا يحبها الانسان ويريدها لنفسه ويختلف عليها وعلى كيفياتها ومراميها لجهله . وبعد أرأيتم كيفية تطور المبادئ وأثرها واسبابها .

واليكم المثال الأخير وهو مبدأ العلم . ما هو العلم ؟ العلم هو تصنيف المعرفة وما هي المعرفة ؟ هي حصول صورة الشيء في الذهن اي حقيقتها . فالعلم اذاً تصنيف الحقائق التي يتصورها الفكر على ما هي عليه ولكن ما نسميه العلم اي مجموعة الحقائق كانت تحيطه الأوهام والخرافات وكانت الحقائق مبعثرة دون تمحيص وتمييز . ولما بدأ البشر بتدوين تجاربهم ومعارفهم خطى العلم خطوة نحو التحرر والتجرد . ثم زادت المعارف وتطورت المدنية وارتقى الفكر باحثاً وناقداً فكانت الفلسفة وكان الجدل ثم أزيلت ستائر الوهم والخرافات عن معالم العلم فظهرت الحقائق مجردة عارية ونفذ الفكر الانساني الى مجاهل الحادثات والعلل والأسباب والنتائج . ولما جاء القرن التاسع عشر وتحكم النقد وتحكمت التجربة فيما وصل الى الهيئة الاجتماعية من معارف الأقدمين وآثارهم وما نتجه العقل الحاضر من اكتشافات بعد ما تحرر وانطلق بهم في جميع ميادين البحث ، ظهرت الحقائق وزالت معظم الأوهام والنظريات وتأسس مبدأ العلم (على الاستقراء والمشاهدة والتجربة والاستنتاج والقياس الصحيح) وكان أشهر من خدموا مبدأ العلم وأبرزوه مجرداً فلاسفة اليونان الأقدمين وعلماؤهم واطباؤهم امثال ابيقراط وفيثاغوروس وغالينوس وسقراط وافلاطون ومن عاصرهم ثم علماء العرب وفلاسفتهم وأطباؤهم أمثال الرازي وابن الرشد وابن سينا والفارابي وابن جابر وابن البيطار والبيروني وغيرهم ثم جاء من بعدهم علماء الغرب امثال ده كارت وكانت وسبنسر وآدم سمث وغاليلي ولابلاك ونيوتون وداروين وماكسويل ولبختنر وفارادي وواغنر وكليفن وطومسون ووات واديسون وبيكون ونيتام وتندل وروسكين ورنان وروسو وولتر وسبينوزا ونخت وكارليل وباستور وژون لوك ومونتيسكيوا وهيكل وفرويد وانشتين وسواهم من الفلاسفة والعلماء والمخترعين والمكتشفين والأدباء فاتجه مبدأ العلم الى بحث الحقيقة مجردة ومعرفة الطبيعة وما فيها من سنن وقوانين فكانت

المدنية وكانت النهضة الحديثة . وقبلاً سخر الناس من نظريات (دارون) في العلم الطبيعي وسخروا من كولومبوس ومن براهينه وضحكوا من (هارفه) (وژندر) كما ضحكوا من (افلاطون وسقراط) وكما اضطهدو الزمخشري والسهروردي وابن تيمية ولكن المبادئ العلمية لم تبال بسخريتهم وضحكهم واضطادهم فسار العلم في طريق النضوج وتحقق مبدأه الأعلى في التحري عن الحقيقة والتعبير عن الحق والحقيقة وانتهى العلم الى ما نحن عليه .

أما تأثيرات هذه الأطوار وما انتهت اليه فاليكم بعضها : ١ — انتقال السلطات من أيدي الملوك والرؤساء الى أيدي الشعب ٢ — حرية الفكر والعمل والضمير ضمن حدود المبادئ والقوانين ٣ — انتظام الوحدات الاجتماعية وترابطها ٤ — انقطاع النزاع الديني والاضطهاد بسبب العقيدة والمبدأ ٥ — تزوح العادات والآداب والاعتبارات والتقاليد نحو الديموقراطيـة والأهداف السامية للاجتماعية البشرية ٦ — انتشار الاشتراكية ٧ — زوال الفوارق الطبقية ٨ — ذيوع العلم والتربية بين الأفراد ٩ — استقرار المبادئ العلمية والوطنية والقومية ١٠ — تقوي المبادئ التعاونية والغيرية الدولية ١١ — توسع الروابط الاقتصادية بين الأمم ١٢ — اتجاه المدنية للاجتماعية السياسية ١٣ — رفاهية الانسان ضمن الرفاهية العامة . هذا ما يمكن تعداده باختصار . وحيث وصلنا الى هذا الحد من التعريف والايضاح فاني سوف انتهي بكم الى النتيجة ولا أزيدكم شواهد ولا تفصيلاً ولا تطويلاً فقد اردت ايقاظ الفكر والانتباه ولكم من صحافتكم وعلمكم وتجاربكم مايضيء لكم سبل البحث والتوسع .

(٨) النتيجة : الوجدان الفردي والوجدان الاجتماعي

وبعد ما هي النتيجة من وجود المبادئ وتطورها .

ان المبادئ تنتهي في نشوء المثل العليا في الأفراد وتكوين الوجدان الاجتماعي في الامم والجماعات .

ما هو الوجدان ؟ هل هو حقيقة . أم تسمية لمظهر غير محدود .

ان الوجدان ليس عضواً آلياً ولا مركزاً عصبياً ولا قوة مادية بل مظهر

الضابط النفساني القائم في العقل الواعي وفي ذاتية الفرد والمجتمع الانساني . نسميه الضمير ونسميه النفس الذكية ونسميه الذات العلوية وهي اسماء اختلفت في اللفظ واتحدت بالمعنى والمقصود منه ما يأمر باتباع المبادئ وما نشأ عنها من مثل عليا فينظمها وينظم الدوافع الباطنية ويضبط عملها ويعدلها فان سلم العقل من شهوات الدوافع وانفعالاتها ارشد الذات الى الحق والخير وإدراك الصواب مستمداً قوته من التربية الصحيحة والتعاليم الصالحة والمبادئ المفيدة وينتفي وجوده او يعتل ويضعف فعله عند ماتصاب الذات بسوء الوراثة والتربية وبسوء التغذية والنمو وبالأحداث المهيجة وبالمخدرات والمكيفيات وبالأمراض الانتانية والتناسلية وغير ذلك من العوامل التي تتولد وتقوى معها الدوافع المرضية وتساعد الاستحواذ على إخضاع الإرادة والعواطف وتسخير الحي الى غير ما يأمر به الوجدان وترمي اليه المبادئ والمثل العليا . هذا هو التعليل العلمي لما يقع في عالم النفس ونحس به ونشعر بفعله ونلمس تأثيره فينا ولهذا يحق لنا الإيمان بوجوده ويحق لي ان أطلب منكم ان تراجعو أنفسكم وتفحصوا ذاتيتكم وتحاسبوا وجدانكم ومثلكم ممن يحملون المثل العليا و يتبعون المبادئ المثلى ولهم وجدان يدركون لذة الحياة وآلامها فمن لايعرف نفسه لا يعرف غيره ومن لا يفقه غيره لا يحب العالم ومن لا يحب العالم يكره التعاون مع الناس . فهل اتصفنا بالاجتماعية وادعينا الانسانية وقبلنا الحياة المدنية لنعذب ضميرنا ونجهل أنفسنا وغيرنا .

لاحظوا أيها السادة ان النفس متى خلت من الوجدان استحوذت عليها الأنانية والمطامع وهي علة ماتقاسيه الانسانية وما يقاسيه العالم . وهل هذه الحروب وهذه المخاصمات سواء بين الأفراد او بين الأمم الا نتيجة ضعف الوجدان وفقد الضابط النفساني .

اجل . ان المطامع البشرية ليس لها حدود وهي شر ما تبتلي بها الأمم لأنها سبب العراك والتنازع فهل نستطيع درأ مضارها وتخفيف ويلاتها بدون الوجدان الاجتماعي . وهل من قوة تستطيع مقاومة الاستبداد بغير انتصار الديموقراطية . وهل من معالجة نستطيع بها إزالة الرأسمالية بغير التعاونية العالمية وكيف نتخلص من الانعزالية والفردية بغير الترابط الدولي والتعاون الاقتصادي وكل ذلك من

عمل الوجدان الاجتماعي الذي هو ظهير الغيرية ومظهر من وعي البشرية ٠

لذلك وحيث انكم على اختلاف ثقافتكم واختلاف مهنكم ووجهات نظركم في الحياة مدعوون لاختيار المثل العليا واختيار المبادئ لتساهموا في بناء الإنسانية وفي تثبيت السيادة والاستقلال القائم على حرية الفكر والضمير وحماية الحق والحياة فان مساهمتكم في تأييد مبدأ الغيرية يعد نصرة للتطورات التي ننتظرها من العالم المقبل ٠

واذا سألتموني ما هي الغيرية أجبتكم بدستور واحد (ان تحب لغيرك ما تحبه لنفسك وان تعامل أخاك كما تحب ان يعاملك ، وان تعيش وتترك غيرك ان يعيش ، وان تحسن للعالم كما أحسن العالم اليك) فهل تجدون في تعاليم الأنبياء وتعاليم المصلحين وفي تصريحات دعاة الحرية ونصرة الأمم الضعيفة والقائلين بمقاومة الاستبداد والتحكم في الشعوب مبدءاً اسمى وأصدق مما قلت ٠ ولما كان القضاء نتيجة للغيرية وكان من مبدأه مقاومة الأنانية فانه يعمل دائماً لنصرة الحق وإحقاق العدل وبيان الحقيقة واقامة الحدود ومنع التعدي فان قصر فيما اليه وضع انتهى الى نصرة الأنانيه التي تدعو اليها الغرائز ولا يدعو اليها الوجدان العاقل ٠ ولكن من يسمح للقضاء ان يخرج عن مبدئه ٠

ان اعتناق المبدأ والدعوة له يجب ان يقترنا بالتضحية والاخلاص قولاً وفعلا ومتى كان ذلك استدام تأثيرهما في النفس وأصبح وجودهما جزءاً من عناصرها وقوة لضبطها وتنظيمها وللبرهان تصوروا ان خمسة عشر الف من الاسبارطايين غلبوا مائة وخمسين الف من الفرس على رأسهم « دارا » لأن الأولين أخلصوا لمباديهم وضحوا في سبيل وطنهم فأنقذوه وتصوروا ان قرطاجينياً واحداً يقسم اليمين لينتقمن لأبيه فيهاجم روما ويفتحها بجيشه لأنه ثبت على المبدأ وضحى في سبيله وتصوروا يتيماً فقيراً يقرر هداية قومه وانقاذهم من استعباد الفاتحين ودعوتهم للاتحاد والأخوة وللوحدانية المطلقة ونبذ الجاهلية ثم يبين لهم طريق العمل والهداية ويحملهم بعبقريته وبطولته وبلاغته الى الايمان بما دعى ونشر ما بلغ ويصبر على أذاهم ويحتمل جورهم

ومقاومتهم ويثبت على مبادئه السامية وتعاليمه العالية حتى اهتدوا وآمنوا فتبعوه ونصروه ثم حملوا مشعل هدايته الى العالم ففتحوا الممالك ودوخوا الأمم وهم أقلية في عددها وعدتها لكنهم لتمسكهم بالمثل العليا ولإخلاصهم الى الرسالة التي بشروا بها كانوا أكثر قوة وأمضى عزيمة وهكذا أثبتوا ان المبادئ والمثل العليا هي التي تؤسس الممالك وتنمي الحضارات وترتقي بالمدنية ٠

ومما لا شك فيه ان الانقلاب الذي سيحدث بعد ظفر الحلفاء سيثبت للعالم بأن الوجدان الاجتماعي سينتزع من الأمم المنتصرة المطامع واذا تحقق ما نشرته الدول الديموقراطية في عهدها الأطلانطيكي من المبادئ التي ستكون دستوراً لكيفية التعاون وحل المعضلات التي ابتلت بها الشعوب بإقامة الجمعية الأممية وإنشاء دستور ومحكمة لها وجيش ويكون قوة لتنفيذ مقرراتها فانه يكون البرهان على صحة ما وصفناه وتكون الحجة القاطعة لكل شك وريبة قد يخالجان نفوس الجاحدين لقيمة المبادئ وتأثيرها ولوجود الوجدان الاجتماعي وحقيقته وختاماً اننا ليوم الحق لمنتظرون ولنصرة حماة الحق لداعون ٠

عبد الرحمن الكيالي

فضل العرب على علم الحيوان

تصدير

يعرف علماء مُضَر وسواهم ، ان الافرنج اقتبسوا من العرب ألفاظاً جمة ، واغلبها منتزع من الكيمياء ، والفلك ، والنبات ، والطب ، والحساب ؛ ولم يذكروا من الحيوان إلا شيئاً نزراً . مع ان الحقيقة: ان ما استعاروه من أسماء الحيوان ، وكان أول من وضعها من تقدمنا من السلف ، أكثر بكثير مما انتحلوه لأنفسهم من سائر العلوم والفنون والصنائع .

وهذه الاسامي انتقلت الى أبناء الغرب ، من غير ان ينتبه هؤلاء الى انها من لغتنا . والسبب ان الافرنج لم يتلقوها رأساً عن السلف الصالح ، بل على أيدي أهالي بلاد بعيدة عن جزيرة العرب ، كأهالي افريقية ، وأميركة ، والهند ، وجزر المحيط الهادئ ، وسكان ذاهج الى غيرها ، مما لا يمكن حصره .

أما كيف اقتبسها أولئك الأعاجم من العرب ، فان السرّ لم يبق غامضاً كما كان بالأمس . فقد اتضح لكبار الباحثين ، ان العرب وصلوا في سابق العهد الى ديار أميركة ، ومجاهل افريقية ، وأقاصي آسية ، لأنهم وجدوا آثاراً عادية ، هي من بقايا أبنيتهم وتمدنهم وثقافتهم بحيث لم يبق شك ولا ريب في هذا الأمر .

أما كيف وصلوا الى تلك الأرجاء النائية ، فهذا مما لم يتفقوا على تأويله . فمن قائل ان بني عدنان كانوا يبرحون منازلهم في أيام الشتاء او الربيع ، ويصلون الى أقاصي الشمال من آسية ، حيث مضيق بهرنك Détroit de Behring في فصل جموده ، فيتمكن كل انسان من عبوره سيراً على الأقدام الى اميركة أو على الدواب ، او على عجلات هي في منتهى البساطة والوضع (كذا) .

وأما الى افريقية ، فكان انتقال السلف الى ارجائها المتسعة ، من أقدم الازمنة ، لاتصال جزيرتهم بذلك البرّ المشابه لبلادهم في كثير من الأمور ، وهناك أدلة عقلية ونقلية ، لا تحصى ، تدل على صحة هذا القول .

وقد أصاب البصراء بعلم العجماوات ان أسامي لا تحصى ، لا يعرف اصلها ، فيجتزئون بقولهم : هذا الاسم وجد بهذه الصورة في لغة أهالي تلك الربوع .

ونحن لا نشك في ان الأندلسيين الذين رحلوا الى أميركة بعد وجودها ، كان أكثرهم يحسنون لغتنا ، فكان يسهل عليهم وضع الأسامي لتلك الخلائق ، من ذوات الأربع ، والطير ، والسمك ، والدويبات وان كان من سبقهم الى تلك الأنحاء ، سبقوهم أيضاً الى وضع ألفاظ أخر .

ولما جاء اليها أبناء أوربة ، وما كان لهم اطلاع على لغة أبناء مُضر ، اعتبروا تلك الأوضاع من مصطلح الأهالي أرباب تلك الاصقاع ، ولم يجهدوا انفسهم في معرفة أصل واضعيها . أما الخبير البصير بلسان العرب ، فيشعر حالاً بأصلها في أول سماعه لها ، وبعيدها اليها ، بدون أدنى كلفة .

ونحن نذكر هنا بعض تلك الألفاظ ، وهي اسماء حيوانات ، منها في افريقية ، ومنها في اميركة ، ومنها في آسية ، وقد يكون بينها ، ما وُضع حكاية لصوتها ، ومنها لمزية فيها ، ومنها وصفاً لها على ما خُيل اليهم ، ونحن لا نتبع نظاماً ما ، بل نوردها على ما تحضرنا ، ويسهل بعد هذا إيرادها على حروف المعجم ، او على ترتيب فصائلها وأجناسها وأنواعها وضروبها ، تبعاً لاصول العلماء المعروفة اليوم ، فنقول :

١ — الزبراء أو الحمار العتّابي[1]

الزبراء مؤنث الأزبر ، وهو المخطّط والمكتوب والمزبور ، على ما يحصل من مراجعة لسان العرب في هذه المواد الثلاث وهي طويلة مملة .

وقد ورد الافعل بمعنى الفاعل والمفعول والمبالغة ومنه قولهم : الله أكبر والله أعلم ، للمبالغة ، بمعنى كبير عليم . — وقالوا : الأخطّ بمعنى الحسن البديع

(١) العتّابي هنا بمعنى المخطط والمسيّح ، وهو على وزن جبّاري نسبة الى محلة العتابيين من محالّ بغداد في عهد العباسيين ، وكان يصنع فيها ثياب مخططة ببيض وصفر فاقعة ومشبعة ، ومن العتابيّ اشتق الفرنسيون كلمتهم Tabis بهذا المعنى وقد حذفوا من كلمتنا العين والتاء الأولى . وسماه الانكليز Tabby فزادوها تشويهاً فحذفوا ما حذفه الفرنسيون أي الهجاء الأول من الكلمة وعوّضوا عنه بتضعيف الباء الموحدة التحتية .

الحسن · وقالوا : رجل أقلّ ، اي فقير وله بقية - وقالوا : الاسم الاعظم · وقالوا : أقلّ رجل يقول ذلك إلا زيد ، اي مارجل يقوله إلا زيد ·

فهذه ونظائرها وهي لا تحصى لكثرتها ، تدل على ان صيغة أفعل قد تأتي بمعنى غير معنى المفاضلة · فالأزبر هنا معناه الكثير الزبور أي الخطوط · ومؤنثه الزبراء · والحيوان المعروف بالزبراء هو حمار معروف بكثرة ما عليه من الخطوط ، كأن فناناً ماهراً خطها بيده بمهارة عجيبة لا يماثلها مهارة · وقد رأيت واحداً من هذا الحيوان في حَيْر[1] القاهرة ، في سنة ١٩٣٤ وكنت مع الدكتور أندراوس شخاشيري صديقي الحميم ·

أما سبب تأنيث اللفظ ، وان كان يراد به الذكر ، فلأن هناك حرفاً محذوفاً هو « دابة » فيكون أصل الوضع : « الدابة الزبراء » وبالفرنسية Zèbre وبالانكليزية Zebra · والدابة في لغتنا تقع على الذكر والمؤنث · فالزبراء إذن ، لفظة مؤنثة ، تقع على الحيوان الذكر والأنثى · أما الافرنج فلم يعرفوا أصل هذا اللفظ ، بل قالوا : هي لفظة وضعها أهل تلك البلاد لحيوانهم هذا ، من غير ان يعينوا القوم الذي نطق به ، ولا حقيقة لغتهم · أما بعد هذا ، وبعد ان وقفت على هذه التفاصيل ، فلا يجوز لك ان تتابع تلك الآراء الدالة على الجهل بل تعطي لكل ذي حق حقه ·

ومن مترادفات الزبراء : الحمار العتابي ، وحمار الزرد والحمار الوحشيّ المخطط · ولا جرم ان أحسنها واصدقها مدلولاً على صاحبها : ماذكرناه لاتفاق جميع اللغات على تسميتها ·

وأما التفاصيل المتعلقة بهذه العجماء ، فنتركها للعلماء الذين يعنون بها ، اختصاراً للموضوع ·

٢ — المرابط والأَرْجَل

المرابط ، اسم فاعل من رابط يرابط مرابطة ، وهو طائر يعرف عند الفرنسيين بمرابوط Marabout وعند الانكليز مَرابو Marabou او Marabu واسمه العلمي Leptoptilos crumenifer ومعناه : الطائر اللطيف الريش ذو الجراب · ومنه ضرب

---

[1] المراد بالحير (بحاء مهملة مفتوحة ، يليها ياء مثناة تحتية ساكنة ، وفي الآخر راء) ما يسميه بعضهم اليوم حديقة الحيوانات ترجمة للانكليزية Zoo ، أو للفرنسية Jardin Zoologique والحير معروفة في كتب التاريخ من عهد العباسيين ·

آخر يسميه العلماء L. dubius ، أي المرابط الطَّواف ، ويسمى أيضاً بلسانهم L. argala أي المرابط الأَرْجل ، أي الطويل أو العظيم الساقين ، فقولهم الأَرْجل ، واضح انه من العربية بلا أدنى شك .

اما سبب تسميته بالمرابط على ما يقوله علماء الغرب فلأَن معنى المرابط عند العرب كمعنى الربيط وهو الراهب الزاهد والحكيم الذي نزه نفسه عن الدنيا . وعرف هذا الطائر بذلك لأنه يقف ملازماً مكانه ساعاتٍ طوالاً ولا يغادره الا عند الضرورة القصوى ، لانه من الشاهرجات المولعة بأكل الضفادع والحيات ولا سيما تلك التي تعيش في الماء . والمرابط والربيط بمعنى هذا الطائر لم يردا في كتب السلف ولم يقيدوه في معاجمهم ، ولا أتوا على ذكره في كتب الحيوان ، لأنهم لم يعنوا عناية صادقة بعلم المواليد ، ولا سيما ما كان منها خاصاً بالحيوان في اقسامه الثلاثة

اما ان المرابط كان معروفاً عندهم فما لا ريب فيه ، اذ كيف نقله الغربيون عن السلف ، والسلف لم يعرفه ؟ واما انه من لساننا ، فهو من المؤكدات ، اذ يقرُّ بأصله العدناني جميع لغوييهم على اختلاف قومياتهم .

والذي أعرفه انا بنفسي ، اني مررت في شهر تشرين الأول (اكتوبر) من سنة ١٨٩٤ ، ببطائح البصرة وما جاورها ، وكان هناك من أنواع الطير ما يدهش كل انسان ، ومنها تلك الطيور ما كان يسبح ومنها ما كان يطير فوق مياهها ، ومنها ما كان واقفاً على شواطئها . فسألت واحداً كان هناك : ما هذا الطائر الطويل الساقين ذو الخريطة على صدره ؟ — قال : هذا المرابط . — قلت : ولِمَ تسميه بهذا الاسم ؟ — قال : لانه يرابط في موطنه ولا يغادره الا في النادر .

وسألت آخر : ما تسمي هذا الطائر ؟ — قال : هذا اسمه المربوط . — قلت : ولماذا تسميه مربوطاً ؟ قال : لأنك تراه واقفاً في مكانه بدون حراك ، كأنه مربوط برباط لا يدعه الافلات من مُقامه .

وسألت آخر عن اسمه . فقال : اسمه ابو قِرْبة . قلت : ولماذا ؟ — قال : لأنك ترى على صدره ما يشبه القربة . ولو سألت رابعاً وخامساً وسادساً ، لسمعت منهم اسماء أُخر غريبة عجيبة ، مما يدل على ان مفردات اللغة كثيرة لا تحصى وغير مقيدة

في الدواوين ، وان اسماء الذوات والأعيان تختلف باختلاف البلاد والعباد والقبائل ، بل باختلاف الأفراد الذين ينطقون بهـا ، وبمختلف الأزمان . فلعل بعض تلك الألفاظ قديمة الوضع ، وبعضها حديثة ، وأخر من وضع المتكلم نفسه ، لانه لا يريد ان يظهر نفسه جاهلاً ، فتستصغره عينك وتحتقره على ما يبدو له .

وأهل السودان يسمونه (أبوُسعْن) والسعن ، بضم السين ، يُشبه الدلو في بعض مستعملاتها ، فهو كقول بعض العراقيين (أبو قِرْبة) .

٣ً — الأَرْجَس والتُلَجَة

التُلَجَة ، وزان ضُحكَة ، ضرب من القردان السامة يتعرّض للانسان والحيوان ، والكلمة مشتقة من الولوج بمعنى الدخول ، لانه قد يدخل في مواطن من الانسان لا يحسن ذكرها . — والأَرْجس ، افعل بمعنى فاعل او فعيل للمبالغة واللفظ مشتق من رَجِس الرجل يَرْجس ، كعلِم يعلم ، ورجُس يرْجُس ككرم يكرم ، اذا عمل عملاً قبيحاً . وانما سماه العرب (ارجس) لكثرة أذيته للانسان والحيوان . وهو كثير الوجود في ديار فارس ، ومنه اسمه العلمي الأرجس الفارسيّ Argas Persicus . وأما الامير كينون فيسمونه تَلَجَه ، بالتحريك اي Talaje . واسمه العلمي الارجس التلجة A. talaje .

وقد ذهب علماء اللغة من الغربيين ان الكلمة مأخوذة من لغة أهل اميركة الوسطى ، من غير ان يذكروا اسم تلك اللغة ولا اسم القوم الذي وضعها ، أما أصلها العربي فظاهر كل الظهور .

٤ً — القَرُوض

هذا اسم جنس من القوارض اللبونة ، وهو يشمل سناجيب صغيرة مبثوثة في افريقية وآسية واسمه بالفرنسية Xérus وهو واضح الأصل العربي ، ولم أهتد الى اسمه العلميّ .

٥ً — العوّام

العوّام وبالانكليزية Yuen ضرب من القِرَدة ، موطنه سيام وجنوبي الصين وجزيرة هائنان ، ولا يعيش إلا متسلقاً الأشجار ، وله ذراعان طويلتان جداً ، ولون الذكر

أسمر مشبع ، او أسير ، وله جمة ثخينة وشعره اسود حالك . ومن المألوف انه يرى على رأسه نكتة بيضاء تداني جبهته . وأما لون الانثى ، فأبيض أصيفر ، مع نكتة مظلمة على صدرها ونكتة أخرى فوق قمة رأسها .

ومن مزية هذا القرد انه يعوم في الغابات ، أي يطوف فيها فهو لا يترك شجرة إلا من بعد ان يمسك بأخرى ولهذا سماه العلماء Hylobates pileatus أي الطوّاف و العوّام في الغابات ذو القليلة .

٦ — الوارضحيّ

الوارضحي ، وبالانكليزية Wapiti وبلسان العلم Cervus canadensis اي الأيل الكنديّ ، هو ضرب من الأيل ، موطنه الأصلي كندة (بالتحريك) من ديار اميركة الشمالية ، وهو يشبه حاقّ الشبه الظبي الاحمر الاوربي . وقد يزيد حجمه قليلاً على حجم أخيه الاوربي ولقد ارتأى بعضهم ان هذا الأيّل ضرب من الظبي الأحمر ، وذهب آخرون الى انه نوع منه .

وهو مشهور بقرنين كبيرين متشعبين . ويظن لغويو الاميركيين ان اسمه من لغة الإيركوة ، وهم من أهل كندة الاصليين وينزلون الارض الواقعة بين البحيرتين ارلة Erlê وانتاريو Ontario . والذي عندنا ان هذا الاسم مأخوذ من صفة لونه وهو (الواضح) مكسوعاً بياء النسبة فقد قال لغويونا : الواضح : الابيض من الإبل غير شديد البياض والابل هنا للتمثيل لا للتخصيص ، فقد يكون هذا اللون المذكور لبعض ضروب الأيائل كما هو الأمر هنا .

٧ — اليعفور

في الصين ، ضرب من الظباء يسميه الانكليز Elaphure والعلماء Elaphurus Davidianus أي اليعفور الداوديّ وقد ذهب فقهاء اللغة من أبناء بريطانية الكبرى ان اصل اللفظ من الملتية Elaphos اي إيّل والذي عندنا نحن ان الكلمة من اليعفور ، وهو واضح . فقد قال لغويونا القُدَامى : اليَعْفور ، بالفتح وبالضم : ظبي بلون التراب ، او عام . وقال بعضهم : اليعافير (التي هي جمع اليعفور) : تيوس الظباء . واليعفور

مأخوذ من العفرة وهو لون الأعفر ، وبياض ليس بالخالص . والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة ، والذي في سَربه حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض .

وعلوّ اليعفور نحو أربع اقدام عند كتفيه ، وله قرينان ثعلان[1] خاصان به .

٨ — الحفث السامّ

الحفث السام هو المسمى بالانكليزية Elaps وهو أفعى سامة تُرى في العالمين : القديم والحديث . وقد قيدنا هنا بالسامّ ، لأن الحفث لا يكون ساماً البتة . والظاهر ان الكلمة لما وُضعت لهذه الأفعى ، كان يقال : الحفث السام فلما اشتهر بين الناس ، واستثقلوا اسمين لمسمى واحد ، حذفوا السام ، واحتفظوا بالحفث . والانكليز يجهلون أصل هذا الحرف . ولا يؤوّل الا بما ذكرناه .

٩ — الضِناك

الضناك ، بكسر الأول ، وبالانكليزية Dingo كلب وحشي يُرى في استرالية ، ويُظن انه نقل اليها منذ الأزمنة الواغلة في القدم ، وهو مُوثق الخلق شديده ويشبه رأسه رأس الذئب أو ابن آوى ، وله ذيل وافر الشعر ، ولونه أسمر أحيمر ويذهب جماعات لطلب رزقه ، وعلماء العجماوات من الانكليز والاستراليين لا يعرفون معدن الكلمة ، ونظنها من لغتنا من قولهم : الضِناك : الموثق الخلق ، الشديده .

يتبع (بغداد) الاب انستاس ماري الكرملي

---

(١) القرين الثعل : قرن صغير ينمو عند تقدم الايل في السن وينمو أيضاً في قرن الظبي الاعفر ومعز الجبل ونظائرها . والثعل في لغتنا ، ويقال بالفتح والضم ، زيادة في أطباء الناقة ، والبقرة ، والشاة والسن الزائدة خلف الأسنان ، ودخول سن تحت أخرى في اختلاف من المنبت وهذا يوافق القرين الذي ذكرناه واسمه بالفرنسية andouiller وبالانكليزية antler .

كتاب فضائل بغداد

ليزدجرد بن مهمندار الفارسي

١ — تمهيد

قيل في صفة بغداد قديماً ، انها أم الدنيا ، وسيدة البلاد ، وجنة الأرض ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن الظرائف واللطائف . ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها : سعةً وكبراً وعمارة ، وكثرة مياه ، وصحة هواء ، ولأنه سكنها من أصناف الناس ، وأهل الأمصار والكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم ، فليس من أهل بلد الا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرَّف ، فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا . ثم يجري في حافتيها النهران الأعظمان : دجلة والفرات ، فيأتيها التجارات والمير براً وبحراً بأيسر السعي ، حتى تكامل بها كلّ متجر يحمل من المشرق والمغرب ، فانه يُحمل اليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة ، وسائر البلدان ، حتى يكون بها من تجارات البلدان أكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها ، ويكون مع ذلك أوجد وأمكن ، حتى كأنما سيقت اليها خيرات الأرض ، وجمعت فيها ذخائر الدنيا ، وتكاملت بها بركات العالم[2] .

قال دهقان بغداد لأبي جعفر المنصور حينما خرج يرتاد موضعاً يبني فيه مدينة : « الذي أراه يا أمير المؤمنين ان تنزل في نفس بغداد ، فانك تصير بين أربعة طساسيج : طسوجان في الجانب الغربي ، وطسوجان في الجانب الشرقي ، فاللذان في الغربي : قطربل وبادوريا ، واللذان في الشرقي نهر بوق وكلواذى . فان تأخر عمارة طسوج

(١) كتاب رسوم دار الخلافة تأليف هلال بن المحسن الصابي ، أعددناه للنشر منذ زمن ، بعد أن حققناه وعلقنا عليه وألحقنا به ملاحق منوّعة نشرنا عدداً منها في بعض المجلات .

(٢) البلدان لليعقوبي (ص ٢٣٣ — ٢٣٤ ؛ طبعة دي غويه)

منها ، كان الآخر عامراً . — وأنت يا أمير المؤمنين على الصَّراة ، ودجلة تجيئك بالميرة من القرب ، وفي الفرات من الشام والجزيرة ومصر وتلك البلدان . وتُحمل اليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجلة ، وتجيئك ميرة أرمينية وأذربيجان وما يتصل بها في تامرّا وتجيئك ميرة الموصل وديار بكر وربيعة . وانت بين أنهار ، لا يصل اليك عدوُّك إلا على جسرٍ أو قنطرةٍ . فاذا قطعت الجسر والقنطرة لم يصل اليك عدوُّك ، وأنت قريب من البرّ والبحر والجبل . فأعجب المنصور هذا القول وشرع في البناء . ووجه المنصور في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط فأحضروا[1]

وبغداد الى كلّ ذلك تقع في الاقليم الرابع ، وهو الاقليم الأوسط الذي يعتدل فيه الهواء في جميع الأزمان والفصول ، فطاب الثرى ، وعذُب الماء ، وزكت الاشجار ، وطابت الثمار ، وأخصبت الزروع ، وكثرت الخيرات ، وقرُب مستنبط معينها . وباعتدال الهواء وطيب الثرى ، وعذوبة الماء : حسنت أخلاق أهلها ، ونضرت وجوههم ، وانفتقت أذهانهم ، حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والأدب والنظر والتميز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكلّ مناظرة ، وإحكام كل مهنة ، وإتقان كلّ صناعة . فليس عالم أعلم من عالمهم ، ولا أروى من راويتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ، ولا أعرب من نحويهم ، ولا أصح من قارئهم ، ولا أمهر من متطببهم ، ولا أحذق من مغنيهم ، ولا ألطف من صانعهم ، ولا أكتب من كاتبهم ، ولا أبين من منطيقهم ، ولا أعبد من عابدهم ، ولا أورع من زاهدهم ، ولا أفقه من حاكمهم ، ولا أخطب من خطيبهم ، ولا أشعر من شاعرهم ، ولا أفتك من ماجنهم[2] .

فليت شعري ، بلد تلك صفاته وخيراته ، وهذه محاسنه وفضائله ، ألا يكون فتنة الشعراء والكتاب .

قال الشاعر :[3]

بغداد يا دار الملوك ومُجتنى صنوف المنى يا مستقر المنابر

(١) معجم البلدان [١ : ٦٨٠ — ٦٨١ ، طبعة وستنفلد] (٢) البلدان لليعقوبي ص ٢٣٤ - ٢٣٥] (٣) معجم البلدان [١ : ٦٨٦]

ويا جنة الدنيا ويا مجتنى الغنى ومنبسط الآمال عند المتاجر

أما المؤرخون وكتبة التراجم ، فقد غالوا في عنايتهم ببغداد ، وفاقوا الشعراء والأدباء بكثرة ما صنفوه من الكتب والرسائل في أخبارها وتراجم رجالها وعمرانها وما جرى فيها من الحوادث الكبار والوقائع العظام والانقلابات العجيبة . وذيل بعضهم على كتب بعض ، فتعدت الأربعين مؤلفاً ، منها ما هو في غير مجلد . والذي سلم منها نسخ كاملة او أجزاء من اثنين وعشرين كتاباً ، نذكر منها :

كتاب بغداد : لأبي الفضل احمد بن أبي طاهر المعروف بـ(طيفور) (المتوفى سنة ٢٨٠ للهجرة) . وهو أقدم تاريخ وضع لمدينة بغداد .

تاريخ بغداد مدينة السلام: للحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ).

تذييل تاريخ بغداد : لأبي سعد السمعاني (٥٦٢ هـ) .

ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد : لأبي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي الواسطي (٦٣٧ هـ) . جعله ذيلاً على تاريخ بغداد لأبي سعد السمعاني ، الذي ذيل به تاريخ بغداد للخطيب .

ذيل تاريخ بغداد ويسمى أيضاً التاريخ المجدد : للحافظ محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي (٦٤٣ هـ) ، وهو ذيل عظيم على تاريخ بغداد للخطيب .

تراجم علماء بغداد : لأبي الخير نجم الدين سعيد بن عبد الله الدهلي (٧٤٩ هـ)

* * *

ويا لهفي على الكتب الأخرى التي ضاعت ولم يصل الينا منها غير اسمائها ، أو فقرات منها متناثرة في كتب الأدب والتاريخ والبلدان وغيرها . أو فصل نقله مؤرخ أو بلداني الى مصنفه . كما صنع هلال بن المحسن الصابئ (المتوفى سنة ٤٤٨ للهجرة) إذ استل فصلاً خطيراً من كتاب « فضائل بغداد العراق » تصنيف يزدجرد بن مهمندار الفارسي ، تناول فيه يزدجرد حمامات بغداد أيام بني العباس وما قيل فيها من اقوال ومبالغات . وها نحن أولاء ننشره فيما يلي من هذا المقال .

* * *

٢ — مَن ذكر كتاب « فضائل بغداد » وصاحبه (يَزْدَجِرْد الفارسيّ)

أقدم نبأ وقفنا عليه بشأن هذا الكتاب وصاحبه ، ما حكاه القاضي ابو علي المحسن التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) . قال:[1] تجارينا عند القاضي أبي الحسن محمد ابن صالح بن علي الهاشمي بن أم شيبان في سنة ستين وثلثمائة ، عظم بغداد و كثرة أهلها في أيام المقتدر ، وما كان فيها من الأبنية والشوارع والدروب ، و كبر البلد و كثرة أهله في سائر انواع الناس . وذكرتُ انا كتاباً رأيته ؛ لرجل يعرف بيزْدَجِرْد بن مهبندان الكسرويّ ، كان على عهد المقتدر ، بحضرة ابي محمد المهلبي كان سلم إليّ والى جماعة ممن حضر ، كراريس منه لننسخه وننفذه الى الأمير ركن الدولة ، لأنه التمس في وصف بغداد وإحصاء ما فيها من الحمامات ؛ وانها كانت عشرة آلاف ، وكثير من الكتاب يبلغها ، وعدد من يحتوي عليه البلد من الناس والسفن والملاحين ، وما يحتاج اليه في كل يوم من الحنطة والشعير والأقوات ، وانه حصل ما يصل الى أصحاب المعابر فيه من الثلاجين في كل يوم : اربعون الفاً ، او ثلاثون الفاً . — وذكر غيري كتاباً الفه احمد بن الطيب في مثل هذا ، فقال لي القاضي ابو الحسن : اما ذاك فعظيم لا نعلمه[2] ، وقد شاهدنا منه ما لا يستبعد معه أن يكون كما أخبر يَزْدَجِرْد واحمد بن الطيب ، إلا انا لم نحصه فنقطع العلم به ...»

ومن ذكره أيضاً ابن النديم (المتوفى نحو سنة ٣٨٥ هـ) . قال : « يزدجرد بن مهبندار الكسرويّ : في أيام المعتضد . وله من الكتب : كتاب فضائل بغداد وصفتها ، كتاب الدلائل على التوحيد من كلام الفلاسفة[3] » .

أما الحاج خليفة فقد ذكره غير مرّة . قال في مادة « تاريخ » : (وصنف أبو سهل يزدجرد بن مهاندار الكسرويّ كتاباً حسناً في صفة بغداد ، وعدد سككها

(١) نشوار المحاضرة [١ : ٦٤ — ٦٥] (٢) في كشف الظنون [٢٤٧:٤ ، طبعة فلوجل] = [٢ : ١٩٨ ، طبع استانبول] ما هذا نصه : « فضائل بغداد وأخبارها : لأبي العباس احمد بن محمد السرخسيّ الطيب ، مات سنة ٢٨٦ » . ونعتقد ان هذا الكتاب ، هو الذي عناه التنوخي ها هنا .

(٣) الفهرست (ص ١٢٨ ، طبعة فلوجل) = [ص ١٨٥ ، طبع مصر]

وحماماتها ، وما يحتاج اليه في كل يوم من الأقوات والأموال ، ذكره الصفدي[١] »
ثم عاد ثانية فذكر اسمه فقط بـ « فضائل بغداد[٢] »

* * *

٢ — لفظة « مهمندار »

وردت هذه الكلمة على غير شكل ، منها : « مهندان[٣] » و « مهنبداد[٤] »
و « مهنبدان[٥] » و « مهاندار[٦] » و « مهمندار[٧] » .

وعندنا انّ أصحّ الروايات هي الشكل الأخير ؛ أي « مهمندار » . والكلمة فارسية الأصل تعني وظيفة قديمة ، عرّفها القلقشندي[٨] بقوله : « المهمندار : هو الذي يتصدى لتلقي الرسل والعربان الواردين على السلطان ، وينزلهم دار الضيافة ، ويتحدث في القيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين فارسيين ؛ أحدهما (مَهمن) بفتح الميمين ومعناه الضيف ، والثاني (دار)[٩] ومعناه : مُمسك . ويكون معناه (مُمسك الضيف) . والمراد المتصدّي لأمره » اهـ .

* * *

٤ — فصلٌ من كتاب « فضائل بغداد العراق »

قال هلال بن المحسن الصابئ[١٠] في عرض كلامه على أحوال دار الخلافة العزيزة : « فأما بغداد في أيام العمارة ، فانه وقع في يدي كتاب يذكر ما في ايام

(١) كشف الظنون [٢ : ١٢٠ — ١٢١ ، فلوجل] = [١ : ٢٢٢ ، استانبول] = [١ : ٢٨٨ ، طبعة وزارة المعارف التركية سنة ١٩٤١] . (٢) كشف الظنون [٢ : ١٦٥ ، فلوجل] = [١ : ٢٣٩ ، استانبول] = [١ : ٣٢٤ : طبعة وزارة المعارف التركية] . (٣) نشوار المحاضرة [١ : ٦٥]
(٤) كشف الظنون [١ : ٢٨٨ ، وزارة المعارف التركيه] (٥) الفهرست لابن النديم [ص ١٢٨ ، فلوجل] = [ص ١٨٥ ، مصر] (٦) كشف الظنون (٢ : ١٢٠ ، فلوجل] (٧) صبح الأعشى [٥ : ٤٥٩] ، وكشف الظنون [١ : ٢٢٢ ، استانبول] (٨) صبح الأعشى [٥ : ٤٥٩]
(٩) قال القلقشندي في معنى (دار) : [صبح الأعشى ٥ : ٤٥٧] : هي لفظة فارسية معناها (مُمسك) ، فاعل من الإمساك . وكثير من كتاب الزمان أو أكثرهم ، بل كلهم يظنون انّ لفظ (دار) في ذلك عربي بمعنى (المحلة) ، كدار السلطان أو الأمير ونحو ذلك . (١٠) رسوم دار الخلافة [ص ١٩ ، المخطوط]

المعتضد بالله صلوات الله عليه وذلك بعد فتنة الأمين رحمة الله عليه ، التي احرقت وهدمت صدراً كبيراً منها ، وأثرت الآثار القبيحة(١) فيها ترجمته :

كتاب فضائل بغداد العراق ، تأليف يزدجرد بن مهمندار الفارسي ، لأمير المؤمنين المعتضد بالله ، صلوات الله عليه . قال فيه :

« قد أكثر الناس في بغداد العراق إكثاراً ، لم يعطونا فيه دليلاً ولا أفادونا به محصولاً ، واقتصروا على ان يقولوا ، بلدٌ لا يُشبه البلدان ، ولا كان مثله في قديم الأزمان(٢) . فإن من أقل مافيه ، انه يشتمل على مائتي الف حمام(٣) ؛ الى

(١) حلّ ببغداد غير نكبة ، وكان من أقساها وأشدها فتكاً وتخريباً : فتنة الأمين ، حين حاصر بغداد طاهر بن الحسين صاحب جيش المأمون فقد ساءت حال الناس ، ووثب على أهل الصلاح : الدعار والشطّار فعز الفاجر ، وذل المؤمن ، واشتد القتال حتى خربت الديار ، وعفت الآثار ، وغلت الاسعار ، وانتهبت الأموال ، وقتل الأخ أخاه ، والابن أباه . هؤلاء محمدية وهؤلاء مأمونية . وعملت النيران والنفط والمنجنيقات والعرّادات في كل جهة وسكة ومنزل ، فقتل بها المقبل والمدبر . فكثر الخراب والهدم حتى درست محاسن بغداد جنة الدنيا ، واشتدّ الأمر ، وتنقل الناس من موضع الى موضع ، فعم الخوف . ففي ذلك يقول عمرو بن عبد الملك العتري الورّاق (الطبري ٣ : ٨٧١ ، ٩٣٩ — ٩٤٠) ، ومروج الذهب [٦ : ٤٥٦] :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين	ألم تكوني زماناً قرّة العين
ألم يكن فيك أقوام لهم شرفٌ	بالصالحات وبالمعروف يلقوني
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم	وكان قربهم زيناً من الزين
صاح الزمان بهم بالبيْن فانقرضوا	فما الذي فجعتني لوعة البين
يا من يُخرّب بغداداً ليعمرها	أهلكت نفسك مابين الطريقين

(٢) قال الخطيب البغدادي [المقدمة الخططية لتاريخ بغداد ص ٧٦ — ٧٧ ، طبع باريس] : « لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها ، وفخامة أمرها ، وكثرة علمائها وأعلامها ، وتميز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها ، وسعة اطرارها ، وكثرة دورها ومنازلها ، ودروبها وشوارعها ، ومحالها وأسواقها ، وسككها وأزقتها ، ومساجدها ، وحماماتها ، وطرقها ، وخاناتها ، وطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وبرد ظلالها وأفيائها ، واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة ربيعها وخريفها ، وزيادة ماحصر من عدة سكانها . وأكثر ما كانت عمارة وأهلاً في أيام الرشيد إذ الدنيا قارة المضاجع ، دارة المراضع ، خصيبة المراتع ، موردة المشارع ، ثم حدثت بها الفتن ، وتتابعت على أهلها المحن ، فخرب عمرانها ، وانتقل قطانها ، إلا أنها كانت قبل وقتنا والسابق لعصرنا على ما بها من الاختلال والتناقص في جميع الأحوال ، مباينة لجميع الأمصار ومخالفة لسائر الديار » . (٣) عقدنا فصلاً قائماً بذاته في هذا الشأن ، أسميناه : [حمامات بغداد في العصر العباسي] لم ينشر بعد .

الضعف ، ومن المساجد[1] والطرازات[2] كذلك الى ما هو متضاعف . فاذا أخذوا ، أو أكثرهم بإيراد الحجة ، وإقامة الدّلالة ، لم يأتوا بقول محصل ، وبرهان معوّل ، ونحن نفتتح القولَ باتباع أعدل الأحكام ، وأقرب الأمور الى الافهام ، ولا نقول كالذي قالوه في عدد الحمامات ، واعتقدوه في المنازل والمساجد والطرازات ؛ اشفاقاً من هجنة الاسراف على السامعين ، فانا اذا وجدنا كثيراً من الخاصة والعامة مذعنين بعدّة الحمامات . وانها مائتا الف حمام ، دون ما فوقها من الزيادات . ثم قال آخرون : بل هي مائة وثلاثون الف حمام ، كما قالوا مائة وعشرون [الف] ، وبه قال الشاه بن ميكال ، وطاهر بن محمد الطاهري . ثم قالوا من قبل ومن بعد بما زاد على المائة [الف] وبما انتقص منها ؛ قرّرنا اختلافهم على حدٍ نرجوه عدلاً متوسطاً ، وحكماً متقبلاً ، واقتصرنا من عدد الحمامات على ستين الف حمام ؛ استظهاراً ، وجعلنا العلة في ذلك ان نأخذ وسط ما ذكروه من أعدادها ، وما وجدنا الخاصة ، وأكثرهم يدعيه في اعتقادها ، وهو مائة وعشرون الف حمام ، فاقتصرنا على النصف من المائة والعشرين ، لئلا يقبح في التقدير او تضيق عن قبوله الصدور . ثم نظرنا في قدر ما يحتاج اليه كلّ حمام من القوّام[3] الذين لا قوام له إلا بهم ؛ فوجدنا الحمام محتاجاً الى ستة نفرٍ هم : صاحب الصندوق ، والقيم ، والوقاد ، والزّبال ، والمزين ، والحجام ، وربما أطاف بالحمام ضعف هذا العدد ، ولكنا ركبنا سنن[4] الاستظهار في معنانا هذا ، فاذا

---

(١) نقل الخطيب البغدادي (المقدمة الخططية ص ٧٤ — ٧٥) من قول أبي بكر محمد بن يحيى النديم « ان عدد الحمامات كان في ذلك الوقت ستين الف حمام ، ..... وذكر انه يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد . يكون ذلك ثلثمائة الف مسجد ، وتقدير ذلك أن يكون أقل ما يكون في كل مسجد خمسة أنفس ، يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف انسان ..... » .

قلنا : معنى ذلك ان ما تضمه مساجد بغداد من الأنفس يوم ذاك ، بلغ مليوناً ونصف المليون من الأنفس ، وهذا غاية في المبالغة والبعد عن الحقيقة . (٢) الطرازات جمع طراز « وهو الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة . وهو معرّب » . راجع تاج العروس [٤ : ٢٨] . (٣) القوّام جمع قيم . والقيم على الأمر متوليه . (٤) السنن : الطريقة . يقال استقام فلان على سَنن واحد أي على طريقة واحدة .

فرضنا عدة الحمامات ستين الف حمام ، فقد حصل عدد ما فيها من القوّام والمزينين والحجامين : ثلثمائة وستين الف انسان . ثم فرضنا بهذا التقريب لكل حمام مائتي منزل قياساً على ما حصل من المنازل على عدة الحمامات بمدينة أمير المؤمنين المنصور صلوات الله عليه ، وهو لكل حمام اربعمائة منزل ؛ واستظهاراً بأخذ النصف من ذاك ، فاجتمع من عدد المنازل على هذه الفريضة : اثنا عشر الف الف منزل[1] ثم وجدنا قد يجتمع في المنزل الواحد عشرون نفساً ، وفي غيره نفسان او ثلاثة ، وما هو أقل من ذلك واكثر ، فاحتجنا الى ان نفرض عدداً متوسطاً يعتدل به الأمر ، ويزول معه الشك ، فنقصنا من العشرين نصفها ، وزدنا على الثلاثة ضعفها ، وجمعنا ما بقينا وزدنا ، فكان : ستة عشر ، وأخذنا النصف فكان : ثمانية نفر بين رجالٍ ونساء وأكابر وأصاغر . فاجتمع لنا من عدد من تضمه هذه المنازل ستة وتسعون الف الف انسان[2] » . انتهى كلام يزدجرد بن مهمندار الفارسي[3] .

* * *

وعلق هلال الصابئ على كلام يزدجرد بن مهمندار ما يلي[4] : « ثم ركّب مصنف هذا الكتاب من هذه القاعدة قياساً ، فما يريده هذا العدد من الناس من أصناف المأكول ، والمستعمل ، واللباس . وحكى في عرض ما أورده ان عبيد الله الطاهري ، حدّثه ان اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، أخبره انه رُفع اليه ان قدر ثمن ما يباع من الباقلي المطبوخ في كل يوم في احد جانبي بغداد ستون الف دينار . وحق ذاك ان يكون في الجانبين جميعاً مائة وعشرين الف دينار[5] ، الى غير هذا مما أورده وفصله ، واستقصى القول فيه ولخصه » .

---

(١) أي ١٢ مليون منزل ! (٢) أي ٩٦ مليون نسمة عدد سكان بغداد ! يا لهول المبالغة !
(٣) رسوم دار الخلافة (ص ١٩ — ٢٣ ؛ المخطوط) (٤) رسوم دار الخلافة (ص ٢٣ — ٢٤ ؛ المخطوط) . (٥) نظير هذا ما حكاه القاضي المحسن التنوخي (نشوار المحاضرة ١:٦٥ — ٦٦) . قال : « ... ولكن بالأمس في سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، لماضمن محمد بن احمد المعروف بترة ، بادوريا عمّرها وتناهى في ذلك ، فأحصينا وحصلنا ما زرع فيها من جربان الخس في هذه السنة وقدرنا بكلواذا وقطربل وقرب بغداد مما يحمل اليها من الخس على تقريب ، فكان الجميع الفي جريب ، وجدنا كل جريب خس يزرع فيه ستة أبواب ، يقلع من كل باب من الأصول كذا وكذا ، ولم أحفظه =

ومن بعد هذا أضاف هلال الصابئ الى ذلك قوله : « وانما أوردنا هذه الجملة من أمر بغداد مع خروجها عن الغرض الذي قصدناه . لئلا يستكثر في دار الخلافة ما ذكرناه . وحدثني ابراهيم بن هلال جدّي : ان الحمامات أُحصيت في أيام معز الدولة ، فكانت سبعة عشر الف حمام ، وانهم عجبوا من انتهائها الى هذه العدّة ، مع كونها في أيام المقتدر بالله صلوات الله عليه : سبعة وعشرين الف حمام . ولقد عُدّت في أيام عضد الدولة فكانت : خمسة آلاف وكسراً . وفي ايام بهاء الدولة وسنة اثنتين وثمانين وثلثمائة فكانت : الفاً وخمسمائة حمام ونيفاً . وهي الآن مائة ونيف وخمسون حماماً . ولقد كنتُ أعجب من الحكايات المختلفة في ذلك ، وما كان يُقال قديماً فيه ؛ حتى قام عندي برهان منه ؛ وهو انه قد اتخذ بباب المراتب [1] المعمور في ثلاثين داراً مسكونة بعد ما أهله غيب عنه : خمسة عشر حماماً . فاذا كان ذلك في هذه الدور القليلة والعدّة من الخواصّ القريبة ؛ فما كانت عدّة خواصّ الناس في

= يكون بجريب كذا وكذا أصلاً ، وسعر الحس اذ ذاك على أوسط الأسعار : كل عشرين خمسة بدرهم واحد ، فحصل لنا ان ارتفاع الجريب على أوسط الريع والسعر : ثلثمائة وخمسون درهماً ، قيمتها خمسة وعشرون ديناراً ، يكون لألفي جريب : خمسون الف دينار ، وكل ذلك يؤكل ببغداد . — فما ظنك ببلد يؤكل في فصل من فصول السنة صنف واحد من صنوف البقل بخمسين الف دينار . ثم قال لي القاضي (ونقلها الخطيب البغدادي الى مقدمته ؛ ص ٧٧) . أخبرني رجل يبيع سويق الحمص دون غيره من الأسوقة ، أسماه وأنسيته ، انه أحصى ما يتخذ في سوقه من سويق الحمص في كل سنة ، وكان مبلغه مائة واربعين كرّاً (يكون حصاً مائتين وثمانين كراً) ، وانه يخرج في كل سنة منهم حتى لا يبقى منه شيء ، فاذا حال الحول طحنوا مثل ذلك . هذا وسويق الحمص غير طيب ، وانما تأكله الضعفاء والمتجملون شهرين أو ثلاثة من السنة عند عدم الفواكه ، وأمثالهم ممن رأيت من الناس من لا يأكل ذلك أصلاً ... »

(١) باب المراتب أحد أبواب دار الخلافة ببغداد ، كثير الورود التاريخي في معاجم البلدان وكتب التاريخ . قال فيه ابن عبد الحق الحنبلي (المتوفى سنة ٧٣٩ هـ) : (مراصد الاطلاع في اسماء الأمكنة والبقاع ١ : ١١٣ — ١١٦ طبع الفرنج) : « كان من أجل أبوابها وأشرفها ، له حاجب عظيم القدر ، نافذ الامر . داخله محلة كبيرة كان يسكنها الأكابر والتجار والأشراف ذوو البيوتات القديمة ، وكانت الدور بها غالية لها قيمة . ثم باد أهلها وانتقلوا عنها . فأما الآن فلم يبق لها قيمة ، وأرادوا أهلها بيعها فلم تشتر منهم ، فنقضوها وباعوا أنقاضها » .

أيام المعتضد بالله رحمة الله عليه ، من الوزراء والكتاب والحواشي والأصحاب والأمراء والقوّاد والأشراف والقضاة والشهود والتناء والتجار وأولي المروّات والأحوال الوافرات ، لتنقص عن خمسين الف. إنسان ، إذا استظهرنا بالاقتصار على ذلك ، ولا تخلو دار كلّ واحد منهم من حمام على التقليل ، وإلا ففي دور كثير منهم الحمامات ، واذا اثبت هذا القول ، اطردت به تلك الدعوى ، ووجب ان يكون قول المكثر أغلب من قول المقتصر . ومعلوم أيضاً ان بلداً كانت على نهره. الذي يخترقه ، أعني دجلة ثلاثة جسورة ، لا يستبعد كون ساكنيه العدّة المذكورة[1] » اهـ

(بغداد) ميخائيل عوّاد

---

(١) رسوم دار الخلافة (ص ٢٤ — ٢٦ ، المخطوط) .

حرف الدال المهملة

الدُّبة الطريق قال :

طها هِذْرِيانٌ قلَّ تغميضُ عينه على دُبَّة مثلِ الخَنيف المُرَعْبَلِ (١)

ودُبَّة الرجل طريقه الذي يدب عليه

دُرُوء الطريق كسوره وأخافيقه · وطريق ذو دروء أي ذو كسور وحدَب وجرَفة جمع دَرْء والدَرْء العوج في العصا ونحوها مما تصعب اقامته

الدَّرْب : المدخل بين جبلين والجمع دروب وليس اصله عربياً والعرب تستعمله في معنى الباب فيقال لباب السكة درب وللمدخل الضيق درب لأنه كالباب لما يفضي اليه هكذا قال في المصباح

وفي اللسان الدرب باب السكة الواسع أو الواسعة والجمع دِراب وأنشد سيبويه :

مثل الكلاب تهر عند درابها ورمت لهازمها من الخزباز (٢)

شبههم بالكلاب النابحة عند الدروب وروى هذا البيت تهر حول درابها · ورواه الأخفش تهر عند جرائها والصواب ما ذكرناه ·

وكل مدخل الى بلاد الروم درب من دروبها وقيل هو بفتح الراء للنافذ منه وبالسكون لغير النافذ · وأصل الدرب المضيق في الجبال ومنه قولهم ادرب القوم اذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم

الدَّرَج : المحاجّ والطريق وجمعه أدراج قال :

يَلُف غُفْلِ البيد بالأدراج (٣)

(١) طها : ذهب · ورجل هِذْرِيان خفيف الكلام والخدمة · والخَنيف ثوب من الكتان أبيض والرعبل المقطع (٢) هر الكلب صوت دون النباح من قلة صبره على البرد وهر نبح وكشر عن نابه ورمت : انتفخت ونتأت و للهازم جمع لِهزِمة بكسر الأول والثالث وهي عظم ناتئ في اللحي تحت الأذن وهما لهزمتان · وقيل هي لحة في أصل الحنك والخِزْباز لغة في الخازباز وهي قرحة تأخذ في الحلق

(٣) يلف يجمع ويخلط · وغفل البيد ما لا علم فيه ·

معناه انه جيش عظيم يخلط هذا بهـذا ويمنى الطريق ورجع درجه وأدراجه أي رجع في طريقه الذي جاء فيه ورجع درجه اذا رجع في الأمر الذي كان ترك . ويقال للرجل اذا طلب شيئاً فلم يقدر عليه رجع على إدراجه ورجع درجه الأول . ورجع على حافرته وإدراجه بكسر الهمزة اذا رجع في طريقه الأول . وفلان على دَرَج كذا أي على سبيله . ودَرَج السيل ومَدْرَجه منحدره وطريقه في معاطف الأودية ويقال للطريق الذي يدرج فيه الغلام والريح وغيرهما مَدْرَج ومَدْرَجة ودَرَج أي ممر ومذهب

ومَدْرَجة الطريق معظمه وسننه وقارعته قال :

ضربوا بمدرجة الطريق خيامهم   يتسابقون الى قرى الضيفان (١)

وهذا الأمر مدرجة لهذا اي متوصل به اليه ومدارج الأكمة طرق معترضة فيها والمدارج الثنايا الغلاظ بين الجبال واحدتها مدرجة وهي المواضع التي يدرج فيها اي يمشى قال عبدالله ذوالبجادين المزني يخاطب ناقة النبي ﷺ وهو يقودها به وكان دليله

تعرضي مدارجاً وسومي   تعرض الجوزاء للنجوم   هذا ابوالقاسم فاستقيمي (٢)

والمَدْرَجة المذهب والمسلك قال ساعدة بن جؤية يصف سيفاً :

ترى إثره في صفحتيه كأنه   مَدارج شِبثانٍ لهن هميم (٣)

وفي نظام الغريب المَدْرَج والمدرجة الطريق

دَرَر الطريق قصده ومتنه ويقال هو على درر الطريق اي على مدرجته وفي الصحاح على قصده وهما على درر واحد أي على قصد واحد

الدَّرْس بالفتح الطريق الخفي كأنه درس أثره حتى خفي وطريق مدروس

---

(١) ضربوا نصبوا والخيام جمع خَيم لغة في الخيمة وهي بيت تبنيه العرب من أربعة أعواد ثم يسقف بالثمام والقرى ما يقدم للضيف والضيفان جمع ضيف . (٢) سمي ذا البجادين لأنه حين أراد المسير الى النبي ﷺ قطعت له أمه بجاداً باثنين فاتزر بواحد وارتدى بآخر . تعرضي خذي يمنة ويسرة وتنكبي المداوج وهي الثنايا الغلاظ تعرض الجوزاء لأن الجوزاء تمر على جنب معارضة وليست بمستقيمة في السماء شبهها بالجوزاء لأنها تمر معترضة في السماء غير مستقيمة الكواكب في الصورة وسومي من السوم وهو سرعة المر مع قصد الصوب في السير وأبو القاسم النبي ﷺ . (٣) أراد بأثره فرنده الذي تراه العين كأنه أرجل النمل وشِبثان جمع شَبث دابة كثيرة الأرجل من أحناش الأرض وهميم دبيب

كثر طارقوه حتى ذللوه ومَدرسة النَعَم طريقها وهو مجاز

الدَّيْسَق : الطريق المستطيل

الدُّعْبوب كعصفور : الطريق المذلل الموطوء الواضح الذي يسلكه الناس قالت جنوب الهذلية :

وكل قوم وان عزُّوا وان كثروا   يوماً طريقهم في الشر دُعْبوب (١)

قال الفراء وكذلك الذي يطؤه كل أحد . وفي التاج الطريق المذلل المسلوك الواضح لمن سلك قال ابو خراش :

في ذات رَيْد كزَلْق الزخ مشرفة   طريقها سَرِب بالناس دعبوب (٢)

وفي تهذيب الألفاظ طريق دعبوب اذا كان كثير السابلة كثير الآثار

دَعست الإبل الطريق تدعَسه دَعْساً وطئته وطأ شديداً وطريق دَعْس ومِدْعاس ومَدْعوس دعسته القوائم ووطئته وكثرت فيه الآثار والمِدْعس والمدعاس كمنبر ومفتاح الطريق الذي لينته المارة قال رؤبة يصف حميراً وردت الماء :

في رسم آثار ومِدْعاس دَعِق   يَرِدْن تحت الأثل سيَّاح الدَسَق (٣)

والدَّعس الأثر البين في الطريق

وفي تهذيب الألفاظ طريق دَعس ومدعوس اذا كثرت به الآثار قال مالك بن حريم الهمداني :

فمن يأتنا يوماً يَقصّ طريقنا   يجد أثراً دَعْساً وسخلاً مُوَضَّعا (٤)

دَعَق الطريق كمنع : وطئه وطأ شديداً وطريق دَعق وعث موطوء كثير الآثار مصدر بمعنى مفعول وطريق مدعوق مثله وقد دُعِق يُدعق دَعقاً اذا كثر عليه الوطء قال :

---

(١) عزّوا العز في الأصل القوة والشدة والغلبة والرفعة ويأتي بمعنى القلة (٢) الرَّيد حرف من حروف الجبل وقوله كزلق الزخ هكذا في اللسان ولم يتضح لي معناه مشرفة عالية مرتفعة ولعله كذلق الزج وذلق كل شيء حده (٣) أي مر هذه الحمير في رسم قد أثرت فيه حوافرها والأثل شجر يشبه الطرفاء وقيل نوع منها ، وكان منبر النبي ﷺ من أثل الغابة والسياح الذي يسيح على وجه الأرض والدسق البياض يريد أن الماء أبيض . (٤) يقص يتبع والسخل جمع سخلة ويريدبها هنا أولاد الابل والخيل والموضع المتفرق يريد أنهم يسيرون كثيراً فتضع الحوامل حملها في موضع بعد موضع وليست في موضع واحد

يَرْكبن ثِني لاحب مدعوق نائي القراديد من البثوق(١)

وطريق دَعِق ككتف مثله قال رؤبة :

في رسم آثار ومِدْعاس دَعِق

وطريق دَعْك : مدعوق ويقال تنح عن دُعكة الطريق وعن ضحكه وضحاكه وعن حنانه وجديته وسليقته ٠

ويقال طريق دَعكم : اي سهل كذا قال في جواهر الألفاظ

دُعميّ الطريق معظمه او وسطه قال الراجز يصف إبلاً :

وصدرت تبتدر الثنيا تركب من دُعميها دُعميا(٢)

دُعميها : وسطها ٠ دعميا : أي طريقاً موطوءاً

ويقال طريق يدفع إلى طريق كذا اي ينتهي ومنه غشيتنا سحابة فدفعناها الى بني فلان اي انصرفت عنا اليهم ودفع فلان الى فلان : انتهى

الدَّلثع كجعفر الطريق السهل وقيل هو أسهل طريق يكون في سهل أو حزن لا حطوط فيه ولا هبوط ٠

المَدْلَج والمَدْلَجة بفتح اولها الموضع الذي يذهب ويجيء فيه الدالج وهو من يأخذ الدلو ويمشي بها من رأس البئر الى الحوض ليفرغها فيه قال عنترة :

كأن رماحهم أشطان بئر لها في كل مَدْلَجة خدود(٣)

الدَّلوع كصبور الطريق

الدَّليع كأمير الطريق الواسع وقيل السهل في مكان حزن لا صعود فيه ولا هبوط والجمع دلائع

الدَّولع كجوهر الدليع وقيل هو الطريق الضحاك

---

(١) ثني جانب نائي هكذا رواه في اللسان ورواه نابي والنائي البعيد والنابي المرتفع والمتجافي المتباعد والقراديد جمع قُرْدودة والمراد بها هنا الموضع النائي وسطه والبثوق هكذا ورد في اللسان ورواه في فردد من البؤوق والبثوق جمع بثق كحرف ورجل منبعث الماء والبؤوق مصدر باقتهم الداهية بوقاً وبؤوقاً أصابتهم (٢) صدرت رجعت تبتدر تسرع وتعاجل والثني موضع بالجزيرة وماء يقرب من ادم قرب ذي قار به قلب وآبار (٣) اشطان جمع شطن الحبل الطويل والخدود جمع خد الحفرة

ويقال طريق دَلفق كجعفر ودِلفاق كقرطاس أي مهيع

الدَّليلة: المحجة البيضاء وهي الدلّي وفي التاج الدُلّى كرُبى المحجة الواضحة دلّه على الطريق سدده اليه فاندل ودللت بهذا الطريق عرفته وأدللت بالطريق

الدَّلنثع كسفرجل الطريق الواضح

وطريق دَلنَّع كعملَّس سهل والجمع دلانع

ويقال طريق دَهثم أي سهل

وطريق دهجم سهل وطريق دَهمج سهل كذا في جواهر الألفاظ

ديَّث الطريق وطَّأه وطريق مُدَيَّث أي مذلل وقيل اذا سلك حتى وضح واستبان

داص عن الطريق يديص عدل عنه

الذال

ويقال هذه ناقة تُذارع بُعد الطريق أي تمد باعها وذراعها لتقطعه وهي تذارع الفلاة وتذرّعها اذا أسرعت فيها كأنها تقيسها

وطريق مُذْكِر مخوف صعب ضبطه في التاج كمحسن وضبط بالشكل في اللسان مُذكَر

ويقال اركبوا ذِلّ الطريق أي وسطه

وذِلّ الطريق ما وطئ منه وسهل وطريق ذليل من طرق ذُلُل ومنه قوله تعالى «فاسلكي سبل ربك ذُللا» اذا جعلت ذللا صفة للسبل وطريق مُذَلَّل اذا كان موطوءاً سهلاً

الذِّنابة بالكسر من الطريق وجهه قال أبو الجراح لرجل: إنك لم تُرشد ذِنابة الطريق يعني وجهه وفي الحديث: «من مات على ذُنابى طريق فهو من أهله» يعني على قصد طريق. وأصل الذنابى منبت الذنب وتذنب الطريق أخذه كأنه أخذ ذنابته أو جاءه من ذنبه.

الراء المهملة

الرُّتب: الصخر المتقارب في الطريق وبعضها ارفع من بعض مثل الدرج واحده رتبة كذا في تهذيب الألفاظ وفي اللسان الرَّتَب الصخور المتقاربة وبعضها أرفع من بعض واحدتها رَتَبة والمراتب مضايق الأودية في حزونة.

المَرَاتِج: الطرق الضيقة لا واحد لها يقال زَلّوا عن المناهج فوقعوا في المراتج هكذا استعمل ولم يذكروا له مفرداً . وسكة رِتج بالكسر لا منفذ لها .

الرَّتم محركة المحجة ويقال طريق رجيل اذا كان غليظاً وعراً في الجبل

وطريق رَحْب: واسع وفي حديث ابن زمل على طريق رحب اي واسع

الرَّدْب الطريق الذي لا ينفذ وقيل انه مقلوب درب وليس بثبت

الرُشْد والرَّشد والرَشاد نقيض الضلال رشد اذا اصاب وجه الأمر والطريق وأرشد الضال هداه الطريق واذا أرشدك انسان الطريق فقل لا يَعمَ عليك الرُشد والمراشد مقاصد الطرق . والطريق الأرشد نحو الأقصد وفي القرآن الكريم: «يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد» اي اهدكم سبيل القصد سبيل الله .

المَرْصد كمقعد والمِرصاد كمفتاح والمرتصد: الطريق وفي القرآن الكريم: «واقعدوا لهم كل مَرْصد» قيل معناه كل طريق . وقال عدي:

وان المنايا للرجال بمَرْصد

وفي القرآن أيضاً: «وان ربك لبالمرصاد» اي بالطريق الذي ممرك عليه[1] . وفلان يَرْصد فلاناً: يقعد له على طريقه . والرَصيد: الحية ترصد المارة على الطريق لتلسع والرَّصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث .

ويقال طريق رغيب اي واسع مجاز والجمع رُغب بضمتين قال الحطيئة يصف طريقاً:

مستهلِك الورد كالأُسْتي قد جعلت أيدي المطي به عادية رُغبا[2]

الرِفاض الطرق المتفرقة أخاديدها قال رؤبة:

يقطع أجواز الفلا انقضاضي بالعيس فوق الشَرَك الرِفاض[3]

(١) وفي فقه اللغة المرصاد الطريق الواضح وقد نطق به القرآن (٢) مستهلك الورد يجهد من سالكه والأُستي بضم الهمزة السدى وعادية قديمة . رغبا واسعة وروى ركبا جمع ركوب أي مذلل شبه شرك الطريق بسدى الثوب (٣) أصل القطع الفصل بين الأجزاء ومنه قطع الوادي اذا جازه وقطع الماء شقه واجواز جمع جوز، وجوز كل شيء وسطه والفلا جمع فلاة وهي المفازة والقفر من الأرض سميت فلاة لأنها فليت عن كل خير اي فطمت وعزلت وقيل هي التي لا ماء بها ولا أنيس وأصل الانقضاض الهوي من علو يقال انقض النجم اذا هوى وانقض البازي هوى في طيرانه ليسقط على شيء والعيس جمع أعيس وعيساء وهو الابل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة والشرك جمع شركة معظم الطريق أو وسطه

وهي أخاديد الجادة المتفرقة وقيل هي المرفضة المتفرقة يمينًا وشمالاً وقال قدامة : الروافض الطرقات المتفرقة ·

المَرْقَدُ الطريق الواضح وعن الأصمعي المِرْقد مخففًا وفي المخصص وعن الأصمعي المَرقد بفتح الميم ولا ادري كيف هو وفي تهذيب الألفاظ وطريق مرقد وهو البين الواضح

ويقال طريق رَكوب: أي مركوب مذلل والجمع رُكب وقد تقدم في قول الحطيئة على رواية والركوب الطريق التي بها آثار وركبت أثره وطريقه إذا تبعته ملتحقًا به ·

المَركل كمقعد الطريق لأنه يضرب بالرجل كأنه مأخوذ من الركل وهو ضرب الفرس بالرجل ليعدو · والمركل حيث تصيبه رجلك من الدابة

مَرتكم الطريق بفتح الكاف جادته ومحجته يقال سلك جادته ومرتكمه اي محجته ·

وارمقّ الطريق امتدّ وطال قال رؤبة :

عرفتُ من ضرب الحرير عتقًا فيه اذا السهبُ بهن ارمقّا(١)

وطريق رهاء واسع

الرِبع والرَيع الطريق المنفرج عن الجبل وفي الصحاح الطريق ولم يقيد ومنه قول المسيب بن علس يذكر ظعنًا :

في الآل يخفضها ويرفعها ريع يلوح كأنه سحل(٢)

شبه الطريق بثوب أبيض · وقيل الريع والربع كل طريق سلك أو لم يسلك قال :

كظهر الترس ليس بهن ربع(٣)

وقيل الطريق المنفرج في الجبال خاصة وقال ابن السكيت والربع مثل النجد وطريق رائغ مائل وهو مجاز وفي حديث الأحنف فعدلت الى رائغة من روائغ المدينة اي طريق يعدل ويميل عن الطريق الأعظم ·

(يتبع) محمد سليم الجندي

---

(١) الحرير كأمير فحل من فحول الخيل معروف وهو جد الفرس الذي يصفه رؤبة وضربه نسله والعتق الكرم والسهب الفلاة أو المستوى من الارض في سهولة وقيل غير ذلك (٢) الآل السراب وقيل الآل الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والارض يرفع الشخوص ويزهاها والسراب الذي يكون نصف النهار لاطئاً بالارض كأنه ماء جار يلوح ويبدو ويظهر والسحل الثوب الأبيض من الكرسف شبه الطريق الثوب أبيض وقيل هذا البيت: ولقد أرى ظعناً ابينها تحدى كأن زهاءها الاثل والزهاء كتراب الشخص واحده كجمعه (٣) الترس ما يتوقى به ·

دراسات عن مقدمة ابن خلدون [1]

تأليف السيد ساطع الحصري . الجزء الثاني ، بيروت ، مطبعة الكشاف
عدد صفحاته ٢١٥ ، من القطع الوسط .

يشتمل هذا الكتاب على اكثر المباحث التي أشار اليها المؤلف في الجزء الأول من دراساته ، كالتطور التدريجي في الطبيعة والمجتمعات ، والمذاهب الأساسية في علم الاجتماع ، والدولة وتطوراتها ، والحروب ، والنفس الانسانية ، والتربية والتعليم ، والتفكير والايمان ، والتشبيهات المادية ، ونقد كتاب فلسفة ابن خلدون الاجتماعية للدكتور طه حسين

وقد سلك مؤلفه فيه طريقة النقد والتحليل التي ذكر أسسها في الجزء الأول . فأشار الى آراء ابن خلدون في ترتيب المخلوقات ، وربط الأسباب بالمسببات ، واتصال الأكوان بالأكوان ، وتبدل الأحوال في الأمم بتبدل الأعصار والأيام ، واختلاف الأطوار باختلاف الأحوال ، ورسوخ الصنائع في الأمصار برسوخ العمران ، كما نبه الى رأيه في الدولة وعمرها وأطوارها واتساع نطاقها ، والحروب وأسبابها ، وغاياتها وانواعها ، وطرقها ومذاهبها ، وأسباب الغلب والظفر ، وقيادة الأساطيل ، وشارات الملك والسلطان . وقد أشار أيضاً الى آراء ابن خلدون في النفس الانسانية وقواها ، وذكر نزعته الروحية ومراتب الفكر الانساني ، وبين ان في المقدمة آراء نفسية طريفة كقول ابن خلدون بأثر اليد في تكون الفكر ، وبحثه عن الملكات وأثرها في حياة الانسان العقلية والعملية . وربما كانت نظرية الملكات هذه اعظم آراء ابن خلدون النفسية قيمة ، وأشدها اتصالاً بمذهبه الاجتماعي . فقد بين فيها ان الافعال لا بد من عود آثارها الى النفس ، وان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكراره ، وان قوة الملكة انما تنمو بتغذيتها ، وان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت وكأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ، وان الانسان ابن عوائده

(١) راجع مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول والثاني من المجلد التاسع عشر ، كانون الثاني وشباط ١٩٤٤)

ومألوفه ، لا ابن طبيعته ومزاجه ، وان تكون السجايا والطبائع انما هو من المألوفات « والعوائد » ، وان العوائد تقلب طباع الانسان الى مألوفها ، وان القريحة مثل الضرع تزيد بالامتراء ، وتجف بالترك و الاهمال .

فهذه الآراء تدل كلها على استناد ابن خلدون الى الأسس النفسية في تعليل الظواهر الاجتماعية . وقد استقصى المؤلف جميع هذه الآراء واستوعبها ، وجمع أشتاتها من ابواب المقدمة بطريقة علمية صحيحة . وربما كان الفصل الذي عقده لبيان آراء ابن خلدون في التربية والتعليم احسن فصول كتابه دلالة على أسلوبه الفني ، فقد بين لنا فيه ان صاحب المقدمة كان يؤمن بتأثير العلم في التربية ، ويعتقد ان العلم والتعليم عمل اجتماعي ، لانه صناعة من جملة « الصنائع » يتلقاها الآخر عن الأول . وهذا شبيه برأي (دوركهايم) الذي عرف التربية بقوله : هي تأثير الجيل الراشد في الجيل الناشئ .

وقد ذكر المؤلف رأي ابن خلدون في تعليم العلوم ووجه الصواب فيه وطريق افادته ، وأشار الى طريقة التدريج ، ومراعاة مدارك المتعلمين وقوة عقلهم واستعدادهم لقبول ما يرد عليهم حتى ينتهوا الى آخر الفن ، ولزوم التكرار لتحصيل الملكات ، وضرورة تفرغ العقل الى مسألة واحدة من مسائل العلم ، واقتصاره عليها قبل الانتقال الى غيرها ، كما أشار الى بعض الحقائق التاريخية المجهولة ، عن أصول التعليم في عصر ابن خلدون كحرية التدريس واشراف الدولة عليه في حدود « الحسبة » ومذاهب الأقطار الاسلامية في تعليم الولدان الى غير ذلك من المباحث القيمة التي أجاد الأستاذ في استقصائها وعرضها وتحليلها ونقدها ، فكانت خير ما كتب حتى الآن باللغة العربية عن آراء ابن خلدون في التربية والتعليم .

وقد رغب المؤلف في بيان منزلة ابن خلدون في تاريخ الفكر البشري ، فساقته هذه الرغبة الى المقارنة بينه وبين العلماء المتأخرين ، فوازن في الجزء الأول بينه وبين فيكو ومونتسكيو وسبنسر وتارد ، كما قارن في الجزء الثاني بينه وبين داروين وكارل ماركس ودوركهايم وبرغسون وغيرهم . وكنا نود لو قارن المؤلف بين ابن خلدون وغيره من فلاسفة العرب الذين سبقوه . فان الطريقة التاريخية

تقتضي ان ينسب الفيلسوف الى زمانه ، وان يبحث عن المسائل التي اقتبسها من غيره ، وان تبين منزلته في تاريخ العلوم والأفكار ، لا بالنسبة الى من جاء بعده فحسب ، بل بالنسبة الى من تقدمه أيضاً . وقد فطن الأستاذ الحصري الى هذا الأمر فقال عند الكلام عن آراء ابن خلدون في النفس الانسانية ان نظريته : « لا تخرج — من حيث الأساس — عن نطاق الآراء الشائعة بين مفكري الاسلام في عهد ابن خلدون . ومن المعلوم انها تنحدر عن نظرية ارسطو في النفس » (ص — ٨٣) . وكان قد فرق في الكتاب الأول « بين مباحث المقدمة الأساسية التي تحوم حول علم العمران وأسس التاريخ وبين المباحث الاستطرادية التي تأتي تمهيداً للأبحاث الأصلية او إتماماً لها » ونبه الى ان عمل ابن خلدون في هذه المباحث الأخيرة لا يتعدى حدود النقل والجمع والعرض والتلخيص والترجيح والتسجيل . وحبذا لو اسهب المؤلف في هذا التحقيق التاريخي ودلنا على النبع الذي استقى منه ابن خلدون مباحثه . فان من ينعم النظر في المقدمة يجد فيها كثيراً من آراء الفارابي وابن سينا واخوان الصفا والغزالي وابن الطفيل وغيرهم . انظر مثلاً الى رأي ابن خلدون في النبوة ، فهو مأخوذ من نظرية الفارابي وابن سينا . وانظر أيضاً الى رأي ابن خلدون في التطور واتصال الأكوان بالأكوان واستحالتها بعضها الى بعض فهو مقتبس من كتاب اخوان الصفا . (راجع كتاب اخوان الصفا ، الرسالة السابعة من الجسمانيات الطبيعيات ، ص ١٤٥ وما يليها) . وقد سبق الغزالي ابن خلدون الى الكلام عن الحال والعلم ونسبية الادراكات وتحديد نطاق العقل (راجع المنقذ من الضلال ، ص — ٧١ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨) ، كما سبقه ابن الطفيل الى عمل اليد وأثرها في تكوين الفكر ومقاومة الانسان للقوي من الوحوش واستعماله الآلات من أغصان الشجر وغيرها ، واستغنائه عما أراده من السلاح الطبيعي . ولسنا الآن بمعرض استقصاء هذه الآراء ، الا اننا ننبه الى ان الطريقة التاريخية تستلزم الالتفات الى الماضي والبحث عن منشأ الآراء وتكوينها وتأثيرها بعضها في بعض . ولو فعل الاستاذ « ابو خلدون » ذلك لأضاف الى تحليله العميق تحقيقاً تاريخياً مفيداً .

وقد انهى المؤلف دراساته هذه بنقد كتاب فلسفة ابن خلدون الاجتماعية للدكتور طه حسين ، فانتصر لابن خلدون وبين ان الدكتور طه حسين لم يتعمق في درس المقدمة درساً حيادياً ، كما انه لم يلاحظ تطورات علم الاجتماع ملاحظة شاملة .

فنحن نشكر للأستاذ الحصري أدبه وفضله ، ونرجو ان يسلك علماؤنا طريقته العلمية في إحياء تراثنا القومي .

ولا بد لنا في النهاية من الإشارة الى ان الجزء الثاني من هذه الدراسات قد اشتمل على بعض الهنات النحوية نذكر منها على سبيل المثال قول المؤلف :

ان في مقدمة ابن خلدون آثار بارزة (ص — ١٦)

والسبب في ذلك هو ان أهل الملة متنفقين (ص — ٣٩)

ان لكل شيخ منهج خاص (ص — ١٢٠)

ان العلوم المتعارفة بين أهل العمران صنفين (ص— ١٢١)

ان التكاليف الشرعية نوعين (ص — ١٦٩)

فهذه الهنات كما ترى ، من نوع واحد . وهناك أيضاً انواع أخرى لغوية ومطبعية لا يتسع المجال لذكرها فنرجو ان يوفق الأستاذ الى إعادة طبع كتابه ، وان يتعهد كتابه بشيء من العناية ، فان كتاباً تضمن هذا التحليل العميق لا يجوز ان يشتمل على مثل هذه الهنات .

جميل صليبا

ملاحظات على كتاب
نخب الذخائر في احوال الجواهر
— ٢ —

وفي ص ٣٥ ، س ٧ (ويختلف اللؤلؤ أيضاً من شكله) . أقول الأصح (في شكله) . وفي س ١٤ (وان أفضل الجواهر المفردة « القارة » (بالقاف) وهي المستديرة الشكل في جميع جهاتها) . أقول لم أجد القارة في الكتب التي لدي ، وأرجح انها « الفارّة » بالفاء . لأنها تتدحرج بسهولة تامة اذا سقطت وتذهب بعيداً كأنها تفر .
وبعد كتابة ما تقدم عثرت على كلام لأبي الريحان في كتابه الجماهر هذا نصه (ولرطوبة اللؤلؤ وجه وان بعد وهو ان سائر الجواهر اذا وقعت على الأرض استقرت واللؤلؤ يتدحرج بأدنى ميل في وجهها وكذلك ينفلت من بين الأصابع لقلة تمكنها منه فكأن انفلاته على هيئة عجم التفاح والكمثرى اذا رطبا وضغطا بالاصبعين حتى يرتمي مسافة كثيرة) (ص ١٢١) . ثم إني وجدته يقول في فهرسته العاشر (ص ١٧٨) ان اسم اللؤلؤ المدحرج الفار (بالفاء) . فلعله رجع عما قاله هنا . أو اتى ذلك من خطأ صفاف الحروف .

وفي ص ٣٦ ، س ١ جاء ذكر العيون وهو اللؤلؤ المدحرج فكتبها الناشر العَيون بفتح العين ، وقال في الحاشية (لعل الأصل العُيون جمع عين) . فكتابتها بالفتح ثم استعماله كلمة لعل دليل على تردده وعدم البت فيها . فلإزالة هذا التردد أقول : جاء في كتاب الجماهر ص ١٢٥ ما نصه : (فمن أنواع اللؤلؤ المدحرج ، ويعرف بالعيون ، ولا يوحّد فيقال عين ، كما لا تجمع العين في الذهب فيقال له عيون) . وفي الصفحة عينها في س ٦ (ويختلف اللؤلؤ أيضاً من لونه) . والأصح في لونه . وجاء فيها في س ٨ (واللؤلؤ سريع التغيير) أقول سريع التغير أصح .
وفي هذه الصفحة ذكر لأنواع اللآلي ، وهي : العيون وهو المدحرج ، والنجم ، والزيتوني ، والغلامي ، والفلكي ، والفوفلي ، واللوزي ، والشعيري ، والمضرّس ، ولم يذكر

الشارح ما يقابلها بالفرنسية · وجدت أنا ما يقابل بعضها من معجم لاروس الكبير · فالمدحرج rond ، والعيون perles qui ont un bel œil ، والنجم perle vierge ou parangon ، والغلامي p. en poire ، والمضرس p. mamelonnée · أما الزيتوني والفلكي والفوفلي واللوزي والشعيري فلم أجد لها اسماء ، انما يعبرون عنها بذكر المشبه به بعد قولهم : en forme de فيقولون للؤلؤ الزيتوني مثلاً p. en forme d'olive · وأما من جهة ألوان اللؤلؤ فالنقي البياض blanche pure ، والرصاصي plombée ، والعاجي ivoirine ·

وقال الناشر في ص ٣٩ س ١٦ ان اسم صغار اللؤلؤ بالفرنسية petites perles · أقول يعبر الفرنسيون عن صغار اللؤلؤ بـ semences de perles · وفي س ١٨ قال عن الكلف (داء في الجلد وأغلب ما يكون في الوجه كأنه السمسم) · أقول هذا التعريف ، (وكان الأجدر ان يقول فيه كأنه العدس ، يصدق على البرش lentigo · أما الكلف فاسمه chloasma · ويقرب من البرش النمش واسمه بالفرنسية éphélide · قال ابن سينا في القانون ج ٣ ، ص ٢٧٩ (ما هو الى الحمرة يكون نمشاً وما هو الى السواد يكون برشاً واللطخي منه يسمى كلفاً) · فالكلف لا يكون كالسمسم ولا كالعدس انما يكون لطخاً واسعة غير منتظمة الشكل كالذي يظهر على وجوه الحبالى وجباههن ·

وفي ص ٤٠ استعمل المحشي الكيلغرام للتعبير عن السعة اي الكيل ·

وفي ص ٤١ ، س ٢ ضبط البيروني بفتح الباء ، وهكذا ضبطها حيثما وردت · والصواب كسرها ، وسبب تسمية أبي الريحان بالبيروني ، ومعناه البراني ، مسطور في معجم الأدباء ج ١٧ ، ص ١٨٠ · ولكن ناشر هذا المعجم أخطأ فضبط براني بفتح الباء لجهله الفارسية · ان بيرون مكسورة الباء — وفي الحاشية في س ١٨ فما بعده تشويش في العبارة وتكرار في ذكر اسم المدينة التي طبع فيها كتاب التيفاشي ، وكلمة (وطبع) توهم ان الكتاب طبع ثلاث مرات ·

وفي ص ٤٢ ، س ٧ عبر عن النورة غير المطفأة بنورة ملتهبة ، ولم يسمها أحد بهذا

الاسم . انما قالوا نورة غير مطفأة ، ونورة حية ، وكلس حي كما جاء في القاموس ج ٢ ص ١٨٥

وفي ص ٤٥ ، س ٦ قال الناشر (واسم التنكار بالألمانية والانكليزية والفرنسية spalt أقول لقد وهم هنا . ان spalt شيء آخر غير التنكار . يقال للتنكار . في الألسن المذكورة tinkal . — وتكلم في هذه الصفحة والصفحة ٤٦ و ٤٧ على الملح الأندراني وزعم انه منسوب الى الاندرين قرية قرب حلب ، وهي التي ذكرها عمرو بن كلثوم في معلقته بقوله (ولا تبقي خمور الأندرينا) وقال انه الملح المعدني وإن الملح الذرآني هو الملح البحري . أقول كنا نقبل من حضرته ان الأندراني منسوب الى الأندرين لو أتانا بنص من كتب الأقدمين يفهم منه ان هذا النوع من الملح كان له معدن في الأندرين ولو كان لديه دليل على ذلك لما تأخر عن الاتيان به . وأقول إن الأطباء والصيادلة والكيمائيين لا يبحثون عن كلمة مهجورة مطمورة في المعاجم لأجل أداء صفة البياض في الملح أو في غير الملح ما زالت في اللغة كلمة الأبيض . فقد قالوا للملح الابيض أبيض ، وللملح الاسود أسود ، وللاحمر أحمر من غير تكلف ولا عناء . كما جاء في مفردات ابن البيطار في مادة ملح وفي سائر كتب الطب والمفردات . ولقد أصاب الأب نفسه حين قال في حاشية ص ٥١ ، س ١٤ عند ذكر الذباب المعروف بالأخيضر : (وهذا دليل آخر على ان أهل الصنائع يكرهون الفصيح الغريب ويفضلون عليه الصحيح المألوف من الكلام ولو كان طويل العبارة) اهـ . أما عن الذرآني فلم أجد أحداً من المؤلفين القدماء استعمل هذه الكلمة بل استعملوا تارة اندراني وطوراً داراني . فذرآني ما هي إلا من اختراع اللغويين اصحاب المعاجم . والظاهر ان اندران وداران كانا معدنين مختلفين كان يستخرج منهما الملح المعدني . فسموا ما استخرج من اندران اندراني ، وما استخرج من داران داراني . على اني لم أجد الى الآن من ذكر مواقع هذين المعدنين . غير ان في مكتبتي نسخة مخطوطة من كتاب ما لا يسع الطبيب جهله أتى فيها بالهامش وبقلم الناسخ وحبره بازاء الملح الاندراني ما نصه (التحقيق انه منسوب الى اندران وهو موضع بنواحي نيشابور)

وفي ص ٤٨ س ٤ كلمة (تفوت) بالمثناة الفوقية ؛ والصواب (تفوث) بالثلثة . وفي س ٧ (يرغبون لما كان مشبع الخضرة) . والأصح يرغبون فيما .

وفي ص ٤٩ ، س ٤ (ومعدنه [معدن الزمرذ] بسفح جبل في شندة من أرض البجاة بصعيد مصر الأعلى) قال الشارح في الحاشية (لم تضبط شندة في الكتاب ولم أجدها في القاموس) . أقول في معجم البلدان (شنودة) بالفتح ثم الضم وسكون الواو ودال مهملة وربما قيل شبوذة. كور من كور مصر الجنوبية اه . فلعل شندة هي شنودة هذه .

وقال في ص ٥٣ ، س ٢١ (ان الزبرجد اسمه بالفرنسية beryl أو béril) . أقول ان الـ béryl هو الزمرذ المصري . أما الزبرجد فاسمه péridot . ومن أنواعه الـ chrysolite وهو الزبرجد الأخضر مفتوح اللون الوارد ذكره في ص ٥٤ س ١٥ نقلاً عن التيفاشي . ومن أنواعه أيضاً الـ olivine أو péridot granulaire وهو الزبرجد الزيتوني .

وفي ص ٥٥ ، يجب وضع (او) بين lazulite و lapis لأنهما اسمان مترادفان للازورد . ويسمى اللازورد بالفرنسية outremer naturel ايضاً . وكان يقال له قديماً lazivrard ، وهذا اللفظ أقرب الى اسمه العربي (ر . لاروس الكبير) .

وفي ص ٥٧ ، س ٥ (ان يعين) . صوابه (ان يعني) .

وفي ص ٥٨ ، س ١ (شيرقام) بالقاف . صوابه (شيرفام) بالفاء . فان فام ، ووام ، وبام ، وپام أربع كواسع فارسية تفيد معنى اللون والشبه . اذن لا تبقى حاجة للقول في الحاشية (٥) (نظنها تصحيف شيربام) . — وفي س ١٩ قال (والمراد بالأرضية هنا ما يقابله بالفرنسية fond d'un vase) . أقول هذا صحيح بحق الأرضية الواردة في س ١٤ ، أما بحق الأرضية الواردة في س ١٥ فلا . لأن المقصد من الأرضية الثانية المواد الارضية اي الترابية . — وفي الحاشية (٤) ذكر (البوسحاقي) او (البسحاقي) . أقول وردت هذه الكلمة في جماهر البيروني بصورة (بوسحاقي) وفي معجم برهان قاطع المترجم الى التركية (ابوسحاقي) .

وفي ص ٦٣ س ٩ جعل الشارح béryl و aigue - marine مترادفين . قلت آنفاً ان beryl هو الزمرذ المصري . وأقول اما aigue - marinc هو الزمرذ الريحاني كما يفهم من فحوى عبارات لاروس . — وفي س ١٨ قال الناشران المسطار من الرومية mustum وقد عرفوه بأنه الخمر الحامض . أقول جاء في معجم Sommer اللاتيني الفرنسي عن mustum انه الـ moût عصير العنب (الخمر الذي لم يتخمر بعد) ، الخمر الحلو . اهـ وشتان بين الحامض والحلو . اني لا أشك في ان المسطار معربة (من مشت افشار) الفارسية ومعناه المعصور باليد ، من مشت بالضم ثم السكون وهو الكف والجمع ، وافشار من (افشاردن) العصر . والمعصور باليد أدنى من السلاف او السلافة وهي العصير الذي يسيل من تلقاء نفسه من غير عصير . ويؤيد قولي هذا المعجم المسمى (تبيان نافع در ترجمة برهان قاطع) ، فانه بعد ان ذكر في مادة (مشت افشار) ان خسرو پرويز كان له مائتا مثقال ذهباً ليناً كالشمع كان يعصره بيده ويصوره صوراً شتى قال ما نصه بالتركية (وانواعنده اقدم يتشمش اوزم شرابنه ده دينور ، ارباب صفا اصطلاحنده شراب جهودي تعبير ايدرلر ، واهل شام مسطار ديرلر) . ترجمته : (ويقال « مشت افشار » للخمر المتخذ من عنب نضج قبل سائر أنواع العنب ، ويعبر عنه أرباب الصفاء (شرابو الخمر) بالخمر اليهودي ، وأهل الشام يسمونه المسطار) . وجاء في كتاب الجماهر لأبي الريحان البيروني ص ٢٣٥ ما نصه (والمستشفار) هو الشراب المعصور بالأرجل للعوام) .

وفي ص ٦٨ قال في الحاشية عن (المعشوق) : وهذه اللفظة لم نجدها في دواوين اللغة التي بأيدينا . انما وردت في محيط المحيط في مادة الجس) . أقول وردت في مفردات ابن البيطار أيضاً .

وفي ص ٧٠ س ١ (وربما شابه حمرة خفية) أرجح ان خفية كانت في الأصل خفيفة سقطت منها الفاء الثانية سهواً من الناسخ أو من المرتب . وقد جاء تعبير (حمرة خفيفة) في ص ٧٧ ، س ٧ في الكتاب عينه .

وفي ص ٧١ ، س ١٣ نسب الناشر الدهنج الكركي الى الكرك التي هي قرية

بلحف جبل لبنان . وقد أبان الأستاذ روكس زائد العزيزي ان الكرك المذكورة هنا هي الكرك التي في شرقي الأردن .

وفي ص ٧٢ ، س ١٢ قال الشارح (وانا لم أجد بمعنى اليشب : اليشف ، ولا اليصب ، ولا اليصف) . أقول ذكر ابن البيطار اليشف في مفرداته .

وفي ص ٧٣ ، جاء ذكر واديين احدهما يسمى (قاش) والآخر (واقاش) . أقول الذي في كتاب الجماهر (فاش) بالفاء و (قرافاش) اي فاش الأسود . — وفي س ١٠ ذكر gagatès (الجاجة) ولم يذكرها في الفهرس الحادي عشر .

وفي ص ٧٥ في القسم الأسفل من الحاشية وهم ناشىء من عدم التمييز بين (باد) بالباء الموحدة ومعناه الريح بالفارسية وبين (پاد) بباء فارسية مثلثة وتؤدي معنى الحفظ . فيكون معنى (پادزهر) الحافظ من السم .

هنا ينتهي كتاب ابن الاكفاني وتنتهي حواشي الأب المحترم عليه . وفي الملحقات التي ألحقها الأب بالكتاب بعض هنات هينات ، اقتصر كلامي على اثنتين منها . أولاها ترجمة الخماهان بالـ hématite (ص ٨٩) . بيد ان الـ hématite هو الشاذنة . أما الخماهان فيبين من تعريفه انه أحد انواع فلزات الحديد غير الشادنة . وأرجح كونه الفلز المسمى بالفرنسية fer chromé و chromoferrite و chromite و sidérochrome . فقد جاء في كتاب تركي لدي عن هذا الفلز ان منظره راتينجي معدني وان لونه أسود كالزفت . — وثانيتها ارادته ترجمة mica بالريق بكسر الراء . أقول ما الريق التي سمعها الناشر من أفواه الناس الا الـ (ريك) وهو الرمل بالفارسية لا غير .

وعثرت في الكتاب على نحو ست عشرة غلطة مطبعية لم يذكره الناشر في جدول تصحيحاته . أضرب صفحاً عن ذكرها .

وبعد فليس ما أوردته في مقالتي هذه إلا كنقطة ازاء بحر الفوئد الجمة والطرائف النفيسة التي أتى بها صديقي الأستاذ العلامة الكرملي في شروحه لكتاب النخب جزاه الله خير الجزاء .

والآن اتماماً للفائدة اكتب الجدول الآتي بأسماء الجواهر وغيرها بالفرنسية والعربية واصله فهرس الناشر الحادي عشر الوارد في آخر الكتاب · عدلته حسب تصحيحاتي وأضفت اليه ما لم يذكره ·

وهذه الرموز الواردة في الجدول : (اب) ابن البيطار ، كتاب جامع مفردات الأدوية والأغذية · (ب) البيروني ، كتاب الجماهر في معرفة الجواهر · (ت) تاج العروس · (تر) تركي · (تي) التيفاشي ، كتابه ازهار الأفكار في جواهر الأحجار · (ط) داود الانطاكي ، تذكرة أولي الألباب · (فا) فارسي · (م) المخصص لابن سيدة · (ن) نخب الذخائر في أحوال الجواهر لابن الاكفاني وزيادات وحواشي الأب عليه ·

Agate	عقيق
Aigue. — marine	زمرذ ريحاني
Aimant	مِغناطيس ، مِغنطيس
Albâtre	هَيصم (ن ٩٦) ، مرمر أبيض ، حجر المرمر ، البسطريط
Almandine	ماذينج
Améthyste	جمز ، جمست ، جشت ، معشوق (اب)
— oriental	ياقوت بنفسجي
Amiante	مخاط الشيطان ، غزل السعالى (ب ٢٠٠)
Arménite	حجر ارمني
Asbeste	حجر الفتيلة
Astérie	عين الهز
Baroque	لؤلؤ غير مدحرج
Battiture	توبال (اب)
Béryl , béril	زمرذ مصري
Bézoard	باذِزَهر ، بازَهر
Borax	بورق ، فا · بوره ، بورق أرمني ، بورق الصاغة ، ملح الصاغة

Bort	الماس منحني الوجوه
Calcédoine , Chalcédoine	خلقيدوني ، حرو خلقيدوني ، تر . بلغمي طاش
Carbonado	الماس اسود
Carboncle = almandine	
Chrysolite	زبرجد اخضر مفتوح اللون (تي)
Corail	مرجان ، قورل ، بُسَّذ ، حجر شجري (اب)
Corindon	ياقوت
— blanc	— أبيض
— bleu	— أزرق
— ferrifère = émeri	
jaune	— أصفر شرقي (ن ٣)
Corindon rose	ياقوت وردي
— vert = émeraude oriental	
— violet = améthyste oriental	
Cornaline	عقيق احمر يَنَع (ن ٨٦)
Cristal de roche	بلور ، مها ، حومة ، در النجف
Diamant	الماس ، ماس
Emeraude	زمرذ ، زمرد
— oriental	— مشبع الخضرة
Emeri	سنباذج ، سامور ، شمور (ن ٩٨) حجر المسن (ط) .
Escarboucle = almandine	
Fer chromé , Chromoferrite	مخماهان ؟
	حجر غاغاطيس (ا ب) ، جاجة ، جاج (ن٩٠) ، سبج ، فا . شبه ، سكنبج (ا ب) ،
Gagatès	كهربا سوداء
Gemme = pierre précieuse	

بجاذي (بيجادى ، بجــاذي ، بجادي ، بجــاذق ، بزادي ، فا . بيجاده ، بيجاد) ،
بَنَفْش (١٧٥) ، حجر سيلان — Grenat

Crenat noble , g. oriental , g. syrien = almandine

بيجاذي اخضر — Grossulaire

شاذنة ، شاذنج ، حجر الدم حجر الطور (اب) — Hématite

ياقوت اكهب — Hyacinthe

يشْم (ن ٧٢) — Jade

Jais , jayet = gagates

يشب ، يشف (اب) ، يصب (قي) — Jaspe

جوهري ج جوهريون — Lapidaire

لا زورد ، عوهق (ن ٥٥ و ٥٦) — Lapis , lapis — lazuli , lazulite

لابة ، حَرّة — Lave

Sydite , quartz , lydien = pierre be touche

دَهْنَج (اب) — Malachite

مرْقشيثا — Marcassite

بَلَق (ن ١٠١) — Mica

زجاج بركاني — Obsidiane , obsidienne

فَيروزج لجنبي (ن ١٨٦) — Odontolithe

œil - de - chat , œil - de - tigre = astérie

زبرجد زيتوني — Olivine

جَزْع (جوهريوا الغرب يخصون بهذا الاسم الجزع الغروي) — Onyx

جَزيز ؟ مَهرة ؟ (م) قَبَلة ، قَبْلة ؟ (ن) — Opale

— à flamme , O. noble O. d'orient — عين الشمس

Outremer naturel = lapis

نجم ، خوش آب (ن) — Parangon

Peridot	زبرجد ، زبردج
— granulaire — olivine	
Perle	لؤلؤة ، تومة ، جمانة ، جوهرة ، خضلة
— en forme de poire	لؤلؤ غلامي
— (grosse)	دُرّة ، قديس
— (non percée)	خريدة ، بكر
— (percée)	لؤلؤة مثقوبة
— (ronde)	فارّة ، لؤلؤة مدحرجة
Phtanite = lydite	
Pierre d'azur = lapis	
— nephretique = jade	
— precieuse , p. fine	جوهر . ج جواهر
— de touche	حجر المحك ، يشب اسود
Pyrite	بوريطس ، مرقشيثا (ا ب) ، حجر النار
Pyrope	بيجاذي ناري
Quartz	مرو
— hyalin = cristal de roche	
Rubace = rubicelle	ياقوت بهرماني
Rubis	— احمر
— balais	بلخش ، فا . لال ، لعل
— blanc = corindon blanc	
— oriental	ياقوت ارجواني
— spinelle	— رماني
Saphir	سفير (ن ٩٣)

Saphir blanc = rubis blanc	
— femelle	ياقوت انثى (تي)
— mâle	— ذكر — نيلي (تي)
— occidental	بلور ازرق
— oriental = corindon bleu	
Sardonyx sardoine anyx , sardoine rubané	جَزع بَقْراني
Sel gemme	ملح أندراني ، ملح داراني ، ملح معدني (اب)
— marin	— بحري
Semences de perles	مرجان ، شَذْر ، رِضْبان ، صغار اللؤلؤ
Sidérochrome = fer chromé	
Silex	صوان
— volcanique = obsidiane	
Spessartime	اسبارست (ن ١٩) اسبامرت
Spinelle	ياقوت جُلّناري
Tinkal, tincal	تنكار ، لحام الذهب ، لزّاق الذهب (اب)
Topaze	ياقوت أصفر وعند جوهريي الغرب كل جوهر اصفر
— oriental = corindon jaune	
Turquoise	فيروزج ، فيروز . فا . پيروزه
T · nouvelle roche	فيروزج لجنجي (ن ١٨٨)
— vieille roche	— بسحاقي ، بوسحاقي (ن ١٨٨)
Zircon	زَرْقون ، زرجون (فا . معرب)

(الموصل) الدكتور داود الچلبي الموصلي

مخطوطات ومطبوعات

اللؤلؤ المنثور

في تاريخ العلوم والآداب السريانية

للبطريرك افرام برصوم طبع في مطبعة السلامة بحمص سنة ١٩٤٣ ص ٥٦٠

هو تاريخ الف وثمانمائة سنة للسريان وبحث آدابهم ولغتهم ومواطن اللغة السريانية وأبنائها وخزائن كتبها وخطها وصرفها ونحوها ومعاجمها وبلاغتها وشعرها وشعرائها وضوابطها وشروح العهدين وتآليفها المنحولة ونصف المنحولة والطقوس والموسيقى الكنسية وكل ماله اتصال بالأمور الدينية والتاريخية والاجتماعية بهذه الطائفة ، والفقه الكنسي والشرع المدني والكتب النسكية والتاريخية وسير الشهداء والقديسين وقصصهم والفلسفة ومصنفاتها وأثرها عندهم والطب وأطبائهم وسائر العلوم وذكر من كان مشاراً اليه بمعرفتها منهم وما ترجموه من التصانيف الأعجمية ثم تراجم علماء السريان وأدبائهم ورجال الدين من رجالهم وهي ٢٩١ ترجمة منها المطول ومنها دون ذلك . مشفوعاً كل ذلك بفهارس عظيمة تسهل للمراجع الظفر بما يريد اقتباسه من هذا السفر النفيس في دقائق قليلة وقد سلخ رضيفنا العلامة البطريرك افرام برصوم ثلاثين حجة في تأليفه ورجع الى كل ما يخطر بالبال من خزائن السريان في الشام والجزيرة وغيرهما من أقطار الشرق وعاد على خزائن الغرب فنبش فيها ما أهمه ورد على بعض علماء المشرقيات الذين لم يحسنوا الكتابة على السريانيين ولم ينصفوهم على ما تقضي به أمانة العلم . والكتاب لا تستغني عنه خزانة لمن تهمه هذه الأبحاث خصوصاً والسريانية أخت العربية الشقيقة وتاريخ السريان ممتزج بتاريخ العرب والسريان من أعظم من نقلوا الى العربية علوم القدماء وكانت لهم المنزلة السامية في قصور الخلفاء في دمشق وبغداد وغيرهما من عواصم الاسلام فنهنئ صديقنا المؤلف على ما وفق اليه من وضع هذا السفر الممتع فانه فتح السبيل للباحثين وأطلعهم على ما كان اكثرهم يجهلونه في هذا الشأن جزاه الله خيراً .

محمد كرد علي

(لوامع أنوار القلوب في جوامع أسرار المحب والمحبوب)

كتاب مخطوط في التصوف ذهب أوله وآخره لكن يظهر ان الذاهب من الأول والآخر شيء يسير . وهو تأليف القاضي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٩٤ الفه في معنى المحبة عند الأصوليين وحدودها على السنة المحققين كما في كشف الظنون والمراد بهم الصوفية الا انه ابدل جوامع بجميع . والموجود في الكتاب (مرة) قال القاضي ابو المعالي (وأخرى) قال القاضي ابو المعالي شيدلة ا وثالثة) قال ابو المعالي عزيزي . وفي آخر الجزء الأول منه ماصورته : تم الجزء الأول من كتاب شيدلة بحمد الله وعونه الخ ويتلوه ان شاء الله تعالى في أول الجزء الثاني فصل وقال ابوبكر دلف الخ والمؤلف ذكره السبكي في طبقات الشافعية وقال كان فقيهاً فاضلاً فصيحاً أصولياً متكلماً صوفياً من أهل جيلان . ومن نوادره انه كان جيلانياً أشعري العقيدة وولي قضاء بغداد اهـ وذكره ابن خلكان . ورسم في الطبقات المطبوعة شيلد وهو تصحيف مطبعي . ثم ان الموجود في الكتاب شيدلة بالدال المهملة ولكن ذكره في القاموس بالذال المعجمة فقال : وشيذلة لقب عزيزي بن عبد الملك الفقيه الشافعي . وفي تاج العروس : شيذلة كحيدرة ترجمه السبكي في الطبقات غير انه ضبطه بالدال المهملة اهـ . والكتاب مرتب على عشرة أبواب هكذا :

فأولها باب في أحوال المحبين وصفات اسرار ضمائر المتيمين

وثانيها باب في فصول المحبة ومعانيها وأقوال المحققين واختلافهم فيها

وثالثها باب في ذكر الأخبار في أحوال المحبين حال الاختيار والاضطرار

ورابعها باب في معنى المحبة عند الأصوليين وحدودها على السنة المحققين

وخامسها باب في اشتقاق المحبة عند العرب العرباء وعلى أصول اللغويين والأدباء

وسادسها باب في اسامي المحبة وصفاتها واختلاف اصحابها في طبقاتها

وسابعها باب في حقيقة المحبة عند الواجدين بعبارات العاملين المدققين

وثامنها باب في شروط المحبة واركانها وأدلتها من كتاب الله وبرهانها

وتاسعها باب في اختلاف المحبة وأساسها وبيان ازمانها في سائر اجناسها

وعاشرها باب في الاعتذار الى ذوي الألباب من التقصير الواقع في تصنيف هذا الكتاب

ودل كلامه على ان له كتاباً آخر في التصوف حيث قال : وتحينت ذكر أشعار وحكايات اودعتها في كتابي الموسوم بسة العشاق وروضة المشتاق ليعتمد عليها لباب القلب الشريد عن عذاب العشق الشديد

ولا بأس بنقل شيء من أقواله في بعض الأبواب ليكون نموذجاً لبقية ما في الكتاب ويعرف به مناحي الصوفية وطريقتهم ففي الباب الأول منه ما صورته : قال القاضي ابو المعالي غفر الله له : اعلم ان اكرم القلوب والطفها . وأشرف الأسرار وأعطفها . قلب اؤتمن بخزائن الغيوب . وسر استودع فيه معالم المحبوب . فجمل العين رائده . والهوى قائده . والعقل مؤدبه . والعلم مهذبه . والقناعة كنزه . والمعرفة حرزه . واللفظ مشيره . واللحظ سفيره . والأنس نديمه . والقرب نسيمه . والرجاء جنانه . والخوف نيرانه . والشوق رايته . والصبر بضاعته . والحلم صناعته . والفكر وزيره . والذكر سميره . والمكاشفة غزله . والمشاهدة شفاه . فظاهره أظرف الظواهر . وضميره أشرف الضمائر . وخلقه احسن الأخلاق . ونسيمه اطيب الأعراق . فأكرامهم من الكرم . وأمتهم اظرف الأمم

ان أهل الهوى لأكرم خلق بذلوا أنفساً وماتوا كراما
اكملوا الخلق والتخلق والأخلاق وحازوا من الأمور الجساما
اكرموا الكريم (كذا) في الحب حقاً وكذا يكرم الكريم الكراما

وهو يقول في الكتاب : سمعت الشيخ اباعبد الله الدامغاني . ويقول في مقام آخر : قال شيخنا الإمام الحسين بن احمد الدامغاني ويقول فيه أيضاً قال الإمام الأستاذ ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن التستري النيسابوري ويقول فيه قال الأستاذ ابو علي الدقاق . وينقل أقوالاً لمشايخ الصوفية . مثل ابي بكر دلف وقيل جحدر وقيل جعفر بن يونس . والشبلي الأشروسني ثم السامري ثم البغدادي . ورابعة العدوية . وبهلول . وعليان . وابي يزيد البسطامي . وذو النون المصري . ومعروف الكرخي . وابي سهل احمد بن سليمان . وغلام رابعة العدوية . وابي الخير الأقطع . وابي بكر محمد بن علي الكناني البغدادي ثم المكي المعروف بسراج الحرم . وسمنون .

وابواسحق ابراهيم بن احمد بن اسماعيل الخواص · والحسين بن منصور الحلاج · وابي الحسن محمد بن اسماعيل السامري ثم البغدادي المعروف بخمير الشام · وسالم او سلام غلام ذي النون المصري · وبشر الحافي · ومالك بن دينار · وسهل بن عبد الله التستري · وحاتم الأصم · ومسكينة الطفاوية وغيرهم كثير يعسر استقصاؤهم وانما نقلنا المشهورين منهم ويستشهد بأشعار كثيرة في الغزل والعرفان مما ينشده الصوفية ويتواجدون عند سماعه ويصيحون

والتصوف ظهر في الإسلام من عهد بعيد · وفي أخبار المأمون انه جيء اليه برجل من الصوفية نسبت اليه السرقة · والتصوف ان خرج عن الزهد في الدنيا واتباع تقوى الله كان من تسويل الشيطان والله الهادي · محسن الأمين الحسيني

فصل المقـال

وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال

غرض ابن رشد من رسالته هذه الفحص على جهة النظر الشرعي هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع أم محظور أم مأمور به اما على جهة الندب واما على جهة الوجوب ·

شرع في تعيين فعل الفلسفة ، فهذا الفعل ليس شيئاً أكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع ثم بين ان الشرع دعا الى اعتبار الموجودات بالعقل واستدل بالآيات الكثيرة على ذلك ثم عين فعل الاعتبار فهو استنباط المجهول من المعلوم وأثبت ان الشرع قد حثّ على معرفة الموجودات بالقياس العقلي ·

وقد نقل هذه الرسالة الى اللغة الفرنسية الدكتور في الأدب « ليون غوتيه » استاذ التاريخ والفلسفة الاسلامية في معهد الأدب في الجزائر وأضاف اليها صفحات سماها : ضميمة لمسألة العلم القديم التي ذكرها ابو الوليد في فصل المقال ·

صدّر الأستاذ « غوتيه » ترجمته بالكلام على حياة ابن رشد وعلى مؤلفاته وعلى فلسفته ثم نقل فصل المقال الى الفرنسية وترجمته غاية في سهولة الكلام ووضوحه اذ لم يفته شيء من اصطلاحات الفلسفة وتعبيراتها · شفيق جبري

دمشق مدينة السحر والشعر

محمـد كرد علي

وهب الله تعالى لأستاذنا الرئيس أدوات الشعر بمجامعها وهي خيال مصقول وحس رقيق ، وبيان ناطق ، ولكنه أحب ان ينصرف عن الشعر الى الموضوعات التي تستلزم اختمار العقل واتساع الفكر ونضج النظر ، انصرف عن الشعر الى التأريخ والاجتماع واضرابهما ، غير ان أدوات الشعر ظلت ملازمةً له فتمكن من ان يفرغ هذه الموضوعات الجليلة التي انفرد بها في قالب يأخذ بمجامع القلب ، وآخر كتاب من كتبه الدالة على خصب الفكر وجودة الإنتاج كتابه : دمشق ، مدينة السحر والشعر ، ولم يسمِّ دمشق هذا الاسم عبثاً ، فقد غلب على كتابه سحرها واستفاض فيه شعرها ، فكان لغوطتها الغناء الأثر الأبلغ في تصفية خياله وكان لطبيعتها الخضراء السلطان الأعظم في تنقية ذهنه وذوقه ، وقد عرف هذا الذهن وهذا الذوق سبيل الضياء والهدى ، فاستضاء صاحبها بكلام أئمة البيان في العرب وفي مقدمتهم ابن المقفع ثم عكف على رجال الافرنجة فأخذ عنهم فضل الحكم والتمييز ، فجمعت مؤلفاته الرائعة من حيث البيان ومن حيث النظر بين كلام ابن المقفع ونظرائه وبين حكم ابن خلدون وغستاف لوبون وأشباههما .

ومن تصدّى للتأريخ والاجتماع بأساليب مقتبسة عن هذه الطبقة من الخالدين كان جديراً ان يجوّد وان يحسن وان يخلد ، وخاصة فان أستاذنا الرئيس قرأ كثيراً وفكر طويلاً فهضم ما قرأ حتى استوى فكره وفسح نظره وسهل كلامه فاذا خلدت كتبه فانها تخلد لهذه الخصائص : استواء الفكر وفسحة النظر وسهولة الكلام .

وما علينا بعد هذه المقدمة الا ان نفتح معاشر الدمشقيين كتاب دمشق ، فنتمتع من سحرها ، ونتملى شعرها ، ففيه صورتها الخالدة ، فيه طبيعتها اللينة وسياستها المختلفة وعمرانها الفتان وجملة من آثار ما أوحته الى الشعراء والكتاب وفيه صورة أخلاق أهلها وخصائصهم وآثار حياتهم في الفن والأدب والصناعة والخلاصة فيه سحرها وشعرها على وجه مختصر وقد تجلى هذا السحر وهذا الشعر في فصل : غوطة دمشق ولما قلت في صدر الكلام ان أستاذنا الرئيس شاعر لم أجازف بقولي فان الكلام على غوطة دمشق ملآن من السحر والشعر ، ومن محاسن أستاذنا العلامة استعانته بأسلوبه الشعري في هذا الباب حتى أصبح بيانه ناطقاً كأنه روح ولحم ودم ، مدّ الله في حياته ونفعنا بفضله .

ش . ج

الهلال الذهبي (١٩٤٢)

رفع الاستاذان أميل وشكري زيدان الى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول « هلالها الذهبي » وهو عنوان مجهود خمسين سنة في خدمة العلم والأدب

وقد صدّر الأستاذان كتابها بكلمات حضرة صاحب الجلالة ملك مصر وحضرة أصحاب السمو الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق ، والأمير عبد الله أمير شرق الأردن والأمير عمر طوسون وفخامة رئيس الجمهورية السورية .

يشتمل الكتاب على صور كثيرين من أفراد البيت العلوي المالك في مصر وصور أكابر رجال الأدب والفكر والاقتصاد والسياسة وصور بعض آثار مصر في الفن والعمران.

أما موضوعات الكتاب فانها مختلفة ، فقد بحث اصحابها عن الحياة السياسية والجيش المصري والنهضة النسائية والحياة الاقتصادية والتقدم الصناعي والتطور الزراعي وأمثال هذه المباحث التي كتبها أكابر رجال مصر كالدكتور بهي الدين بركات باشا والفريق احمد حمدي سيف النصر باشا والدكتور حافظ عفيفي باشا واسماعيل صدقي باشا وغيرهم ، وهذه المباحث كلها تصف تطور مصر في خمسين سنة .

وقد تضمن « الهلال الذهبي » غير هذه الفصول فصولاً عربية وغربية في الماضي والمستقبل كتبها أكابر رجال الفكر والأدب أشباه الأستاذ العلامة محمد كردعلي بك والاستاذ محمد رضا الشبيبي بك والأستاذ عبد القادر المازني وغيرهم .

واشتمل أيضاً هذا الكتاب النفيس على مقالات في الهلال ودار الهلال في خمسين سنة كتبها أفاضل الكتاب كالأستاذ احمد امين بك والدكتور طه حسين بك وحسين هيكل باشا وانطون الجميل بك وفي آخر « الهلال الذهبي » مقتطفات مما قاله أكابر الشعراء والكتاب في تأبين مؤسس الهلال .

واذا كنت استطيع ان أجد صفة جامعة لهذا الكتاب فإني لا أجد الا الكلمة الآتية : يكاد يكون « الهلال الذهبي » آية في الدلالة على ما وصلت اليه صناعة الطباعة في الشرق من حيث الجودة في كل شيء : في الطبع والتصوير والورق والذوق وإتقان الموضوع .

ش . ج .

نظام عقد المعاهدات

كتيب يقع في سبعين صفحة . وضعه الأستاذ محمد عبد المنعم مصطفى : الأمين الثاني المتولي قسم عصبة الأمم والمعاهدات بوزارة الخارجية المصرية : « بحث فيه نظام عقد المعاهدات وتنفيذها وتفسيرها طبقاً لأحكام القانون المصري مع الاشارة الى القانون المقارن »

مهّد المؤلف لكتابه بمقدمة المّ فيها بما للمعاهدات من شأن ، وناقش بعض الآراء التي سبق لبعض كتاب السياسة والاجتماع ان ارتأوها ، وخلص من ذلك الى تعريف المعاهدة ، وعدّد مرادفاتها من : اتفاق ، ووفاق ، وميثاق ، وتصريح ، ومحضر ، وتبادل مذكرات . ولاحظ ان هذه الاسماء المختلفة لا تقابلها معان محددة المدى واضحة المقاصد ، فكل منها جائز استعماله ، وإطلاقه على أي نوع من أنواع الاتفاقات بين الدول

وأشار الى نظام عقد المعاهدات في مصر ، قبل دستور سنة ١٩٢٣ ، وكيف استخلصت مصر من الدولة العثمانية — حقها في عقد المعاهدات الدولية شيئاً فشيئاً .

وقسم الدول— من حيث اساليبها في عقد المعاهدات — ست طوائف — وتكلم على أسلوب كل منهن . وتعرض للنظام التقليدي في عقد المعاهدات ، وللاتفاقات التي تعقد تحت رعاية عصبة الأمم ، وللمعاهدات السرية ، ثم لما يكون بعد ذلك من تصديق المعاهدات وتبليغها وتنفيذها ، ومذاهب بعض الدول في ذلك

وحدد بعض الألفاظ التي يخيّل الى بعضهم انها متماثلة المدلول مترادفة المعنى . فبين الفوارق الدقيقة بينها . وأنهى كلامه في ما قد تحتاج اليه المعاهدات من توضيح وتفسير ، والى من يرجع الأمر في ذلك

فنلفت الى هذا الكتاب المفيد أنظار رجال السياسة والقانون . ونشكر للمؤلف فضله وجهده .

عارف النكدي

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثاني عشر

(تذكرة للقارئ) الأجزاء الخمسة الأولى من كتاب نهاية الأرب كانت نشرت تصحيحاتها في مجلد السنة السادسة من مجلة مجمعنا العلمي . وتصحيح الجزء السادس نشر في مجلة السنة السابعة . وتصحيح الجزء السابع نشر في مجلد السنة التاسعة . وتصحيح الثامن نشر في مجلد السنة (١٢) وتصحيح الأجزاء : التاسع والعاشر والحادي عشر نشر في مجلد السنة (١٣ :)

وها نحن أولاء اليوم ننشر تصحيحات الجزء الثاني عشر . والأغلاط التي عثرنا عليها في هذا الجزء قليلة وقد يكون معظمها مما يسمونه خطأ مطبعياً . ومع هذا فسنثبت هذه الأغلاط لتكون كالختام يصل بين طرفي سلسلة التصحيحات التي خدمنا بها هذا الكتاب النفيس منذ أول صدوره ونشرناها تترى كما ذكرنا

ص ٦٣ س ٨ قوله : (ويؤخذ من السُك الأصفر الطوامير مثقال) السُكّ طيب ذكره المؤلف ووصف أنواعه . و (الطوامير) جمع طومار وهو الصحيفة . وفي اصطلاح كتّاب الدواوين قديماً هي صحائف ذات شكل خاص تطوى طيّاً خاصاً . قال كعب بن زهير في وصف ناقته من شعر (طُمِّرت تطميراً) أي كأنها طويت طيّ الطوامير . فكلمة الطوامير إذن لا تصلح أن تكون صفةً أو بدلاً من كلمة (السُك) فلعل صوابها (الطواميريّ) بياء النسبة . ويكون معنى نسبة السك الى الطوامير ان ذلك السك مما يحفظ في الطوامير لا في أوعية او ظروف أخرى ، أو المعنى ان لون السُك الأصفر فاتح أو قاتم كلون الطوامير

وقد تتبعنا ما قاله المؤلف في طريقة اتخاذ السُك فلم نجد ما يساعدنا على معرفة المراد من وصفه بالطواميري

ص ٩٠ س ٥ قوله : (طبيخ البان بالأفاويه مع الماء أقوى له) الصواب ان يكون (طبخ) بصيغة المصدر إذ أن سياق الكلام والإخبار بقوله : (أقوى) يقتضيان هذا

ص ١٢١ س ٢ قوله : (ثم دُقّه بشيء من ماء التمر) الضمير في (دقّه) يرجع الى الآس الذي دُقّ دقّاً جريشاً ثم عجن بماء التمر إلى ان قال : (ثم دقه الخ) ولا يخفى ان قوله : (دقّه) بالقاف المشدّدة محرف أو مصحف وصوابه (دُفه بالفاء)

الساكنة أمر من فعل داف يدوف . قال في (الأساس): (داف المسك بالعنبر خلطه به . وداف الزعفران أو الدواء خلطه بالماء ليبتل) ولا ريب في ان ماء التمر لا يتصور ان يدق به شيء من الأشياء وانما يداف به ويخلط . وفعل (الدوف) استعمله المؤلف في غير ماموضع . ففي ص ١٣٢ س ٥ (و'يداف بالطلاء الريحاني) وفي ص ١٣٥ س ١٠ (الزعفران والمسك المدافين بدهن البلسان)

ص ١٣٨ س ١٠ قوله : (وصعده على هبال الماء) ضمير (صعّده) يرجع الى المسك المدوف بماء الورد و (التصعيد) كما في القاموس وشرحه الإذابة ومنه قيل خل مصعّد . ويقال شراب مصعّد إذا عولج بالنار حتى يحوّل عما هو عليه طعماً ولوناً اه . وهبال الماء بخاره الساخن الصاعد عنه وهو على النار . وهي كلمة عامية كانت شائعة على ما يظهر في عهد المؤلف كما لا تزال شائعة في بلادنا الشامية غير انا نلفظها نحن الشوام (هبلة) لا (هبال) على ان (هبال) قد تكون جمعاً لهبلة فإن (فعلة) تجمع على (فعال) قياساً نحو قصعة وقصاع . واليسوعيون في معجمهم العربي الفرنسي فسّروا الهبلة بقولهم Vapeur d'un liquide ثم وضعوا أمامها العلامة التي تدل على ان الكلمة ليست فصيحة وانما هي مستعملة في اللغة العامية . وأذكر ان بعض العارفين باللغات السّامية عدّ كلمة (الهبلة) في جملة الكلمات الباقية في العامية الشامية من اللغة السريانية ولا يخفى ان مؤلف (نهاية الأرب) يتسامح في استعمال الكلمات الدخيلة الجارية في لهجة عوام زمانه : فهو يقول (شوابير) ويريد بها القطع أو الفتائل المجعولة على طول الشبر . ويقول (الريم) ويريد به الزبد أو الرغوة التي تعلو المائعات وهي تغلى على النار فتلتقط وترمى . والكلمتان عاميتان شائعتان في مصر والشام إلى زماننا هذا . فلا حاجة إذن الى جعل (الهبال) الواردة في كلام المؤلف محرفة عن كلمة (الهباء) بالهمزة وهو ما ارتفع من الغبار وان المراد بالهباء حينئذ البخار الساخن مجازاً

ص ١٤٤ س ٢ قوله : (ويغلى بزيت مغسول) لعل الأفصح في استعمال هذا الفعل هنا أن يقال ('يقلى) بالقاف لا ('يغلى) بالغين : فان ما يطبخ بالزيوت والأدهان من دون إضافة ماء يستعمل فيه فعل قلاه يقلوه وآلته (المقلاة) واذا طبخ الطعام بالماء مع زيت أو دهن أو من دونهما ثم بقبق قيل ان الطعام يغلي غلياناً ، وان

الطاهي أغلاه وطبخه لا قلاه وحمصه · على ان الغليان في عبارة المؤلف قد يكون له معنى ولكنا نستبعد ان يكون مراداً للمؤلف فهو في الراجح من تصحيف النساخ

ص ١٦٠ س ١٠ ذكر المؤلف عقاقير تسحق وتنخل وتعجن بعسل ، ثم قال : (وتبسط على جام وتقطع وتستعمل) ثم قال في ص ١٦١ س ٦ (ويبسط على جام الخ) واستعمال الجام في الموضعين صحيح فصيح فلا حاجة الى تصحيح الجام بكلمة (الرخام) وان كان بسط الأدوية والطيوب على رخام كثير الوقوع ، غير ان بسطها على الجام أقرب تصوراً وتعقلاً · وبيانه ان للجام معاني ثلاثة تختلف باختلاف اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية فالجام في العربية معناه الإناء من فضة ، وقال علماء اللغة انه بهذا المعنى عربي فصيح · والجام في التركية الزجاج كزجاج الشبابيك والمرايا · والجام في الفارسية القدح الذي يشرب به الشراب في الأكثر وغير الشراب في الأقل

ولا يمكن ان يكون المراد من (الجام) في عبارة المؤلف هذا المعنى الفارسي أي القدح ، وانما الممكن ان يكون المراد الإناء من فضة (بالمعنى العربي) أو لوح الزجاج (بالمعنى التركي) ، فان بسط العقاقير ومعالجة تركيبها عليه كثير الشيوع وشد ما رأيناه في الصيدليات · ولا سيما اذا لاحظنا ان طائفة من علماء اللغة قالوا ان (الجام) هو (الفاثور) وفسروا الفاثور بالطست يكون من رخام أو فضة · وخص الأزهري فقال: ان أهل الشام يتخذونه من رخام · فاذا كان الجام قد يتخذ من رخام فلا حاجة إلى تصحيحه بالرخام · والفاثور أيضاً قد يكون بمعنى قرص الشمس وقد سموا قرصها بالفاثور على التشبيه · وهذا يدل على ان الفاثور الذي يسمى الجام لا يكون له حروف قائمة حواليه حتى قال في (الروض الأنف) : (الفاثور سبيكة الفضة) والسبيكة لا حروف لها كما لا يخفى · ويؤيد هذا ما جاء في كتاب (الألفاظ الفارسية المعربة) من ان (فاثور) معرب (پتر) وهو كل ما صفح من ذهب وفضة ونحاس · ثم نقلوه الى الآنية المعدنية التي لها شكل الصفائح كالخوان والطست وقرص الشمس ، ثم شبهوا به صدر الحسان وخاصة صدر بثينة الذي قال فيه جميل :

سبتني بعيني جؤذر وسط ربرب   وصدر كفاثور اللجين وجيد

وبالجملة فان استعمال المؤلف لكلمة (جام) بمعنى الإناء او الزجاج صحيح ولا حاجة الى تصحيحه بالرخام وان كان استعمال الرخام في هذا المقام ممكنًا

ص ١٦٩ س ٦ قوله : (ويؤخذ ماء الصلق المعتصر) الفصيح في (السلق) وهو الخضرة المعروفة ان يكون بالسين كما ورد في معاجم اللغة . لكن لما كان المؤلف يتسامح في استعمال الكلمات العامية كما قلنا وكان (الصلق) بالصاد مما ينطق به عامة زمانه كما ينطق به عامة زماننا لما كان كذلك تحسُن الابقاء على (الصلق) الواردة في عبارة المؤلف بالصاد ولا حاجة الى تصحيحها بالسين ، وهذا كما أبقينا على كلمة (ملو) بالواو وهي عامية مكان (ملء) بالهمزة في عبارة المؤلف (ص ١٤٠ س ٥) وهي قوله : (ويكون العصير أقل من ملو القارورة) وقد أحسن المصحح الفاضل صنعًا في قوله : [أبقينا (ملو) على حاله حرصًا على استعمال المؤلف] وكذلك نبقي كلمة (الصلق) بالصاد على حالها حرصًا على استعماله : فان في هذا الإبقاء على الكلمات العامية الواردة في عبارات علمائنا وكتّابنا الأقدمين — غرضًا له قيمته في معرفة تطور الألفاظ وتاريخ اللهجات كما لا يخفى

ص ١٦٣ الى ١٧٧ وصف المؤلف خلال هذه الصفحات أدوية مركبة من عقاقير لتنمية (القوة الجنسية) وقد ذكر في عنوان ثلاث (وصفات) منها انهـا (تسخّن الكلَى) بالخاء وفي ثلاث وصفات أخرى أنها (تسمّن الكلى) بالميم ، فاذا كانت كلتا الكلمتين صحيحتين غير محرفتين كان ذلك من أسرار الطب القديم ، وإلا فإن طبيبًا من فضلاء أطبائنا قال : « بعد ان اطلع على نصوص الكتاب » ان إحدى الكلمتين [تسخن وتسمن] محرفة عن الأُخرى وان الصواب في ظني هي [تسخن] بالخاء دون [تسمن] بالميم ، واستدل على ذلك بأن المؤلف وصف هذه العقاقير بأنها [كثيرة الحرارة] ، ولا ريب أن كثرة حرارتها تحدث حرارة في البدن عامة وفي الكُلية خاصة ، قال : وهذا ما وقع لي مذ كنت في السودان فقد دعاني شيوخها الى وليمة أكثروا في طعامها من الفلفل الحارّ فأدى ذلك الى حصول التهاب ونزيف دموي في كليتي . فلا جرم ان يكون المؤلف في وصفاته انما أراد ان العقاقير تسخّن وتحدث حرارة لا تسمّن الكلية وتضخمها . وفوق كل ذي علم عليم .

المغربي

عروج أبي العلاء

هو قصيدة كبيرة أو قصائد سبع صنعها في اللغة الأرمنية الشاعر الأرمني اويديك اسحاقيان المقيم اليوم في مدينة أروان من ارمينية · ويريد الشاعر بالعروج تلك الاعراضة التي اعرضها أبو العلاء عن متع الحياة وملاذها في عزلته ومحبسيه وما قام عليه الكثير من فلسفته من الرفق بالحيوان والكف عن نتاجه وتفضيل الموت على الحياة وحنينه المستمر الى أمه الأرض · فمثله راكباً جملاً مستقبلاً به الصحراء منصرفاً عن البشر وضوضاء اجتماعهم الى حيث يرمي من فجاج المفاوز ويقرع من أفئدة البيد وأكباد المهامة مايصير منه الى النجاة كل النجاة من شر الانسان والتلوث بأوضاره منتهياً به الى حيث يذوب في أديم الشمس مهوى أمله ومنزع نفسه الأخير مخاطباً جمله مرة ومناجياً الطبيعة أخرى ملتفتاً الى الناس ثالثة يوسعهم كما عوّدهم ذماً وهجواً مقرعاً إياهم بأكثر ما جال في فكره من علم وفلسفة وخبرة بالحياة وحقائق الحياة ونقد أحوال الإنسان : يرسل ذلك قوارع لواذع مما يرى أكثره في لزومياته · وقد نقلها الى العربية الأديب الأستاذ السيد محمد خير الدين الأسدي الحلبي شعراً منثوراً في سبعة مقاطيع دعاها سوراً وأخرجها في رسالة جاءت في عشرين صفحة غير ترجمة الشاعر المصدّر بها العروج بقطع دون قطع هذه المجلة ·

ومما قاله المترجم انها ترجمت قبل نقلها الى العربية الى معظم لغات العالم المتمدن كالروسية والألمانية والفرنسية والانكليزية والايطالية والاسبانية واليونانية والتركية والاسبيرانتو وغيرها ومن ذلك اثنتا عشرة ترجمة الى مختلف اللهجات الروسية ·

وأشد ما يلفت نظر القارئ في العروج حرص المترجم بل لهجه ووسواسه في طلب الوقوع على ما يبدو فيه زئبر الجدّة وخشونة الحداثة من الألفاظ والجمل والتراكيب مما لم تبتذله أقلام الكاتبين ، وانه لحرص مبارك ووسواس نافع خليق بأن يشيع في الكتاب ويكثر في المترجمين لما في ذلك من عرض ثروة اللغة وقوة ما اشتملت عليه من بيان مما شاء القضاء أن يبقى حتى اليوم مطوياً في أطباق جرائم اللغة ومناجم معجماتها ·

وحري بالذكر أن كثيراً من أبيات العروج جاء سهلاً سلساً سليماً من الركة بريئاً من التعقيد لا وهن يشينه ولا قلق يذهب بجماله وطبيعي (لا طبعي) ان هذا الكثير ما كان ليدل على نفسه ويتميز لولا ما الى جنبه مما يباينه ويجري في غير مجراه وعورة أو ضعفاً وحاجة الى الأحكام ويؤذن بعض الإيذان ان الأستاذ المترجم لا يزال يروض من العربية بعض الاعراض وانه في طريق التلطف عليه منته الى ما يريد من إقبالها ومواتاتها على ما يثير من حفيظتها بإقباله على غيرها ولعل من آثار تلك الحفيظة ما انتشر في كل من الترجمتين ترجمة الشاعر وترجمة عروجه من هنوات لا نجد بداً من التنبيه على جهرتها وسوادها وان لهج ببعضها الناقدون منذ دهر معرضين عما سوى ذلك مما يسهل الخطب فيه ويحتمل ، فمن ذلك قوله : (وما كاد يشدو بشيء من الدراسة) والذي تقوله العرب في هذا شدا فلان شيئاً من المعرفة او العلم او الدراسة بغير باء وانما يؤتى بالباء مع الشدو بمعنى التغني والترنم فيقال شدا بكذا أي تغنى وما نخاله يريد التضمين فيجعل الباء كما في قولهم أخذت الشيء وبالشيء لأن ذلك بعيد هنا . ومنه قوله (مواطنوه) ولم تقل العرب واطنه وان قالت جاوره وعاصره وليست المفاعلة قياسية وان كان ثمة من يدعو الى قياسيتها فهي دعوة مخففة سينفيها التحقيق في جوهر طبيعة المفاعلة من العربية .

ومنه (فيجليها بأنغام علوية) بمعنى يعرضها والصواب يجلوها بالواو وليس في اليائي من هذا الا جلي الفضة وغيرها بإزالة الصدأ عنها وليس جلو المعاني والأفكار في أنغام الشعر من إزالة الصدأ في شيء .

ومنه (الغواة) جمع غاو للمغري بالشيء اللاهج به حباً وفتنة وقد صوب بعضهم استبدالها بالهواة الجائزة قياساً الممتنعة سماعاً اذ المنقول فيها الهوون ومفرده هو .

ومنه (حنايا) جمع حنو لأحد أضلاع الصدر والصواب أحناء الا ان يكون المترجم قد هجم عليها قياساً على حنايا جمع حنية نعتاً للقوس فهي حينئذ صحيحة لأنها ما كانت نعتاً للقوس الا لانحنائها وكذلك العظم فواحدته حنية .

ومنه (النجمة) مؤنث نجم السماء وذلك ان العرب أطلقت النجم على كل ما يطلع ويظهر من كوكب او نبات غير ذي ساق ثم تجوزت فأرادت منه الشجر والنبات كل ذلك من باب التسمية بالمصدر بمعنى الناجم أي الظاهر ولكنها ما لبثت ان نست أو تناست فأدخلت التاء على ما في الأرض فقالت: النجمة الكلمة والشجرة ونبتة صغيرة ولم تقل قط النجمة مؤنثاً للكوكب لانه مفرد لا كشجرة وشجر وثمرة وثمر .

ومنه (المريرة) بمعنى المرة مؤنث المر ضد الحلو وهو لحن استفاض على أقلام الكتاب اليوم بعد ان شاع في كوكبة من الشعراء قديماً والظن أنه من لحن القرن الرابع أو الثالث ولعل أول من وقع فيه ممن بلغنا الشريف الرضي في ديوانه وأبو فراس الحمداني في قوله :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

ومنه (تقذف على العالم أكوام الشرور) وقذف متعد بغير الجار إلا ان يعتذر بتضمين تقذف معنى تلقي ولا ضرورة شعرية هنا يحتمل معها ذلك وهو عذر ضيق الساحة قلق المضطرب .

ومنه (نفس حرة طاقة لا تعنو الى شوكة او حد او شريعة) والذي تقوله العرب عنا له لا اليه اي خضع وإقامة الى مكان اللام قبيح حتى في ضرائر الشعر .

ومنه (الحكومات) مكان الدول .

ومنه مجيء (بلى) أخت نعم بعد ليس غير ناقضة لها ولا مخالفاً متلوّها ما بعدليس ولا مقرونة ليس بالاستفهام الانكاري المسمى عندهم بالتقريري وهو قوله (ليس أحط من الانسان الشرس وليس أكره منه الا الانسان . بلى ان قلبي عامر بالحب . يحب الذئب وابن آوى أما الانسان فلا أطيق حبه أبداً) والصواب هنا نعم او أجل بدل بلى .

ومنه (تتنفس الصعداء مردداً واحيناه) والعرب انما تقول هذا عند الحسرة والالم في غمرة الحزن أوأوائله لاعندانفراج الكرب أو مواشكة زواله ولا حين ابتداء انكشافه .

ومنه (الأجيال) بمعنى القرون والحقب والأزمان او أهلها ولا تعرف العرب ذلك وانما الجيل عندها الأمة والشعب كالفرس والترك والروم ولا حجة باستدراك الزبيدي في تاج العروس على القاموس فهي من عامياته ونمساته او دساته (وما أكثر هذا منه) تناولها عنه محيط المحيط فأقرب الموارد فالبستان وقبله المنجد والمعتمد ثم فاكهة البستان ، وان كلمة يتضافر على نشرها سبعة معجمات هي ملء أيدي الكاتبين والمتأدبين أولها التاج وآخرها المنجد لصعب ان يرجع الناس عنها الا بعد لأي وجهد ·

ومنه (لعلع في أجواز الفضاء صوت هاتف) بمعنى صوّت عاليًا ولعل خدعة المترجم بها رؤيته اي العلم إياها في أقرب الموارد فهي من حسنات أقرب الموارد فقط على غير عادته في لحناته التي تعود أخذها عن أستاذه البستاني في محيط المحيط الا هذه فمن مخترعاته لم يقلد بها أستاذه ولا غيره والعجب ان صاحب البستان تركها وقفًا على أقرب الموارد ونجله المنجد ·

ومنه (ساهمت) بمعنى شاركت وصوابها تفسيرها وإنما ساهمت في كلام العرب بمعنى قارعت فهي قريبة بمعناها مردودة بلزومها وهي المتعدية ·

وعلى الجملة فان كثيراً من آي العروج قد وقع من الترجمة عما في نفس أبي العلاء موقعًا يكاد يظنه القاري مكتوبًا بلفظ أبي العلاء وان كان بعض آخر يشكو ما يشكو من البعد عن تفكير أبي العلاء وعروبته وكبريائه فبدا مصبوغًا بألوان تصلح ان تكون أنماطًا من العقل غير العربي وان كان شرقيًا في معظم مظهره ·

ومما كان يحسن بالأستاذ المترجم ولكنه لم يفعل هو ان يذكر لنا مأخذ صاحب العروج عن أبي العلاء أمما ترجم له خاصة أم مما كتبه عند أدباء الفرنجة وعلماؤهم أم ماذا ؟

وذماء القول ان ترجمة العروج الى العربية حسنة يجب ان تسجل في جملة ما يحسن به المحسنون من أبناء العربية الى العربية والعروبة ·

محمد البزم

Souvenir de S^{t} Paul

تصنيف الأب نصر الله ص٦٢ وثلاث لوحات مصورة · طبع في حريصا ١٩٤٤ ·

دمشق حافلة بذكرياتها التاريخية والدينية · ولكل من أحيائها القديمة اسطورته · ولكل من مساجدها وكنائسها قصته · تتكيف جميعها مع الزمن · ويتصرف بها الراوي بحسب اهوائه أو مداراة عصره وارضاء مستمعه · وهكذا تتضارب الروايات وتتعدد الأحاديث · فتضيع معها الحقيقة · فلا عجب والحالة هذه ان ضل الباحث في درسه وثنته وعورة المسلك عن عزمه · ورجعت به من حيث ابتدأ · ينشد الحقيقة فلا يهتدي اليها ·

وقد أراد المؤلف ان يوضح لنا صفحة غامضة من صفحات دمشق الدينية الخالدة · متتبعاً آثار بولس الرسول فيها · فذهب يبحث عن المكان الذي تجلى فيه يسوع المسيح لشاول · فسلبه بصره وفتح بصيرته · فآمن بولس الرسول بالنصرانية وكان من أكبر مضطهدي ابنائها واستشهد في سبيلها وكان قبل اليوم يعمل سيفه في رقاب أنصارها وكان بولس قصد دمشق ليفتك في اتباع النصرانية فهرب منها وهو أحد رسلها ·

تبدو لنا هذه القصة لأول وهلة من الأبحاث السهلة لأنها من الحوادث التاريخية المسلم بها · التي لا يمكن ان يعتورها تعقيد ولا تضليل · ولكن سرعان ما يظهر لنا خطأ استرسالنا · اذ نجد في كل صفحة من صفحات هذا الكتيب أثر وعورة المسلك وتشعبه حتى استعصت على المؤلف الحقيقة التي ينشدها رغم ما بذله من جهد ومهارة في جمع كل ما قيل وما نقل في هذا الشأن واستجوابه غوامضها ومع هذا كله فقد امتنعت عنه الحقيقة من حيث كان يرجو ان يظفر بها · وهكذا قدم المؤلف للقارئ مجموعة روايات وتركه وحده بين مفترق الطرق يلتمس السبيل ولا هادي له ·

وهكذا ستبقى كوكب وداريا وغيرهما من الأمكنة تتنازع فيما بينها شرف اهتداء بولس الرسول على أرضها وتدعي هذه المعجزة لنفسها الى ان تظهر نور الحقيقة الى من لا يكتم سرها ·

جعفر الحسني

Miniatures persanes turqus et indiennes .

تصنيف غستون فييت · عدد صفحاته (١٨٣) وفيه (٧٠) لوحة تشتمل على (١٨٣) صورة · طبع في القاهرة سنة ١٩٤٣

أفرد المعهد الافرنسي للآثار الشرقية في القاهرة المجلد (٤٧) من مجلته وخصه بهذا البحث · وقد وصف فيه الأستاذ فييت الصور الفارسية والتركية والهندية التي جمعها معالي شريف صبري باشا لنفسه · ويدل الوصف على نفاسة هذه المجموعة وسلامة ذوق مقتنيها · وهي بحق — كما يقول المؤلف — تاريخ مقتضب لفن التصوير في ايران وبلاد الهند · وقد أحسن المؤلف باطلاع العالم على هذه المجموعة القيمة التي يفتقر العلم الى معرفتها لدراسة التصوير وتطوره عند الأمم الشرقية · وقد اسدى الاستاذ فييت بعمله هذا خدمة علمية جليلة وأضاف مأثرة جديدة الى جهوده العلمية لاسيما وقد جمع في هذا الكتاب بين حسن الانتقاء وامانة الاداء · كما هو معهود به في جميع أبحاثه ومؤلفاته ·

وقد صدر المؤلف كتابه هذا ببيان شامل للمصادر المبعثرة التي تبحث عن فن التصوير عند الفرس مما زاد في فائدة كتابه ·

وقد ترجم المؤلف في الصفحة (٤٢) صورة رقم (١٦) اسم الدراج بـ (coq de bruyère)وصوابه (francolin) · كما أننا نرى في مشهد الصورة رقم (٤٦) ص (٨٦) ما يشير الى أبي يزيد البسطامي والفرس التي عرج عليها الى السماء كما يزعم مريدوه ·

ج · ع

التعليمات للوزراء الانكليز المفوضين في الولايات المتحدة ١٧٩١ — ١٨١٢

Instructions to British ministers to the United states 1791 - 1812

عدد الصفحات ٦٠٣ مطبعة حكومة الولايات المتحدة — وشنطن ١٩٤١

نشر هذا الكتاب « برنارد مايو » أحد أساتذة جامعة فرجينيا مكلفاً من قبل الجمعية التاريخية الأميركية التي تعنى بنشر الوثائق والمراجع المختلفة المتعلقة بتاريخ الولايات المتحدة · والكتاب يحوي تعليمات الحكومة الانكليزية لوزرائها المفوضين في الولايات المتحدة منذ بدء تأسيس علاقات دبلوماسية بين الدولتين في ١٧٩١ حتى عام ١٨١٢ حين حصلت الحرب المعروفة بحرب الاستقلال الثانية بينهما · وقد

مثل انكلترا في هذه المدة ستة وزراء مفوضين ، ومرسل خاص ، وثلاثة ملحقي مفوضية . والدور الذي تتعلق به هذه التعليمات والمراسلات دور هام من وجهين : أولها لانه عصر تضطرم فيه نيران الثورة الافرنسية وحروبها وبأثرها حروب نابوليون الدولية ونزاعه الطويل مع الدولة الانكليزية فتكون الولايات المتحدة دولة محايدة تحاول ضمان حريتها وحقوقها في وسط القوانين المتضادة التي تصدرها الدول المحاربة وثانيها ان هذا العصر يشهد نشوء هذه الجمهورية الأميركية التي استقلت عن انكلترا سنة ١٧٨٣ بموجب معاهدة فرساي وأخذت تنشيء معها علاقات دبلوماسية . والغريب ان انكلترا لم تبدأ علاقات سياسية مع الولايات المتحدة التي استقلت عنها الا في ١٧٩١ أي بعد ثماني سنوات من توقيع معاهدة الاستقلال ، ولم تسرع في تعيين أول وزير مفوض لها الا حين هدد مجلس الأمة الأميركي (الكونغرس) بتطبيق تشريع خاص ضد التجارة الانكليزية . واننا لنرى من خلال هذه التعليمات كيف كانت العلاقات في هذه الفترة بين الدولتين تسودها الريبة وسوء التفاهم ووجهات النظر المتضادة الى ان أدت أخيراً الى ما يسميه الأميركان بحرب الاستقلال الثانية سنة ١٨١٢ . والوثائق التي بين يدينا تشرح وجهة النظر الانكليزية الرسمية ولكننا نتبين منها ان المشكلة الكبرى في ذلك العصر المضطرب بالحروب هي مشكلة حقوق وواجبات الدول المحايدة ويشاهد فيها ذلك النزاع بين الأوامر الانكليزية والأميركية المتعلقة بالتجارة والملاحة وتلك المحاولات التي تبذلها الولايات المتحدة لضمان حقوقها المحايدة والوطنية قبل اللجوء الى الحرب .

وقد بذل الناشر جهوداً قيمة في نشر هذه التعليمات واخراجها الى النور ولاقى عناء كبيراً في الحصول على الوثائق الأساسية والتأكد من صحتها دون تحريف أو زيادة أو نقص كما انه لم يقصر في وضع الشروح اللازمة في الهوامش لايضاح الوثائق وما يذكر فيها من اسماء . وقد رتب التعليمات حسب سني صدورها من وزراة الخارجية الانكليزية ورقم الوثائق المتعلقة بكل من هذه السنوات . وكان بوسعه أن يزيد في قيمة عمله فيضع كلمة في بدء كل وثيقة أو مراسلة عن خلاصة موضوعها من جهة ويضع جدولاً في نهاية الكتاب عن مختلف الوثائق وعن المواضيع التي تعالجها باختصار .

ج . ح

Writings on American history 1937 - 1938

منشورات عن التاريخ الأميركي في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨

عدد الصفحات ٨٦٩ مطبعة حكومة الولايات المتحدة — وشنطن ١٩٤٣

يحتوي هذا المجلد الضخم عناوين جميع الكتب والمقالات التي كتبت في تاريخ الولايات المتحدة واسماء مؤلفيها في سنتي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ . وهو من جملة المطبوعات التي تنشرها الجمعية التاريخية الأميركية في كل عام . وقد أخذت هذه الجمعية على عاتقها اطلاع كتاب التاريخ على جميع ما يكتب في التاريخ الأميركي فأخذت تنشر في كل سنة كتاباً يحوي مواضيع الكتب والمقالات المنشورة عنه في مختلف البلدان . والكتاب الذي بين يدينا يضم ٦٧٢٢ عنواناً للكتب والمقالات المنشورة في السنتين المذكورتين مرتبة مواضيعها بحسب محتوياتها فمنها ما يتعلق بالتاريخ السياسي — وهذا بدوره مرتب حسب أدوار التاريخ وعصوره — ومنها مايتعلق بالتاريخ الموضعي (أي بتاريخ الولايات المختلفة) ومنها ما يتعلق بالتراجم وبالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والديني والأدبي والفني . وفي نهاية الكتاب فهرس ضخم يضم ١٣٠ صفحة بأسماء المؤلفين والكتب والمقالات التي ورد ذكرها في الكتاب وفي مختلف أقسامه . والكتب والمقالات هذه تقتصر على الولايات المتحدة وممتلكاتها ولا تشمل سائر البلاد الأميركية الا ما كان منها متعلقاً بتاريخ الولايات المتحدة . وقد اعد الكتاب بما يضمه من عناوين وفهارس في مكتبة الكونغرس (مجلس الأمة) في وشنطن وقامت على اعداده السيدة « كريس كاردنر كريفن » رئيسة قسم المنسوخات الاجنبية التابع لفرع المخطوطات في تلك المكتبة . واعداد مثل هذا الكتاب مشروع مفيد للغاية لما يعطيه للمؤرخين الذين يعملون في حقل معين من اطلاع على جميع ما يكتب وينشر في حقل اختصاصهم ولما فيه من اهتمام بتاريخ البلاد التي يكتب عنها فضلاً عن انه سجل للمراجع التي لا بد للمؤرخ من معرفتها .

جورج حداد

آراء وانباء

حلية الأولياء وصفة الصفوة

وصل الى يدي كتاب « صفة الصفوة » لمؤلفه أبي الفرج المشهور بابن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ وهو مختصر « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ، فبينا أنا أجيل النظر في مقدمته اذا بي أمام الأسباب التي دعت با الفرج الى اختصار « الحلية » وهي عشرة فلما وصلت الى السبب السادس واذا به يقول : « السجع البارد في الذي لا يكاد يحتوي على معنى صحيح خصوصاً في ذكر حدود التصوف » .

وهنا رجعت بي الذاكرة الى نقد لاذع وجهه رئيس المجمع المحترم الى طابعي « الحلية » في مقال نشره بالجزء الخامس من المجلد السادس عشر من هذه المجلة بعنوان « المطبوعات العربية » . والى القارئ بعض ما جاء في ذلك النقد بالنص : « لو عرض طابعا كتاب «حلية الأولياء» للحافظ ابي نعيم الأصفهاني المتوفى سنه ٤٣٠ . على عالم بالكتب والمؤلفين قبل ان يتكلفا طبع كتاب عظيم مثل هذا ... لقال لهما ان هذا الأصل الذي طبعتما عنه وقع في الغالب الى يد أحد الجهلة فأضاف الى كل ترجمة من عنده سخافات ما أنزل الله بها من سلطان ، وكتابه قد شهد له الثقات بالجودة ، وهذه الاضافات تقدح في جودته لو كانت من المؤلف وقرأها من شهد للكتاب بالإجادة ، وها كم مثالاً من مئات الأمثلة من هذه الزيادات التي شوهت الأصل ، وجعلت الكتاب على ما فيه من الفوائد جعبة ترهات ورقاعات من ذلك (ص ١٠ ج ١) وهم (اي المتصوفة) المصونون عن مرامقه حقارة الدنيا بعين الاغترار ، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار (٢٨—١) بدأنا بذكر من اشتهر من الصحابة بحال من الأحوال ، وحفظ عنه حميد الأفعال ، وعصم من الفتور والاكسال ، وفضل الله له العهود والحبال ، ولم يقطعه سآمة ولا ملال . ونحن نقول : ان هذه العبارات المفككة المرتبكة تنادي بلسان الحال والمقال ، انها من اسخف ما دونته الأجيال ، في تراجم الرجال ، وانها املاء دجّال لا يخاف الله بحال . » اه

وبعد الوقوف على كلمة ابن الجوزي يتبين ان العاهة التي ذكرها الرئيس الجليل قد وُلدت مع الحلية وان النساخ براء من عهدتها فان قال قائل انه من المحتمل ان هذه العاهة صدرت من أقلام النساخ في المدة التي مرت بين عصر ابي نعيم وعصر ابن الجوزي وهي تزيد على القرن ونصف القرن . قلنا : ان هذا الاحتمال بعيد جداً اذ لا يعقل ان يعتمد حافظ ثبت نقادة مثل ابن الجوزي على نسخة من الحلية مصابة بالتخليط والزيادات ولا سيما بعد العلم بأن اهل ذلك العصر كانوا لا يعتمدون على كتاب الا اذا ضبطوا السند بينهم وبين مؤلفه على أصح الوجوه واصدقها . وابن الجوزي من اثبات الرواة فلا يصح ان يقال انه اعتمد في اختصاره الحلية على نسخة ممسوخة لم يتصل سندها بمؤلفها .

هذا وقد ذكر ابن الجوزي العاهة الثامنة من العاهات التي أصيبت بها الحلية وهي : « انه (اي ابا نعيم) حكى في كتابه عن بعض المذكورين كلاماً أطال به لا طائل فيه تارة لا يكون في ذلك الكلام معنى صحيح ... وتارة يكون ذلك الكلام غير اللائق بالكتاب وهذا خلل في صناعة التصنيف وانما ينبغي للمصنف ان ينتقي فيتوقى ولا يكون كحاطب ليل فالنطاف العذاب تروي لا البحر » .

وعلى الجملة فان العاهات العشر التي ذكرها ابن الجوزي في مقدمة كتابه « صفة الصفوة » والتي أهابت به الى تنقيح كتاب « الحلية » واختصاره — لا تزال ماثلة في هذا الكتاب الذي أخرجه طابعاه للناس في هذا الزمان .. فالنساخ بريئون من عهدة تلكم الهنات والطابعان بريئان كذلك ، فلم يبق أمامنا إلا ان نظن ان المؤلف تساهل بعض الشيء في بعض نواحي كتابه . وهو على جلالة قدره بين الحفّاظ لم يشتهر عنه انه من أئمة البيان وأمراء الكلام . واذا شهد الثقات لكتابه بالجودة فانما كانوا يعنون كثرة ما حواه من الأخبار وجليل ما رواه من الآثار فحسب ، لا حسن التبويب وجمال الترتيب ودقة التهذيب وأكبر شاهد على ماذهبنا اليه النقدات التي ذكرها ابن الجوزي وهو من أوثق النَقَدة وأبعدهم عن المحاباة على ان ابا نعيم لم يسلم من بعض المغامز التي غمزه بها أهل عصره قال تلميذه الخطيب البغدادي : « رأيت لأبي نعيم أشياء يتساهل فيها »

وقال ابن حجر في لسان الميزان (ج ١ ص ٢٠١) :

كلام ابن مندة في أبي نعيم فظيع ماأحب حكايته ولا أقبل قول كل منهما في الآخر بل هما عندي مقبولان لاأعلم لهما ذنباً أكبر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها٠ » اه

وكتاب « صفة الصفوة » المذكور من أجلّ الكتب في بابه وقد رتبه مؤلفه ترتيباً خاصاً وهذبه تهذيباً تاماً فذكر باباً في فضل الأولياء والصالحين واردفه بذكر النبي عليه الصلاة والسلام وشرح أحواله وآدابه ثم ذكر المشتهرين من اصحابه بالعلم المقترن بالزهد والتعبد ثم ذكر المصطفيات من الصحابيات ثم ذكر التابعين ومن بعدهم على طبقاتهم في بلدانهم ٠ قال : « ولما لم يكن بدّ من مركز يكون كنقطة للدائرة رأيت ان مركزنا وهو بغداد أولى من غيره الا انه لما لم يمكن تقديمها على المدينة ومكة لشرفها بدأت بالمدينة لأنها دار الهجرة ثم ثنيت بمكة ثم ذكرت الطائف لقربها من مكة ثم اليمن وعدت الى مركزنا بغداد فذكرت المصطفين منها ثم انحدرت الى المدائن ونزلت الى واسط ثم الى البصرة ٠٠٠ » الخ

وهكذا سار في بلاد المشرق من بلد الى بلد حتى عاد الى بغداد ومنها انتقل الى طبقات أهل الشام وبيت المقدس وأهل مصر والمغرب الجبليين منهم والجزريين ٠ والكتاب في أربعة أجزاء يبلغ مجموع صفحاتها ١٣٣٠ وهو غزير المادة كثير الفوائد لا يوازنه (على ما أظن) كتاب في بابه وحسبك انه من آثار ابن الجوزي الذي عُرف بطول الباع في التأليف وسعة الاطلاع على العلوم الشرعية والفنون الادبيه ٠

(بغداد) طه الراوي

المراجع في نقود الإسلام

L. A. Mayer : Bibliography of Moslem Numismatics , (India Excepted) . London , 1939 ; 116 P.

لعلماء المشرقيات ، دروس وبحوث واسعة أفرغوها في ميادين الحضارة الاسلامية ، ومن بينها تآليفهم في السكة والنقود وهو ما يُسمى بعلم النُّمِّيات ٠ فقد نشروا في ذلك من الكتب والرسائل والمقالات ، ما لو جُمع الى بعضه لقام منه خزانة حافلة ، دوّنها أولئك الباحثون بلغاتٍ عديدة ، ونشروها في مواطن مختلفة من بلدان الشرق والغرب ٠

ولما كان الإلمام بعناوين هاتيك المنشورات لا يتيسر لكل أحد ، نظراً الى تناثرها في المجلات المختلفة ، والى عدم وجود ثبت يُرجَع اليه في مثل هذه الحال ؛ شعر البحاثة المستشرق البروفسور ماير بهذه الصعوبة التي تجابه الكثيرين ، فعمد الى تذليلها بما وسعه علمه وذكاؤه ، ذلك انه سرد بطريقة علمية ، كل ما وقف عليه من المدونات الباحثة في نقود الإسلام . ومعنى هذا ، انه حاول استقصاء كل ما نُشر من كتب ورسائل قائمة بذاتها في هذا الموضوع المترامي الأطراف ، وراجع مجلات الاستشراق باختلاف لغاتها وتباين أوقات صدورها ، واستخلص من مطاويها كنوزاً أودعها هذا السفر الذي اتبع في تصنيفه سياقة اسماء المؤلفين على حروف المعجم . وهي طريقة قويمة في أغلب الأحيان .

ولذلك كله ، جاء تصنيف الأستاذ ماير ، من أجلّ ما وُضع في هذا الباب ، بل أجدرها بالعناية والتقدير .

أما البحوث في نقود الإسلام المضروبة في بلدان الهند ، فلم تدخل في نطاق الكتاب . ولو فعل المؤلف ذلك ، لأدّى به الأمر الى مجاهل وعرة لا يسهل الخروج منها .

وقد لفت نظرنا ، ان المؤلف لم يُعنَ العناية الكافية بذكر المراجع العربية للنقود . ولعل له عذراً في اطراح طائفة منها ، كالتصانيف القديمة الضائعة في زمننا[1] ، وغير ذلك مما تراءى له ضآلة قدره . أما إهماله لها جملةً أو قريباً من ذلك فما قد يؤاخذ عليه . ونحن نذكر فيما يلي شيئاً مما فاته ، كنا قيدناه أثناء المطالعة ، مقتصرين في ذلك على ما طُبع منها قبل سنة ١٩٣٩ أي قبل صدور هذا الكتاب ، ليكون ما نستدركه عليه من شرطه . ولعلّ المؤلف الفاضل يضيفها اليه في طبعته المقبلة ان شاء الله .

---

(١) من هذه التصانيف ما لو كان بيدنا اليوم ، لأفادنا أعظم الفائدة في درس حال النقود في صدر الإسلام ، نذكر منها :

(أ) — كتاب التصرّف والنقد والسكة : لوكيع القاضي . ذكره ابن النديم في الفهرست .

(ب) — كتاب ضرب الدراهم والصرف : للمدائني (الفهرست)

(ج) — كتاب ضرب الدنانير والدراهم : للواقدي (الفهرست)

(د) — كتاب الدرهم والدينار : لأبي هلال العسكري (كشف الظنون)

* قصة الدراهم وسبب ضربها ومبدؤه في الإسلام (راجع: كتاب الأموال لابي عبيد القاسم بن سلاّم، المتوفى سنة ٢٢٤هـ. ص ٥٢٤ - ٥٢٥ طبعة محمد حامد الفقي. القاهرة ١٣٥٣هـ).

* أمر النقود (فتوح البلدان للبلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ص ٤٦٥ — ٤٧٠ طبعة دي غويه في ليدن سنة ١٨٦٦).

* الدراهم وأول من ضربها في الإسلام (الأحكام السلطانية للماوردي، المتوفى سنة ٤٥٠ هـ. ص ١٣٨ — ١٤٠ القاهرة ١٩٠٩).

* الدراهم والدنانير والنقد (الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الفرّاء الحنبلي، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ. ص ١٥٨ — ١٦٨ طبعة البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٣٨ بتحقيق محمد حامد الفقي).

* السكة (مقدّمة ابن خلدون، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ؛ ٢: ٤٧ — ٥٣ طبعة كاترمير في باريس سنة ١٨٥٨ = ص ٢١٧ — ٢٢٠ من طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ = ص ٢٦١ — ٢٦٤ من طبعة بيروت الثالثة سنة ١٩٠٠).

* الدنانير والدراهم والفلوس المسكوكة مما يُضرب بالديار المصرية أو يأتي اليها من المسكوك من غيرها من الممالك (صبح الأعشى للقلقشندي، المتوفى سنة ٨٢١ هـ؛ ٣ [القاهرة ١٩١٤] ص ٤٤٠—٤٤٤). وراجع فيه أيضاً: * ما يتحصل من دار الضرب بالقاهرة (٣: ٤٦٥ — ٤٦٨)؛ * والمعاملات (١: ٤٢٤ — ٤٢٥).

* دار الضرب (خطط المقريزي، المتوفى سنة ٨٤٥هـ؛ ٢: ٢٥٠ — ٢٥١، ٣١٢ — ٣١٣ مطبعة النيل بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ).

* ذكر معاملة مصر (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ؛ ٢: ١٧٠ — ١٧١، المطبعة الشرفية بالقاهرة سنة ١٣٢٧ هـ).

* كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية: لمنصور بن بعرة الذهبي الكاملي. منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية (انظر فهرست المكتبة الخديوية ٥: ٣٩٠)، أتمّ تأليفه في الثاني عشر من ذى القعدة سنة ١١٣٥ هـ [=١٧٢٣ م]. قال في أوله: «اني قد جمعتُ في هذا الكتاب من أسرار عمل الدينار والدرهم بدار الضرب مالا غناء عنها لمتوليها». وقد رتبه على سبعة عشر بابًا.

* الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة : لعلي باشامبارك ، المتوفى سنة ١٣١١ هـ . (الجزء العشرون ، بولاق ١٣٠٦ هـ ، ١٧٠ ص . في هذا الجزء بيان الدراهم والدنانير وشكل النقود وهيئاتها وما يتبع ذلك قديماً وحديثاً) .

* النقود الأموية والعباسية التي في المدرسة الكلية [الأميركية ببيروت] : لهارفي پورتر (المقتطف ٨ [١٨٨٣] ص ٨٩ — ٩٥) .

* نقود القرامطة (المقتطف ٢٣ [١٨٩٩] ص ٤٧٥ — ٤٧٦) .

* استعمال النقود [في الشعر العربي] : لأمين ظاهر خير الله (المقتطف ٢٨ [١٩٠٣] ص ١٧ — ١٨) .

* نقود الأمويين (المقتطف ٣٥ [١٩٠٩] ص ٧٠٦) .

* نقود إسلامية مصوَّرة (المقتطف ٣٥ [١٩٠٩] ص ١١٢٣ — ١١٢٤) .

* نقود الخلفاء الراشدين (تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ١ [الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩١١] ص ١١٢) . وراجع فيه أيضاً : * النقود بمصر (٢ : ٣٦) ، * ونقود الدراويش بالسودان (٢ : ٣٢١) ، * والنقود المصرية الجديدة (٢ : ٣٢٨ — ٣٢٩) .

* النقود العربية القديمة : ليوسف اليان سركيس (المقتطف ٤٩ [١٩١٦] ص ٥٦ — ٦٥ ، ١٣٢ — ١٣٧) .

* السكة أو النقود (تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ١ [الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩١٩] ص ١١٨ — ١٢٤) .

* نقد إسلامي مصوَّر (المشرق ١٨ [١٩٢٠] ص ٧٩٩) .

* ابن بطوطة والصين ونقود الكاغد (المقتطف ٢٣ [١٩٢٣] ص٤١٣—٤١٤) .

* أحمد باشا تيمور يُهدي مجموعة من نقود الذهب والفضة والنحاس والزجاج الى المجمع العلمي العربي بدمشق لمحمد كرد علي [مجلة المجمع العلمي العربي ٤ [١٩٢٤] ص ٢٤٠ — ٢٤٢) .

* النقود في الجاهلية وصدر الاسلام: لامين سعيد (المقتطف ٦٤ [١٩٢٤] ص ٤٠١ — ٤٠٧)

* المسكوكات العربية وصاحب السعادة أحمد زكي باشا : ليوسف اليان سركيس (المقتطف ٦٩ [١٩٢٦] ص ٨١ — ٨٣ و (مجلة المجمع العلمي العربي) بدمشق ٦ [١٩٢٦] ص ٢٧٨ — ٢٧٩) .

* المسكوكات العربية في أوربة (تاريخ غزوات العرب في فرنسة وسويسرة وايطالية وجزائر البحر المتوسط: للأمير شكيب أرسلان. القاهرة ١٣٥٢ هـ؛ ص ٢٦٩ — ٢٧١)

* الصليب في النقود الإسلامية (الصليب في الإسلام: لحبيب زيات. حريصا — لبنان ١٩٣٥؛ ص ٦٦ — ٦٩)

* العُملة في مدينة الحيرة (الحيرة، المدينة والمملكة العربية: ليوسف غنيمة. بغداد ١٩٣٦؛ ص ٩٣ — ٩٤، ٢٨١).

* الدينار (كنوز الفاطميين: للدكتور زكي محمد حسن. القاهرة ١٩٣٧؛ ص ٤٢).

هذا أهم ما وقفنا عليه في المراجع العربية القديمة والحديثة. ونذكر من المراجع الفرنجية بوجهٍ خاص، الفقرات الواردة في «دائرة المعارف الإسلامية»، وهي: مادة * «دينار» و * «درهم» و * «فلس» كتبها جميعاً المستشرق زنباور (T. v. Zambaur)؛ ومادة * «دانق» للمستشرق هيوار (Cl. Huart)؛ ومادة * «سكة» و* «طويلة[1]» للمستشرق ألآن (J. Allan) وما جاء في أوصاف بعض الرحالين للطويلة، وفي مقدمتهم:

— Palgrave (W. G.) : Toweeleh (in : « Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia, in 1862 — 63 ». London, 1866; pp. 179 - 180).

— Cheesman (Major R. E.) : Tawila (in : «Unknown Arabia». London, 1926 ; pp. 102 - 103).

هذا الى بحوث أخرى حرّية بالاعتبار، منها:

— Migeon (Gaston) : les Monnaies (en : [Manuel d'Art Musulman]; Tome I, Paris, 1927 ; pp. 399 - 407).

— Miles (G.C.) : The Coinage of the Kakwayhid Dynasty (in : «Iraq», V, 1938 ; pp. 89 104).

—Minost [E.]: Au Sujet du [Traité des Monnaies Musulmanes] de Maqrisi [Bull. Inst. Ég. ; xlx, 1937 ; pp. 45 - 61].

— Prieto y Vives [Antonio] : Tesero de Monadas Nnsulmanas

(١) الطويلة: ضربٌ من النقود، كان متخذاً في بعض الانحاء من شرقي جزيرة العرب كالاحساء والقطيف وغيرهما.

encontrado en Badajaz (in: Al Andalus, II, 1934 ; pp . 299 - 327].

— Prieto y Vives (Antonio) : Miscellànea Mumismatica (Al - Andalus, III, 1935; pp. 127 - 133

في هذا البحث الكلام على دنانير خلفاء قرطبة ، ودنانير بني مدرار في سجلماسة .

ان هذه المستدركات كلها ، تكاد لا تذكر اذا ما قيست بالثروة العلمية الطائلة التي أمدّنا بها المؤلف الفاضل ، في تصنيفه هذا الذي لايسع كلّ من يعنى بتاريخ الإسلام وآثاره إلاّ أن يثني عليه الثناء العاطر .

كوركيس عواد

حول مقالة الحسبة للفاضل كوركيس عوّاد

المنشورة في الجزئين ٩ و ١٠ من المجلد ١٨

قال في الكلام على نصاب الاحتساب لعمر بن محمد بن عوض السنامي انه قد أحصى منه عشرين نسخة متفرقة في كثير من خزائن الكتب . وانا نزيده خمس نسخ أخرى .

١ — في المكتبة الأحمدية بحلب رقمها ٦١٠ محررة سنة ١١٠٣ هـ كتب في آخرها انه بلغ مقابلة من أوله وآخره والحمد لله

٢ — في مكتبة التكية المولوية بحلب وهذه لم أنظرها لعدم تنظيم هذه المكتبة وعدم فتحها

٣ — في مكتبة جامع السلطان اويس في الموصل محررة سنة ١٠٩٥

٤ — في المكتبة الحسينية محررة سنة ١٠٩٥ أيضاً

٥ في المدرسة المحمدية محررة سنة ١٠٥١

وهذه النسخ الثلاث ذكرها الدكتور داود چلبي في كتابه مخطوطات الموصل وانى أيضاً بحثت كثيراً على ترجمة المؤلف في مظانها فلم أقف لها على أثر ولعله مترجم في الطبقات السنية في تراجم الحنفية للمولى تقي الدين بن عبد القادر التيمي الحنفي المتوفى سنة ١٠٠٥. ونسخة من هذه الطبقات في الخالدية بالقدس وهو جدير بالنشر .

(حلب) محمد راغب الطباخ

تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم

طلع علينا الجزء التاسع والعاشر من المجلد الثامن عشر من مجلة المجمع العلمي العربي وفي الصفحة (٤٠٦) منه مقال عنوانه: (مقامات ابن حمويه الجويني) بقلم حضرة الأب انستاس ماري الكرملي وصف بها النسخة واقتبس منها بعض الفصول وشرح الغريب منها . ولما كنت قد استحصلت على نسخة من هذا الكتاب في عام ٩٤١ وكتبت رسالة أرّخت بها المؤلف وعرّفته وحققت الرسالة وشرحت غريبها رأيت من الواجب ان اكتب هذا المقال خدمة للحقيقة والتاريخ راجياً من الأب المحترم ان يرشدنا الى النقص وان يسدل ستار العفو عما يجد فيه من الخطأ .

ان لهذه الرسالة نسخة واحدة أصلية محفوظة في مكتبة مدرسة يحيى الجليلي بالموصل تحت عنوان: « ديوان ابن حمويه » .

وبعد وصول النسخة التي ظهر لي ان هناك نسخة خطية أخرى محفوظة في دار الكتب المصرية ويتعذر الآن الوصول اليها .

ان اسم هذه الرسالة لم يكن « ديوان ابن حمويه » كما ذكر في النسخة العراقية ولا (مقامات ابن حمويه الجويني) كما ذكر الأب انستاس وانما اسمها الصحيح هو « تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم » وهذا ثابت بالترجمة المختصرة التي أوردها جرجي زيدان في كتابه: « آداب اللغة العربية » وبما ورد في كشف الظنون من انه مجموعة أشعار وأخبار في الغزل والأدب واللذات [1] .

أما المؤلف فهو الصاحب ابو المظفر فخر الدين الأمير يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ ابن الحسن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني [2] بن علي بن رزم بن يونان ولد بدمشق سنة ٥٨٠ هجرية على عهد السلطان صلاح الدين وتوفي شهيداً في حرب المنصورة يوم الثلاثاء خامس ذي القعدة سنة ٦٤٧ وكان عمره سبعاً وستين سنة . وأما أمه فهي ابنة القاضي محيي الدين ابي حامد محمد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بن عصرون [3] .

---

(١) كشف الظنون ط ثانية ج ١ ص ٣٢٦ (٢) جوين: اسم كورة بين بسطام ونيسابور يسميها اهالي خراسان [كويان] وهي من مدن ايران . (٣) معجم البلدان، النجوم الزاهرة، السلوك، شذرات الذهب

مرت حياة المؤلف فخر الدين في عهد الدولة الأيوبية وقد عاصر الملك الكامل أبا المعالي ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر أيوب المولود سنة ٥٧٦ والمتوفى بدمشق سنة ٦٣٥ وولاه هذا مشيخة الشيوخ بعد وفاة أبيه صدر الدين وذلك سنة ٦١٧ هجرية لما كان عليه المؤلف من الفضل والعلم والأدب .

وفي سنة ٦٢٨ هـ سافر الملك الكامل محمد الى الاسكندرية وبقي الأمير فخر الدين المؤلف بالقاهرة وصنف له هذه الرسالة وقدمها اليه بعد رجوعه .

الفـات نظر

وإني بهذا ألفت نظر الأستاذ الأب انستاس ماري الكرملي الى الرجوع الى ما ورد في حاشية مقاله في شرح الألفاظ الغريبة لتصحيح بعض الأخطاء مثال ذلك شرحه لفظة « زملكش » بأنها محرفة وأصلها « زملق » التي ترى معناها في المعاجم والكلمة بذيئة . ومعناها لا يستقيم مع معاني بقية الألفاظ الواردة في هذا الفصل والتي هي عبارة عن تعداد أرباب المهن والصناعات والصحيح ان لفظة (زملكش) مركبة من كلمتين الاولى عربية وهي (زمل المحرفة من كلمة (زامل) وهي الدابة من الإبل وغيرها يحمل عليها والثانية فارسية وهي كلمة (كش) أي ساحب ومعنى مجموع الكلمتين ساحب الحمار (الحمّار) .

ومنها الفصل الذي أورده في شرح (لفظة سائس) وعدم اثباته بأصل معناها وهو (السائس) من ساس الدواب وقام عليها وراضها .

ومنها ما زاده من لفظة « بهتان » فهي زيادة لا لزوم لها اذ السجع مستقيم هو هكذا (وغطارفة همدان) وشهود الزيف وقضاء اسوان .

وكذلك تبديله لفظة (قزوين) بلفظة (قزوان) مدعيًا ان السجع لا يكون حالة اذ السجع صحيح وهو (وفتاك قزوين واشراف اذربيجان) .

لم يصحح لفظة (جزائر) بلفظة « جزار » وهي التي تستقيم مع المعنى ومنها تكلف الأستاذ في شرح لفظة « نكاريش » ولو اكتفى بقوله ان معناها (الملتحين) أي أصحاب اللحي لكفى .

(بغداد) ابراهيم الواعظ

وصية بكتب

أوصى المرحوم السيد طاهر ابو حرب بخزانة كتبه لدار الكتب الظاهرية وقد نفذ الورثة وصيته وأودعت الكتب خزائن الظاهرية وعددها (٨٠٣) مجلدات منها (١٨) مجلداً مخطوطاً أهمها :

١ — مجموع فيه ارجوزة ابن سينا في الطب وأخري في تدبير الصحة وثالثة في التشريح

٢ — الصحاح العجمية وهو قاموس فارسي عربي

٣ — كتاب العمل بالاسطرلاب لعلي بن عيسى الاسطرلابي

بارك الله في ذوي الخير ورحم الذين يخلدون اسمهم بما ينفع الناس ويحيي الأثر ·

جلسة الختام

يعقد المجمع العلمي العربي في ٢٩ حزيران سنة ١٩٤٤ جلسة الختام وهي جلسة علنية يقرأ فيها الرئيس البيان السنوي العام ويلم فيه بأعمال المجمع في سنته العلمية من تشرين الأول الى حزيران وما قام به من الأمور التي يعني بها · ويؤبن المتوفين من الأعضاء ، ويعلن اسماء الفائزين بجوائز المجمع ويوزع الجوائز عليهم · ثم يقرأ الأستاذ عبد القادر المغربي بحثاً لغوياً أعده لهذه الجلسة خاصة ·

ويعطل المجمع عقد جلساته والقاء محاضراته مدة أشهر الصيف الثلاثة (تموز وآب وايلول) ويستأنف أعماله في تشرين الأول ان شاء الله ·

فهرس الجزء السابع والثامن من المجلد التاسع عشر

الصفحة

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء



إيلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٤　　　　شهر رمضان وشوال سنة ١٣٦٣

هل وفت العربية بغرضها

إذا تدبرنا الفاظ الكتاب والسنة وألفاظ الشعراء والخطباء وأمعنا النظر في بنية الكلام العربي منظومه ومنثوره ، منذ كانت اللغة العربية لغة شعر وخطب إلى أن غدت لغة شريعة وأدب إلى أن درجت لسان علم وسياسة، ثم نظرنا فيما أبانت عنه هذه الألفاظ وما تركب منهـا من اغراض ساذجة او مركبة — إذا تدبرنا كل هذا يعرض لنا سؤال يستلزم جواباً ، وهو هل وفت العربية بما نيط به لغة عظيمة خلال هذه القرون الطويلة، ام عصت على القيام بالغرض المطلوب لما تم لها عهد الجاهلية ويقدر بمئة وخمسين سنة ، وقد خرجت من جزيرة العرب إلى الأقطار التي رحبت بالاسلام .

وعرفنا من سير هذه اللغة وسيرتها أنها كانت في جاهليتها وعالميتها سواء ، تؤدي المقاصد وتوفي على الغاية ، كانت كذلك وهي بمعزل عن العالم وكذلك صارت لمـا عرضت لها معان اقتضتها وضع الفاظ ومدلولات واصطدمت يوم امتزجت بالاجانب ومسرت إليها لوثات اغلاطهم وأساليبهم ولهجاتهم كما سرت اليها طرق تفكيرهم والتهج بأساليبهم بالجدل والمناقشة .

العربية ما خارت قواها يوم أربدت على نقل علوم اليونان والفرس وغيرهم ، بل زادت قوة عندما ضمت الى متنها كلمات وكلاماً ما عرفها أبداً ابن الجاهلية ولا ابن الصدر الأول ، تبنت كل ما دخل عليها وما إنكرته فعاد كأنه أصيل فيهـا غير دخيل عليهـا . وطريقتها أن تشتق من أصلها ما استطاعت اشتقاقه فتضع له لفظاً يقارب ما تقصد إليه من معنى ، وما لم تجد له في بحرها الطامي مقابلاً من الالفاظ تنحته او تشذبه حتى تقربه من ذوقها ، فاذا أعجزها كل أولئك اقتبست اللفظ كله

وان خالفت بعض حروفه حروفهـا ، وبعد باسلوبه قليلاً من أسلوبها . وهذا من بعض الأدلة على أنها مستعدة للتجدد غير جامدة ولا راكدة .

مضت اللغة على هذا النحو تقوى بانتشار العلم وتضعف بضعف اهلهـا ، والضعف ينالها من زهد أبنائها في العلوم والتجانف عن دراسة الآداب دراسة تبحر . ولقد كاد يذهب من يشخص أعراض أمراضها زمان التراجع إلى أنها من اللغات الميتة المحكوم عليها بالانقراض فلا تلبث أن تكذب ظنون أعدائها وتعود فتهب هبة جديدة ملؤها صحة ونشاط . ويرجع الفضل في ابلالها من اعتلالها أبداً لاحتفاظها بكتابها الكريم ثم لاستمساكها بآثار المجودين من بلغاء السلف .

قضت هذه اللغة في الاسلام نحو نصف حياتها في استعمال الاسجاع والجناسات فأوشكت أن تضيع رشاقتها بهذه البدعة في نسج كلامها ، وما زالت تهوي فتفسد ملكتها وتخرج عن طبيعتها حتى قيض لها آخر القرن الماضي من نشلها من سقطتها وعاد بها سيرتها الأولى من ترك التكلف والرجوع إلى الطبع . ورحنا نشهد كتابتها أشبه بكتابة القرن الرابع ، ونرى شعراءها ينحون مناحي شعراء الحضارة في العصر العباسي الأول والثاني ، ومن قرأ مقالة ممـا تنشره الصحف والمجلات او فصلاً من تأليف حديث صدر من قلم رجل درس العربية دراسة نظامية أو قصيدة من قصائد المعاصرين يدرك بأدنى تأمل كيف أخذ الكتاب والشعراء يحسنون رصف الكلام البليغ ويقدّرون الألفاظ بقدر المعاني ، وكانوا إلى عهد قريب يصفون الألفاظ صفاً لا ينم عن ذوق ويكثرون من المترادفات ليتألف معهم السجع والازدواج وتستقيم القافية والوزن . أي ان اللغة آضت في النصف الثاني من القرن الأخير ورأس مالها الفاظ لا يعرف مالكوها كيف يتصرفون فيها . والألفاظ مهما تنوّق في اختيارها لا تبرز في قالب مقبول الا بجودة التركيب ، فالبلاغة في التركيب والفصاحة في تخير الألفاظ . ومهما حاول الكاتب احسان القوالب لا يكون الا إلى التفاهة إذا كان المعنى في ذاته مبتذلاً مطروقاً . والمعاني كما قال العارفون صوغ العقل واللفظ صوغ اللسان .

وحاول في هذا العصر بعض المتحذلقين الذين لم يعنوا بدرس أدب هذه اللغة ان (يفرنجوا) ألفاظها وتراكيبها ، فعمدوا الى استعمال كل ساقط من اللفظ والتراكيب يعبرون عن أفكار لا تستسيغها أذواقنا ، يريدون بهذه البدعة ان يستروا نقصهم بدعواهم أن كتابتهم عصرية وشعرهم عصري وانهم يحببون اللغة الى أهلها بهذا الأسلوب الذي ادعوا له الرشاقة وما هو الا السماجة بعينها ، وكيف لعمري تصح دعواهم وهم ما درسوا الأدب العربي ولا الأدب الافرنجي يملون مالا محصل له ويضيفون جملاً لو سألتهم تفسيرها لعجزوا وجمجموا .

حاولت غير مرة أن انفذ الى روح هذا الأدب العصري الذي حمله إلينا المفسدون فلا وربك ما تفهمته ، ولا تذوقته ، ورجعت بعد العناء وبيدي شعر غث بارد تجرد عن الشاعرية وخرج احياناً عن الأوزان العربية ، لا موضوع له ولا مغزى ، وانقلبت بنثر لا ماء له . ولا رواء خال من كل جزالة معقد غامض لا يصدر مثله الا عمن يهذي . هذا أدب هؤلاء القوم الذي صدعوا به الرؤوس وعتبوا على دهرهم أن كان المقبلون عليه أقل من القليل . ولقد قرأنا أدب الافرنج فأعجبنا به واستفدنا منه وقرأنا طائفة من أدب الأمم الأخرى منقولاً الى لغة الافرنج فهدينا به الى اشياء كثيرة اما هذا الأدب العصري فعصرناه عصراً متيناً فما رأينا له بلة ولا طلاوة ، وحرنا وقد ازعجتنا دعوى ادعيائه وصلفهم في أي رف ندحسه وفي اي كوة ندسه .

انهم يحاولون ان يأتونا بلغة يبتدعونها على هواهم ويرغموننا على ان نشايعهم بأنها لغة عربية ، والفصحى يخالف روحها ذلك ويأباه ، العربية ترذل من يعقها ويزعم انه بار بها ، العربية خلقت كما قال العلامة رنان كاملة من اول نشأتها خلافاً لأكثر اللغات التي كان للايام يد في تكملها ، تكيفها حاجة الناطقين بها ويعمل الزمن في تنميتها . وقد جرت لغتنا منذ عرفت على نظام واحد وجاءت تامة بصيغها ومبانيها تتجدد بالمعاني التي تدخل عليها والألفاظ التي تستدعيها تلك المعاني .

ولقد رأينا ادب العرب في الأندلس والغرب كأدبهم في فارس والشرق لا تفاوت

بينها في القواعد والروابط والألفاظ والتراكيب اللهم الا ان كانت هناك مسحة اتت من بعض صور المعاني المنبعثة من علم المؤلف او الكاتب او الشاعر ومصطلحات اقليمه وعادات اهله . وهذا لأن المصادر التي يستقي منها اهل الخافقين واحدة وما حدثت نفس احد ابناء اللغة ان يخرج عنها قيد انملة وان يخرق اجماع العارفين الذي تسلسل اكثر من خمسة عشر قرناً . ولو لم تصب العربية بمصيبة التكلف والاسجاع لكانت صور الأداء في القرون التي سبقت الاسلام كصورها في القرون التالية إلى يوم الناس هذا . كانت الألفاظ إذا لوحظ فيها الابتذال في بعض العصور بضعف ملكة الأدب يقوم أناس يرجعونها الى محجتها المرسومة ويحيون من معالمها ما تعود به اشد رصانة ويبعثون من شواردها وفصحها ما اماته الجهل وقلة العناية .

نعم كانت اللغة إذا مرضت حيناً من الزمن لا تلبث ان تبرأ بظهور أساة من البلغاء يكشفون أسرار فقهها ويقومون منآد الألسن والاقلام ويتوفرون على « التوسع في علم اللغة خاصة » لتكثر الألفاظ عند « من يطلب الترسل وقرض الشعر وعمل الخطب » « وليعرف العلوي من الكلام فيستعمله والعامي فيتقيه ويجتنبه »

وجاء عصر منع الفقهاء في بعض الأقطار العربية قراءة التفسير زاعمين ان بقراءة تفسير القرآن يموت السلطان وما يموت في الواقع إلا الجهل ، وما حاول العابثون بذلك الا ابقاء الناس في عماية والتزلف من السلاطين . ويستحيل على من لم يحفظ القرآن ويتدبر معانيه وينظر في أحكامه ان يحرز منزلة في البلاغة وعلوم الشرع ، وهذه العلوم لا يتقنها من ليس له حظ من الكلام العربي وهل القرآن الا كتاب ادب العرب كما هو كتاب شريعتهم ؟ وفرق بين فقه يدونه فقيه يكون على شيء من تذوق البيان ، وفقه يكتبه فقيه ليس من البلاغة على عرق ، وهكذا الحال في سائر العلوم . ولو كتبت جميع علوم الاسلام بلغة بليغة ما استلزم تحصيلها الأعوام الطويلة .

وما خلد ما كتبه نصارى العرب وغيرهم من ارباب النحل الذين ظهروا في عصر الاسلام الذهبي اي في القرن الثالث والرابع من الهجرة الا لأنهم كانوا يدرسون

القرآن على انه المصدر الأول في إحكام اللغة العربية ، ولا نمثل إلا بأبي اسحق الصابي وحنين بن اسحق ويحيى بن عدي ممن كتبوا تآليفهم مؤمنين ببلاغة القرآن وان لم يؤمنوا به ايمان المؤمنين من اهله .

وبعد ان دخل الفساد على اللغة اواخر القرن الأول للاختلاط بالأعاجم غدا اهل اللسان يتعلمون لسانهم في الكتب ويتخرجون بجها بذة اساتذته تخرجاً لمنابذة العامية والابقاء على الفصحى . ومن قعدت به الهمة عن اختيار الجيد من المفردات والجيد من المركبات فهو العي كل العي ، وان قضى اعواماً في درس الصرف والنحو والبيان والبديع .

ما اللغة الا مفردات وقوالب لا دساتير وتعليلات ، وكم من حافظ للقواعد عاجز عن البيان المعجز كله ، وما نخال الجاحظ وابن المقفع حفظا من مطولات النحوما حفظه بعض علماء النحو وما كان الأحمد ان احمد بن يوسف الكاتب واحمد بن يوسف المعروف بابن الداية كابن المعتز والعسكري في معرفة الجناس وزخارف البديع ، وثقوا ان ابا تمام والبحتري والمتنبي ما عرفوا علم العروض كما عرفه اقل العروضيين ، وان القاضي علي بن عبد العزيز وتلميذه عبد القاهر الجرجاني ابدعا ببيانهما مالم يبدع بعضه من وضعوا قواعد هذا الفن . ولو حصر اهل البلاغة قرائحهم في الحدود الضيقة التي حددها البيانيون لما ارضوا أنفسهم ولا ارضوا الأدب ، ولرجع هذا اللسان القهقرى فأجدب بعد الخصب ، وشحب بعد النضرة . لا جرم ان اللغة كانت تضعف اذا ظن الأمناء عليها ان حفظ القواعد وحدها مما يقيها عوارض الانحلال

كانت اللغة وافية بحاجة أهلها إذا كان المتدبون لتغذية عقول بنيها على جانب من المحافظة على الرسم الذي وضعه البلغاء يجهدون جهدهم في تنمية ثروتها من الألفاظ والمعاني ، مراعين حالة جسمها وروحها ، وجسمها الفاظها وروحها معانيها . واذا كان معظم اللغات الأوربية يشتق من اللاتينية واليونانية ما يعوزه من الألفاظ الجديدة فان العربية تستقي من مادتها الثرة التي لا يكاد ينضب معينها على الدهر .

والى هذا ما كانت العربية لغة بداوة حتى يوم كانت لا تعرف غير الجزيرة

موطناً ، بل خصت على اختلاف الأزمان بدقة التصوير ووجازة التعبير فبرزت لغة حضارة تقبل اصناف المعاني بقدر ما يتسع له صدرها وتشتد اليه حاجتها . ولو كانت العربية لغة بادية جافية جاسية ماوقفنا في المعلقات السبع وغيرها من الشعر الجاهلي على اخيلة عجيبة ، وحكم بارعة ، ومعان لا تصدر الا عن مجتمع يتسامى ببلاغته ويزهى بأدبه . وفي معلقة زهير بن ابي سُلمى مثال ظاهر يؤيد هذه الدعوى وهل يتأتى ان يقول مثل هذا الشعر الا رجل شاهد ما شاهد فوصف ما وقعت عينه عليه ؟

وهذا ما يحدونا على ان نؤكد انه لاعيب في اللغة بل العيب في الدارسين لتخلفهم عن اعطائها استحقاقها من التعهد كما يبذل طلاب اللغات الاجنبية جهداً فائقاً لاتقانها . ورأينا في القديم أهل فارس وخوارزم يبرّزون في تمثل آداب العرب حتى كادوا يبذون اصحاب هذا اللسان أنفسهم ، وجاء منهم بلغاء عزّ نظيرهم في العرب الاقحاح . وأتى الترك بعد الفرس فكانوا عنهم جدّ مقصرين ، يصرف مشايخهم اعمارهم في دراسة العربية ولا يفصحون بها . وما عرفنا منهم على طول أيامهم وهي ستمائة سنة كاتباً جزلاً ولا شاعراً فحلاً بلغة العرب ، على حين يعد بلغاء الأعاجم بالمئات ، والسبب في هذا النقص فساد طريقة التعليم عندهم على ما نظن .

واكثر ما خلفه الترك من آثارهم بالعربية يدور على التفسير والفقه والكلام والتاريخ والنحو والصرف والبيان وبعضه لا يخلو من العجمة ويوشك ألا يتفهمه الناظر فيه إلا بعناء وجهد . وكل من طالت عشرته لكتبهم يدخل الضيم على بيانه العربي ولو كان عربياً بحتاً . نعم كان معظم من تعلموا العربية من قدماء الأتراك لا يحسنون النطق بها ولا يقوون على سبك جملة مقبولة خلافاً للأعاجم من علماء المشرقيات اليوم فان في وسع المتوسط من المستعربين منهم ان يكتب جملة مفهومة وينطق بها على وجه الصحة وربما كان في فهم النصوص بمكان لا يقل عن ابناء عدنان وقحطان .

ولقد رأينا الهنود والأفغانيين يتقنون العربية ويكتبونها برشاقة تكاد توازي رشاقة البلغاء من ابنائها الخلص ويعترفون ضمناً ان اللغة الأوردية والأفغانية ولغة الملايو لا تتسع لما يتسع له صدر العربية ، ولذلك كانوا يعتمدون على اللسان

العربي في التأليف ، وندر في الفرس من كتبوا تآليفهم بالفارسية وكانوا يفاخرون بوضع تآليفهم بالعربية ، ولولا أن رنت في العالم نغمة القوميات في القرن الماضي فحاول اهل كل جنس ان ينشروا لسان بلدهم عادين ذلك من الوطنية ، لرأيت الفرس والهنود والأفغان والأتراك والجاويين والصينيين وغيرهم يكتبون الى اليوم تآليفهم بالعربية خصوصاً وبعض لغات الأعاجم ليست من الألسن المكتوبة كالطاغستانية والجركسية والسودانية والكردية والبربرية ويحاول دعاة قوميتها مع هذا أن يضعوا لها الآن معاجم وقواعد لتصبح لغة مكتوبة كما هي لغة محكية [1]

ومنذ القرن الرابع قال ابو هلال العسكري ولا نعرف اليوم علماً جاهلياً ولا اسلامياً الا وأهله عربيون ومتعربون يكتبون باللفظ العربي والخط العربي . وقال ابو الريحان البيروني : والهجو بالعربية احب الي من المدح بالفارسية وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسي كيف ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع به اذ لا تصلح هذه اللغة (اي الفارسية) الا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية . وقال في مناسبة أخرى : والى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدادت وحلت في الأفئدة وسرت محاسن اللغة فيها في الشرايين والأوردة .

روى حمزة الأصفهاني في التنبيه على حدوث التصحيف عن علماء الآزادمردية اي الأحرار انهم ألفوا جميع لغات الأمم في الكية على ما كانوا ناطقين بها وعلى الجبلة في بدء التكوين لا تتولد فيها الزيادات وانهم وجدوا العربية على الضد من سائر لغات الامم لما يتولد فيها مرة بعد اخرى وان المولد لها قرائح الشعراء الذين هم أمراء الكلام بالضرورات التي تمر بهم في المضايق التي يدفعون إليها عند حصر المعاني الكبيرة في بيوت ضيقة المساحة . فان كان هؤلاء الأحرار يقصدون بقولهم هذا غمز اللغة العربية من طرف خفي ويعدون من ضعفها ان يضع لها الشعراء الفاظاً

---

(١) راجع في كتابي « الاسلام والحضارة العربية » الفصل الذي عقدته لذكر مواطن العربية وآثارها في اللغات الشرقية والغربية

جديدة فهو عند العارفين كال لها ، ذلك لأن التوليد والاشتقاق والتعريب في اللغة دليل حياتها لا موتها وقوتها لا ضعفها ·

والغالب ان احرار فارس نسوا يوم رموا العربية بهذه السبة ان لغتهم في القرون الاولى للاسلام كانت جافة لخلوها من الألفاظ العربية فاضطرهم نقصها الى ان فتحوا بابها على مصراعيه لقبول الالفاظ العربية ، فأصبح القدر الذي دخل الفارسية من العربية اكثر من الألفاظ الفارسية الأصيلة فيها · وهكذا الحال في لغة الترك ولغة الاوردو والملايو وغيرها من لغات الشرق · فلا قبول هذه اللغات ألوفاً من الألفاظ العربية مما يعد نقصاً فيها ولا سراية الدخيل والمولد الى لغتنا مما يحسب عليها · وقد قال ابو حيان التوحيدي ان اللغة جارية على التوسع كما هي جارية على التضييق ومن ناحية التضييق فزع الى التحديد والتشديد ومن ناحية التوسع جري على الاقتدار والاختيار ·

لاجرم ان العربية من أوسع اللغات وفيها من الخصائص التي يقل ان تشاركها فيها لغة شرقية ، وفي تعلمها تنافس المسلمون على تباين عناصرهم وعصورهم مأخوذين بسحر القرآن على ما أخذ به بلغاء العرب العرباء ·

محمد كرد علي

اللغة العربية وسكان الأندلس (1)

في القرون الوسطى

La langue arabe et les habitants de l'Andalousie au Moyen âge

ان جزيرة الأندلس في القرون الوسطى وخصوصاً في القرن الخامس تنقسم الى قسمين الأندلس النصرانية والأندلس الاسلامية .

فالأندلس النصرانية عبارة عن قطعة مستطيلة تمتد في شمال الجزيرة وتشتمل على بعض مقاطعات ككاطالونيا ونابرّة أي بلاد البشكونش وجايقية . وأما الأندلس الاسلامية فهي تشتمل على بقية الجزيرة أي على اكثر من أربعة اخماس من الجزيرة . وهي تظهر لنا من جهة السياسة على حالة بلاد الفرس في زمان دولة الأرساسيين بعد انحلال امبراطورية الأكمينيين . ولقد كانت بلاد فارس في تلك الأيام منقسمة الى دويلات متعددة يسميها المؤرخون « طوائف » وقد قال ابو الفداء في « كامله » ان عددها يبلغ تسعين طائفة . ويحكم فيها ملوك لا يرتبطون بالسلطة المركزية إلا بعلائق ضئيلة . فقياساً على ما كان عليه بلاد الفرس سمى المؤرخون « ملوك الطوائف » أولئك الملوك الذين استقلوا استقلالاً في جزيرة الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة في ابتداء القرن الخامس .

فتكوّنت حينئذٍ نحوُ عشرين دويلة يحكم فيها ملوكٌ أصلهم عرب او برابرة او صقالبة . فالمسلمون العرب يحكمون في قرطبة واشبيلية ، وفي لاردة وسرقسطة ؛ والمسلمون البرابرة في غرناطة ومالطة ورُندة ومورور وقرمونة وطليطلة وبطليوس والسهلة ؛ والمسلمون الصقالبة في المرية ودانية وجزيرتي ميورقة ومنورقة .

هذه هي الحالة السياسية في جزيرة الأندلس في القرن الخامس . وان ملوك الطوائف ليست لهم الا قوة نسبية يحاربون بعضهم بعضاً من غير أغراض معينة ، شأن أغلب الملوك الذين يستولون على الحكم ويقسمونه بينهم حسب الفرص والمصادمات بعد انحطاط السلطة المركزية وانحلال قوّتها .

---

(1) محاضرة ألقاها المستشرق الفرنسي الأستاذ پيريس بالمجمع العلمي العربي في ١٢ مايس سنة ١٩٤٦

ليس غرضنا عرض الاسباب التي أفضت بالخلافة الى تلك الحالة ، ولكن يهمنا درس الحركة الثقافية في ذلك الزمان زمان ملوك الطوائف بالأندلس . نعم تزدهر في بلاطات أولئك الملوك مهما كان أصلهم حياة أدبية عقلية عربية محضة . وأن شهرة الأديب تهمهم أكثر من سمعة قائد الجيش . فكل ملك من ملوك الطوائف غايته القصوى ان يعتبر بلاطه مجلساً بل مجمعاً يجمع أفحل الشعراء وأبلغ الكتاب ويجدر بنا ان نضيف وأكبر مفكري الجزيرة . وفي الواقع لم يُرَ قط في الأندلس الاسلامية أكثر أدباء من ملوك ووزراء وغيرهم . فلا يحصي عددهم ولا توصف مزاياهم . فناهيك من شاهد « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان و « البديع في وصف الربيع » لأبي الوليد الحميري ولا سيا « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » لابن بسام الشنتريني و « الحلة السيراء » لابن الأبار .

وهناك أمر جدير بالاعتبار وهو ان الشعوب التي تسكن الأندلس مختلفة جداً من مسلمين - وفيهم عرب وبرابرة وصقالبة — الى نصارى ويهود ولكن الثقافة واحدة وهي عربية محضة . فجميع العناصر مولعة باللغة العربية . فهذا يجب علينا معالجته بالتفصيل فنقول :

ان العرب الغزاة في أول الفتح أصلهم ، في الأغلب ، من مدينة النبي ﷺ . فيهم أنصار ومهاجرون ، انضم بعضهم طوعاً في الجيوش الزاحفة الى أفريقية فالاندلس ، وانخرط بعضهم في أثناء الحوادث التي وقعت بالحجاز والشام وخصوصاً بعد معركتين مشهورتين وقعة الحرة في شمال المدينة ووقعة مرج راهط في الشام . في هذه الوقعة الأخيرة تقاتلت قبيلتان مضادتان : بنو قيس من معد ، وبنو كلب من اليمن . وتغلبت بنو كلب على بني قيس ومنذ تلك الوقعة أضمرت بنو قيس لبني كلب إحناً حملتهم على فتن مستمرة . وهاجر عدد كثير منهم الى الأندلس على حسب نجاحهم في الشرق أو إخفاقهم فيه .

في أثناء تلك الحوادث دخلت الأندلس فرقة عظيمة من اليمانيين المقيمين بالشام وذلك ان الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بعثهم الى إفريقية لإطفاء فتنة نشبت

نارها هناك . فوصلوا الى سبتة (Ceuta) وهي فرضة بقرب زقاق جبل طارق . وبعد حوادث لا حاجة لنا الى ذكرها أبحرت الجنود اليانيون بنداء والي الأندلس عبد الملك ونزلت بالساحل الأندلسي .

وحينئذ طارت من جديد فتنٌ بين المعديين واليانيين الى ان انتصرت جنود اليانيين . فاستوطنت النواحي الجنوبية التي استقرّت فيها فيما بعد .

فأقام جند دمشق بالبيرة أي غرناطة وناحيتها ، وجند الاردن بريّه أي مالقة ومقاطعتها ، وجند فلسطين بمدينة شذونية والجزيرة الخضراء ، وجند حمص بإشبيلية ولبلة ، وجند قنسرين بجيان .

وأما جند مصر فاستوطن باجه وتدمير اي عمل مرسية . وهنا يحسن بنا استطراد من ذلك الحين شاع على ألسنة الناس إطلاقُ كلمة دمشق على غرناطة وحمص على اشبيلية . وقد قال ابن سعيد المغربيّ في المُغرب : « يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهن على المعاني العربية » . وقال الشقنديّ في رسالته : « غرناطة دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأبصار ومطمح الأنفس ... ولم تخلُ من أشراف اماثل وعلماء اكابر وشعراء أفاضل » .

ولما فرّ عبد الرحمن الأموي الملقب بالداخل من الشرق بعد استيلاء العباسيين على الأمر ووصل الى الأندلس وفاوض المعديين واليانيين ، أخفق مع الأولين واتفق مع اليانيين الذين صاروا أنصاره الوفيين وأعانوه على تأسيس أمره بالاندلس .

وفي ايام ملوك الطوائف اضمحلت تماماً الإحن والضغائن بين هؤلاء وأولائك ولكن بقيت مميزاتهم الأخلاقية عند أعقابهم . فان المعديين يمتازون بغيرتهم وحماستهم على الذّود عن حوض الدين ولهم نخوةٌ ما مع كرم الشيم وسخائها .

وأما اليانيون فقد اضاعوا طباعهم الحربية فصاروا ليني الجانب ذوي تسامح وأظهروا عاطفة ما الى العناصر غير العربية .

واما ما يخص بالآداب فان الفرق بينهم غير واضح ، فعقلهم وإحساسهم استويا بتأثير إقليم وبيئة مخالفين لجزيرة العرب ولا سيا بفضل حياة جديدة بين أهال قد أثّروا فيهم بمخالطتهم إياهم . إذاً اصل مسلمي الأندلس من اعرق قبائل العرب

وأشرفها ولكن هناك عرب آخرون اصلهم غير هولائك . فلما استتب الأمر للأمويين ورسخت اقدامهم في ارض الأندلس وازدهرت خلافتهم حتى ذاع صيتها الى الشرق ، قدم الأندلس عددٌ كثيرٌ من الشرقيين . والقت المراكبُ مراسيها بالمرية ودانية وبلنسية وقد اقلعت من مرافئ مصر والشام . فمنهم تجار وصناع ومنهم شعراء وأدباء ومغنون . وقليل جداً من كان يكرُّ راجعاً الى وطنه لما بُذِل لهم من حفاوة في الاستقبال ومراتب ومناصب ، وهدايا وعطايا . وذلك كله يحملهم الى استيطان بلاد الأندلس وربما تلحق بهم أسرهم بعد مدّة .

وعلى هذا الطريق ازداد شيئاً فشيئاً عدد العرب في الأندلس وقويت عوائدهم وأخلاقهم ونزعاتهم بفضل أولئك المهاجرين من الشرق الى الغرب . وقد خصص المقّري في كتابه القيم المعنون « بنفح الطيب » باباً طويلاً لأهمّ الرّاحلين الوافدين على الأندلس وهو الباب السادس ولا شكَّ انه من امتع ابواب الكتاب . من جملة الداخلين ابو عليّ القالي وصاعد اللغويّ .

وهنا يسأل سائل : اين ينزل الشرقيون ؟ فلا ريب ان جنوب الجزيرة التي يطلق عليها كلمة L'Andalousie خاصة هي الكعبة التي تشد اليها الرحال فتجلب جميع الوافدين الى الأندلس لان مدينتيها قرطبة واشبيلية من اكبر وازهر مدن الدنيا وابهى امصارها . وهنا يوجد بنو عباد وبنو جهور من ملوك الطوائف . وبظواهر قرطبة قبيلة عربية اسمها بنو بَلي قد حفظت عوائدها الخاصة كما كانت في جزيرة العرب ولغتها الفصيحة على احسن حال ، هذا ما يفيدنا به ابن حزم الظاهري في كتاب « جمهرة انساب العرب » .

ومن جهة الغرب في مقاطعة شِلب توجد قبائل يمانية وفي المرية بنو تُجيب من كندة . وفي عمل بلنسية أعقاب الأنصار من أوس وخزرج . وفي جريقة حِصن مسمى بحصن الأشراف يُعزى اليهم . وبنو فهر في شاطبة وبلنسية ودانية . وبنو معافر مشهورون ايضاً ببلنسية منهم القاضي ابن الجحاف الذي ورد ذكره مع السيد كمبيادور (Le Cid Campeador) . وبنو واجب لهم عدد لا يُهان ببلنسية وجزيرة

شقرودانية واريولة وألش . وبنو قضاعة في أندة . ونذكر أخيراً قبائل العرب في ناحية سرقسطة منها بنوتجيب .

وبديهي ان أولئك العرب أتوا بلغتهم الفصحى وهي لغة الحكومة الرسمية وحدها . وعلى رجال الحكومة ان يتكلموا ويكتبوا بها ، وعلى الوزراء والكتاب ان يبرعوا الى الغاية في الكتابة والكلام بها .

لا حاجة لنا الى سرد فحولة الشعراء وبلغاء الكتاب في القرن الخامس . فكتاب الفتح بن خاقان المحلى بعنوان « قلائد العقيان » حافل بأساميهم ونخب آثارهم فللباحث عنهم ان يراجعه .

واما البرابرة فأصلهم من شمال افريقية . وهم كثيرون في الجيوش التي فتحت الأندلس واخترقت جبال البيرينيه Pyrénées وتوغلت في اعماق فرنسا حتى بلغوا مقاطعة لاتورين (La Touraine) من جهة الغرب وطلعوا الى عين نهر لاسون (La Saône) من جهة الشرق ودخلوا جبال لا ساڤوة (Savoie) وبلاد سويسرا (Suisse) وشمال إيطاليا .

وقد ظلت الحرب سجالاً بين المسلمين والنصارى فرجعت الجيوش الى جبال البيرينيه واستقرت بعضها بالاردة وسرقسطة وليون واسطورقة تشن الغارات على النصارى ، واستوطنت بعضها ناحيتي بطيلوس وطليطلة وأسست بهما مملكتين نرى لزاماً ان نخصص لهما كلاماً إجمالياً .

فطليطلة عاصمة مملكة يحكم فيها أسرة ذي النون التي كان جدها يسمى طوريل من قبيلة هوادة القاطنة الى الآن بشمال إفريقية . وافراد تلك الأسرة الملكية يتعاطون العلوم الرياضية فمرصاد طليطلة مشهور في أيامها وفيما بعدها . وروى لنا المؤرخون الثقات ان القادر أخير ملوك طليطلة لما ألزم الى مغادرة عاصمته سوّلت له نفسه ان يحمل معه آلة واحدة يقدّرها تقديراً بالغاً وهي أسطرلاب . ومع هذا ذاع صيت ملوك طليطلة بثروتهم وبذخ ملكهم ولا سيما فيما يخص الإغدارات اي الولائم والمأدبات التي تقام بمناسبة الختان . وضرب المثل بالإغدار الذنوني لما فيه من البهاء والأبهة .

واما بطليوس فهي عاصمةُ مملكةَ بني الأفطس الذين اصلهم ايضاً من شمال افريقية ، من قبيلة مكناسة . ولقد تعرَّبوا لغةً وأخلاقاً منذ استقرّوا بالأندلس . فلا نرى اقنع دليلٍ من ان نذكر ملكاً من ملوكهم وهو المظفر . وكان مولعاً بالأدب ، فصيح اللسان ، قوي العارضة . وطالع كتباً جمة في اللغة والنحو والشعر والنوادر والأخبار وايام العرب ، وانتخب منها جوهرها ووضع منها كتاباً جامعاً لكل الآداب الجميلة ، سمي باسمه فقالوا له « المظفري » وهو في الحقيقة عبارةٌ عن دائرة معارف ، موضوعها الأدب والتاريخ في خمسين جزءاً . وقد ضاع لسوء الحظ ولم يبق منه الا فقرات متفرقة في كتب شتى .

وابنُ المظفر : المتوكل ، كان أديباً متفنناً ، له لباقةٌ في صناعة الشعر والنثر .

هنا يجدر بنا ان نتساءل : ماذا صار لهؤلاء البرابرة في آخر القرن الخامس وفي اثناء القرن السادس اي في عهد المرابطين والموحدين ، بعد فتح النصارى لطليطلة وبطليوس . لا شك ان اكثر السكان المسلمين هاجروا الى الجنوب واستقروا في مقاطعات غرناطة ومالقة وشمال افريقية . واما الباقي منهم وهم الأقل فلم يبرحوا قراهم وضياعهم واعتنقوا النصرانية كرهاً . ولعل المراقاطوس (Maragatos) الذين يسكنون الى يومنا هذا في الجنوب الغربي من مدينة اسطورقة (Astorga) في بقعة مقفرة لا طائل للاقامة فيها هم نسل المسلمين القاطنين هناك في القرن الخامس . وهؤلاء المراقاطوس قد حفظوا لباسهم الخصوصي الذي لا فرق بينه وبين البرابرة الموجودين الآن في ديار مراكش . وزيادة على ذلك فانهم يحلقون رأسهم الا انهم يتركون خصلةً قصيرة من الشعر تتدلى على القفا ، شأن اغلب المراكشيين في يومنا هذا . وهم وان نسوا لغتهم الأصلية فلا يتكلمون بعدُ اللغة الاسبانية المحضة . فالأرجح انهم من اعقاب اجداد مسلمين ينتمي تأريخهم الى القرن الخامس .

فيما عدا مملكتي طليطلة وبطليوس فمملكتا السهلة وغرناطة جديرتان بالذكر . فالسهلة واقعة وسط ممالك سرقسطة وطليطلة وبلنسية ودانية . يحكم فيها ملك ضعيف الشأن مع انه ماهر في السياسة ، وربما اقتحم قطره جيرانه المعتدون

عليه لسبب ما ، وبينهم السيد الكبياهور ولكنه يرى من طالع سعده ان يعيش سالماً مطمئناً في زُمرة فتيان يتذوقون الشعر وما يتعلق به .

واما مملكة الجنوب فتشتمل على ناحيتي غرناطة ومالقة ويحكم فيهما أميران : حبوسُ وباديسُ بن حبوسُ . واصلهما من شمال افريقية ؛ لا يهمهما الا الحرب . وبديهي ان لا يقدر الشعر حقّ قدره ، وينفر الادباء والشعراء من بلاطها الى ان خلفهما الأمير عبد الله وحينئذ صارتْ غرناطة مركز حركة فكرية على رأسها الأمير نفسه .

بقي لنا ان نذكر عنصراً قليل العدد ولكنه عظيم الشأن والنفوذ ، ألا وهو العنصر الصقلبيّ فأول والٍ بل خليفة أمويّ استخدم الصقالبة في الأندلس هو عبد الرحمن الناصر فقاموا في اول الأمر بخدمات منزلية ثم ارتقت حالهم حتى قاموا بوظائف مهمة في القصر الملكي او خارجه ولعبوا دوراً سياسياً في أخير القرن الرابع وابتداء القرن الخامس . وزاد عددهم الخلفاء بعد عبد الرحمن الناصر واستند عليهم المنصورُ بن ابي عامر في سياسته وعهد اليهم بخطط سيفية كانت او قلمية .

وهنا قد يسأل سائل : من اين جاء هؤلاء الصقالبة . فلقد تخالفت الآراء في أصلهم ولا ريب انهم في اول الأمر صقالبة ، بحصر المعنى اي اصلهم من بلاد « السلاف » بشرق أوربا فيما يُعبر عنه الآن بـ « روسيا » على المعنى العام . وكانت الشعوب الجرمانية تُغير على تلك النواحي فتسترقّ الرجال والنساء والبنين ، وتبيعهم الى سكان الأندلس . ثم بعد مدة أُطلق اسم الصقلبي على كل أجنبي أبيض الوجه استخدم في حرم الأمراء او في الجند . وقد قال ابن حوقل الذي سافر الى الأندلس في القرن الرابع : « ان بلد الصقالبة طويل فسيح والخليج الآخذ من البحر المحيط بنواحي ياجوج وماجوج يشقّ بلدهم ويستمرّ مغرّباً الى نواحي اطرابزندة ثم الى القسطنطينية ويقطع ناحيتهم بنصفين : فنصف بلدهم بالطول يسبيه الخراسانيون والنصف الشمالي يسبيه الأندلسيون من جهة جليقية وافرنجة وانكبردة وقلورية » .

وكان أربابهم اذا لاحظوا فيهم استعداداً خاصاً للأدب والثقافة ، ربوهم تربية توافق مواهبهم وعلموهم العلوم النقلية كأنهم من أولادهم . وآل الأمر الى

ان بعض الصقالبة أثروا بوظائفهم العالية واقتنوا بدورهم خدماً كثيراً وابتاعوا كتباً مختلفة الفنون وملأوا بها مكاتب عظيمة . وصاروا هم من جملة الأدباء والمفكرين . وقد كثر عددهم حتى ألف أحد منهم اسمه حبيب في ايام الحكم بن عبد الرحمن الناصر كتاباً يجمع فيه اشعارهم ليبرهن ان الصقالبة لهم استعدادات طبيعية كسائر العرب للنظم والنثر ، وعنوانه : « كتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة » ، وقد عاث فيه الزمان ولم يبق له أثراً بعد عيان .

هذا ما يخص بالأدب . واما من حيث السياسة فان الصقالبة قد استقلوا بشرق الأندلس وأسسوا مملكة في دانية وجزيرتي ميورقة ومنورقة . وحاول بعضهم ان ينشئ دويلة في بلنسية ، غير انه لم يلبث ان تغلب عليه بنو هود من سرقسطة وبنو عامر اولاد المنصور بن ابي عامر .

معلوم ان المسلمين من عرب وبرابرة وصقالبة ، لا يكونون وحدهم سكان الأندلس . فبجانبهم أهل الكتاب من نصارى ويهود . ويحسن بنا ان نعرض لحالتهم الاجتماعية والادبية على وجه إجمالي لنقتنع بأنهم على غير ما نظنه بادئ بدء .

قد أطلق على النصارى الأندلسيين اسم « مزاراب » (Mozarabes) وهو مشتق من « استعرب » كأنهم استعربوا بمخالطتهم العرب وسنرى ان ذلك صحيح بدلالة مؤرخيهم أنفسهم . انهم يعيشون كسائر أهل الذمة تحت إدارتهم المدنية الخاصة . فواليهم اسمه القوندي (Condé) بعينه الخليفة . وقد اشتهر القوندي سرفاندو (Servando) بقرطبة والقوندي تودو (Toddo) بقلمرية (Coïmbre) ويحكم القوندي بين النصارى بالمرافعة الثانوية والسنسور (Censor) هو الذي يحكم بالمرافعة الابتدائية . واما الدفنسور (Defensor) اي المحامي فيقيم بقرطبة ويحامي عن أهل دينه قدام الخليفة . واما الجنايات والجنح والمخالفات التي تقع بينهم وبين المسلمين فترفع لدى المحاكم الاسلامية .

وكان المزاراب يجتمعون في حارات وأحياء على حدة ولكنهم يخالطون المسلمين كل يوم ويعاملونهم في الشؤون المعاشية ويلقفون لغتهم كما هو بديهي ،

ويتعربون بل يستعربون بلا ريب ويختارون اللباس العربي ويفضلونه على اللباس النصراني ويتخذون لأنفسهم كنىً وأسامي وألقاباً عربية .

وعندنا وثيقة تقرّر ان النصاري المزاراب قد تعمقوا في التعرّب وذلك منذ القرن الثاني . فان نصرانياً اسمه ألفارو (Alvaro) من قرطبة متوفى في منتصف القرن الثاني للهجرة يصرّح بكل صراحة في كتابه المعنون بـ « الدليل اللامع » (Indiculus luminosus) الذي كتبه باللاطينية ، ما يلي : « ان اخواني في الدين يولعون بمطالعة القصائد والروايات العربية ويدرسون مؤلفات الفقهاء والفلاسفة المسلمين ، لا لشأن الردّ عليهم بل ليضطلعوا بالنطق العربي الفصيح وبالكتابة البليغة . وأين نجد اليوم نصرانياً كفئاًبقراءة النفائس للكتب المقدسة ؟ من فيهم يدرس الأناجيل وكتب الأنبياء والحواريين ؟ يا للأسف ! جميع فتيان النصارى الذين يمتازون بنبوغهم لا يعرفون الا اللغة والآداب العربية ويطالعون ويدرسون برغبة زائدة ، الكتب العربية ويملأون بالنفقات الباهظة مكتبات عظيمة ويعلنون في كل مكان ان هذه الآداب عجيبة كل الإعجاب . غير انهم اذا ذكرت لهم الكتب النصرانية جاوبوك ان تلك الكتب غير جديرة باهتمامهم . ان النصارى أهملوا لغتهم حتى نسوها تماماً . وفي الف منهم تجدُ بالكدّ والمشقة واحداً يعرف ان يحرّر رسالة الى صديق على ما يقتضيه القواعد النحوية . وبالعكس اذا فتشت من يكتب بالعربية وجدتَ عدداً جماً منهم يعبرون بهذه اللغة بأحسن رشاقة ورأيت انهم ينظمون قصائد أفضل ، من حيث الصناعة ، من اشعار العرب أنفسهم » .

لقد صحّ ما قال الكاتب اللاطينيّ الفارو (Alvaro) . فان النصارى بعد طول احتكاكهم بالعرب ولما رأوا في المسلمين من التسامح وعلوّ الهمة قد بلغوا الى درجة انهم يتكلمون بل يفكرون في العربية ويعرضون عن اللاطينية التي صارت غير مألوفة لهم .

ان الفارو المذكور أعلاه قد ألمّ بثلاث لغات : اللاطينية والعربية والعبرية . وقبله اشتهر نصراني آخر اسمه جوان الاشبيلي (Juan Hispalense) وهو سعيد

المطران الذي ورد ذكره فى الكتب العربية فألف تفسيرا بالعربية على «التوراة» وترجم الأناجيل من اللاطينية الى العربية ·

وهنا يحسن بنا ان نلفت الأنظار الى مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بمدريد ، فيه مجموعة من القوانين والقرارات الباباوية ينتمي تاريخه الى القرن الثالث الهجري في ختامه اشعار عربية على حسب القواعد العروضية الصحيحة · وصاحبها خوري اسمه فسنتي (Vicenté) وتضيف الى ذلك ان إهداء الكتاب الى المطران عبد الملك (كذا) محرّر بالنظم الفصيح ·

وفي أيام عبد الرحمن الناصر يضع المطران ريسموندو (Recemundo) المسمى ربيع بن زياد عند العرب ، تقويمًا بالعربية يترجم فيما بعدُ ولعلّ المترجم هو جيرار دي كريمون (Gérard de Crémone) المشهور ·

وفي القرن الخامس قلّ جداً عدد النصارى المزاراب بالأندلس ولقد أسلم اكثرهم وابدلوا اسامي عربية من اساميهم النصرانية وقلما نجد ألقاباً نصرانية تدلّ على اصلهم · فصيرتهم البوتقة العربية رجالاً عربيين لسانا وعاطفة ·

اما اليهود فهم أهل كتاب كالنصارى · تمتعوا من ابتداء الفتح العربيّ بحرّية وتسامح يخالفان تماماً السياسة القوطية التي شعارها الظلم والاعتداء · وبفضل هذا التسامح وهذه الحرية تحسنت حالة اليهود مادياً ومعنوياً ولا سيما بقرطبة في ايام عبد الرحمن الناصر · فلا يعنينا ما قد حققوا في ميدان التجارة والصناعة بل غرضنا ان نبسط علائق الحركة الفكرية اليهودية بالثقافة العربية · فنقول اختصاراً :

ان يهود الأندلس الى منتصف القرن الرابع ، من حيث ثقافتهم ، تابعون للأكاديمية البابلية الشرقية التي مركزها بسوار (Sora) · ولكنهم في هذا الزمان شاءت المقادير ان تعينهم على تأسيس مدرسة يهودية بقرطبة · وذلك ان عدّة احبار من اليهود ركبوا البحر المتوسط فأسرهم أمير الاسطول الأندلسي بأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر · وأتى بهم الى قرطبة · ففدت الأمة اليهودية القرطبية اثنين منهم رغبةً منها في إبقائهما بالعاصمة الأندلسية · وهكذا وجدتْ مدرسة قرطبة اليهودية حبرين علامتين لإدارتها واستئناف الدروس التلمودية بها · ومن حسن

الحظ أُتيح لها ان وجدت محامياً متنوراً مثقفاً في نفس النظامي النحرير حسداي ابن شبروط الذي تخصص بخدمة الخليفتين : عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم . وقد استعمل نفوذه وأمواله لتحسين حالة اليهود وإزهار الآداب اليهودية وإعطاء المكاتب الأندلسية جميع الكتب التي نُشرت بالشرق . وحينئذ تكاثر عدد اليهود وعمروا مدينة خاصة وهي لوسينة (Lucena) بقربة من غرناطة . واحترفوا بالتجارة والأدب والديبلوماسية واتخذوا بقرطبة بعض مشخصات العرب مثل لباسهم ولغتهم وأخلاقهم .

ولكن خلافاً لما ننتظره لم يتسع نطاق اللغة العبرية لأن الثقافة اليهودية في تلك الأيام مدينة للغة العربية من حيث المبنى او بعبارة أوضح : فالمعنى يهوديّ والمبنى عربيّ . وإليكم بعض الأمثال فيما يخصّ القرن الخامس .

هـذا ابن جناح النحوي المؤسس الحقيقي للنحو العبري : كتابه الرئيسي « التنقيح » مكتوب بالعربية .

وهذا ابن جبرون الذي يسميه العرب : ابا أيوب سلمان بن يحيى . فكتابه في الفلسفة المعنون بـ « عين الحياة » محرر بالعربية متأثر جلياً بالنظرية الفلسفية لابن مسرة القرطبي المتوفى سنة ٣١٩ = ٩٣١ وصلة فكر ابن جبرون بالعرب واضحة كلّ الوضوح حتى في أقصر مؤلفاته التي حرّرها كلها بالعربية ، منها كتاب في النحو يتأسف فيه — كما سبقه في ذلك الفارو القرطبيّ — على إهمال إخوانه للغة العبرية ويعبر عن اليهود السرقسطيين بـ « الأمة العمياء » ويؤنب بعضهم لأنهم يتكلمون بالإدومي (iduméen) بالعجمية الأندلسية ، وبعضهم لانهم يستعملون الكيدار (kédar) اي اللغة العربية ومنها منتخباته التي جمع فيهـا ما اقتبس من الفلاسفة اليونانيين والحكماء العربيين من أمثال وحكم ، وكلها مكتوبة بالعربية .

وهذا باهية بن باكودا المعاصر لابن جبرون وكتابه « واجبات القلوب » الذي يظهر فيه تأثير المذهب الأخلاقي للغزالي هو أيضاً محرّر بالعربية .

ثم هذا موسى بن عزرا الشاعر الغرناطي الذي عرض في كتابه : « قلادة الجواهر » للحبّ وبنت الحان واللهو على غرار العرب وبالعربية . وكثيراً ما نعثر في

أشعاره على المحسنات العربية مثل التجنيس والمطابقة وكتابة : « المحاورات والمذكرات · عبارة عن رسالة يعالج فيها صناعتي الشعر والنثر ويبسط فيها تاريخ الأدب الشعري اليهودي بالأندلس مع المقارنه بين الشعر الاسرائيلي والشعر العربي · وكل ذلك باللغة العربية الفصحى ·

واليكم دليلاً آخر وهو يهودا هالوي النطامي الطليطلي · يكتب بأسلوب عربي أنيق واشعاره حافلة بأبهى الأوصاف الطبيعية · ومؤلفه الرئيسي هو « كتاب الخزري » الذي هو عبارة عن قصة فلسفية بالعربية موضوعها اعتناق ملك الخزر للدين الاسرائيلي في القرن السابع للمسيح · وقد صارت فيما بعد مثالاً حذا حذوه بعض المؤلفين النصرانيين باسبانيا اكبرهم رامون لول (Ramon Lull) ·

وبعد فقد طال سرد حججنا على انتشار اللغة العربية وآدابها بين اليهود الاندلسيين ، وفي الاطالة ملالة ، ولكن نطلب من فضلكم ان تسمحوا لنا بأن نُدلي بدليل أخير ألا وهو ابن ميمون الذي عاش في القرن السادس · كتب رسالته في « الردة » (Apostasie) بالعربية ، وبالعربية أيضاً كتب كتابه المعنون بـ « التبيين » (Elucidation) ورسالته في « التعزية » (Consolatide) على الامم الاسرائيلية اليمنية ، وكتاب « القوانين » (Lois) ولا سيما « مرشد الضالين » (Guide des Egarés) الذي هو حقيقة موسوعة فقهية فلسفية للملة اليهودية يحاول فيها ان يوافق بين العقل والإيمان ·

هذا وبجانب هؤلاء اليهود الذين بقوا على دين اجدادهم ، مع ميلهم الى الثقافة العربية ، يحسن بنا ان نذكر اليهود الذين اسلموا اسلاماً خالصاً واشتهروا بالأدب العربي · وهم الذين ينعتون بصفة الإسلامي غالباً وفي بعض الأحيان : باليهودي او الاسرائيلي · واسم ابن سهل الاسرائيلي الشاعر في الموشحات مشهور في القرن السابع ·

واما في القرن الخامس الذي نحن بصدده فنجد خمسة أدباء يجدر بنا ذكرهم وهو ابن سدراي وابن القروي وسموئيل بن نغريلة ويوسف بن نغريلة وابن حسداي ·

ابن سداري المكنى بابي بكر هو وزير ملك السهلة : عبد الملك بن رزين · وقال في شأنه صاحب « نفح الطيب » (ط · لندن ج ٣ ص ٣٧٧) :

«كان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب ابو بكر بن صدراي وذكره الحجازي في المسهب وقال : إن له شعراً أرق من نسيم السحر ، واندى من الطلّ على الزهر» .

وأما ابن القرويّ فهو حسبما وردفي «الذخيرة» لابن بسام (مخطوط ج ٣ و ١٧٣ ظ) الملك من ملوك الطوائف لم يذكر اسمه . وله كاتب مسلم : ابو الحسين بن الجدّ ، وبين الوزير وكاتبه نوادر تدلّ على تضلعها من اللغة العربية .

والمثل الأمثل لإجادة الاسرائيليين في الآداب العربية هو سموئيل بن نغريلة . وقد أجمع الأدباء الأندلسيون على ان ابي نغريلة هذا وزير ملوك غرناطة قد ألمّ بدقائق اللغة العربية وخصائصها واعترفوا به كاتباً عبقرياً . وعلاوة على ذلك كان سخي النفس جزيل العطايا للشعراء والأدباء ، ويحمد فيه فطنته وذكاؤه .

وأما ابنه يوسف بن نغريله فكان مجيداً ، كأبيه في النظم والنثر العربيين ولكن لا يعرف كأبيه يجلب القلوب اليه بإحسانه ودعته فأثار فتنة قضت عليه .

وبقي لنا ذكر ابن حسداي وزير ملكي سرقسطة المقتدر والمستعين . وله الحظوى الكبرى عندهما وكان لا يغادرهما أبداً لحاجتهما اليه ويرافقهما في سفرهما ويشاركهما النزهات بالزوارق على نهر الإبره (Ebre) . فهو النديم الأديب الذي يلهي صاحبيه بأشعار مرتجلة ونكت ظريفة . ومن اكبر الدليل على تقدير المستعين له ما حكاه الفتح بن خاقان في قلائد العقيان انه لما احتفل بزفاف بنته الى الوزير ابي بكر بن عبد العزيز عهد الى ابن حسداي بتحرير الرسائل لدعوة الاعيان والاكابر الى العرس .

مما أسلفنا نستدلّ جليّاً ان اللغة العربية هي المثل الأعلى للغة الأدبية في القرن الخامس . فان جميع الشعوب والعناصر في الأندلس تستعملها برغبة أكيدة لا منازع فيها . فبديهيّ ان المسلمين يتكلمون بها ويكتبون بها ويعبرون دأباً عما يخالج انفسهم نظماً ونثراً . فاللغة من مقوّمات الناس في كل زمان ومكان . وأما ما يخص بالأندلسيين غير المسلمين من نصارى ويهود فغريب بادئ بدء استعمالهم اللغة العربية .

فإن للنصارى المزارات اللغة اللاطينية ولليهود اللغة العبرية وهاتان اللغتان أدبيتان كاللغة العربية . ولا يمكننا الا ان نتساءل اي سبب يحملهم الى دراسة اللغة العربية وتفضيلها على غيرها .

هل هي الفائدة او المصلحة الشخصية ؟ فلا شك ان المصلحة الشخصية من أهم الأسباب النفسية التي تدعو الإنسان الى الحركة والعمل . وان الوظائف المهمة والمناصب العالية لا تمهد ، على ما يظهر في القرن الخامس ، الا الى من يضطلعون بالعربية ويجيدون تحرير رسالة بالنثر الفني ويرتجلون الأبيات المفعمة بالإشارات التاريخية والتلميحات الأدبية ويؤلفون بديهة من غير روية تهنئة او دعوة وينظمون ، اذا سنحت الفرصة ، مدحًا للتقريظ أو رثاءً للتعزية . وان تُعطى المناصب العليا المسلمين فالخطط الثانوية تُوزَّع على كل السكان مهما كان دينهم ، لا يُراعى في ذلك إلاّ الأهلية والكفاءة . وهذا أوضح دليل على سيرة العرب الفاتحين مع الأهالي المفتوحين قوامها التسامح العام .

وهنا يسأل سائل : لماذا النصارى واليهود لايصرون على استعمال لغتهم الأدبية الخاصة ودراستها ولهم الحرّية في إقامة شعائر دينهم بلغتهم — في حدود أمر عمر بن الخطاب المختص بالذميين — ولهم الاذن من قِبل الخليفة أو الملك في انعقاد « كونسيلات » أي مؤتمرات دينية يناظرون فيها باللغة اللاطينية أو العبرية مسائل تتعلق بشؤنهم الشخصية ؟ إذاً المصلحة ليست وحدها سبب اهتمامهم باللغة العربية واستعمالهم إياها في تناول مواضيع نظرية معنوية كانت أو فلسفية .

يجب علينا أن نلتمس سببًا آخر لا يمتّ الى المصلحة بصلة وهو ان اللغة العربية في القرن الخامس تظهر للشعوب جمعاء القاطنة بالأندلس اللغة الوحيدة التي تشفي غلة الشاعر أو الفيلسوف — بثروتها ومرونتها ، نعم اللغة الوحيدة التي تقدر ، باتساع نطاق مفرداتها وتفنن تراكيبها النحوية ، وجزالة ألفاظها من أصيلة ودخيلة ، على ان تعبر عن أدقّ العواطف وأعلى الأفكار وذلك لأن لغة العرب ، لغة قريش والقبائل العريقة في العروبة ، قد بلغت ، في القرن الخامس ، الى كمال لا تتجاوزه فيما بعد .

ان الشعر في القرون الثلاثة الأول قد غير ومرّن تراث العصر الجاهلي وأفسح مجال الشعر الذي ازدهر في صدر الاسلام · فتحضر بعد ان كان بدوياً ، وبتأثير المدنية الحضرية والأخلاق المتمدنة والحياة النعيمة التي ذاعت في البلاطات الملكية بدمشق ولا سيما ببغداد ، قد تر شيئاً فشيئاً ما بقي فيه من خشونة وواقعية · وانسجم ايقاعه وتناسق تقطيعه · وعلاوة على ذلك تفنن في أغراضه كأنه لا يقبل ما قد فرض عليه من بيان ضيق وبديع حرج · وزعم على ان يصور عواطف وأحوالاً نفسية ونزعات كادت تجهل في الجاهلية وفي صدر الإسلام · وبكلمة واحدة صار إنسانياً أكثر وأدقّ ·

وقبل كلّ شيء فانه لفت أنظاره الى الطبيعة فهو في رسمها وتصويرها لا يكتفي بجمع خطوط وأدهان مادية محضة تكوّن شبه لوحة يابسة غير كاملة لا تظهر فيها حياة ولا يبرز فيها الا ألوان منفردة لا تخلو على كل حال من رشاقة ما · وانه يحاول ان يرسم إطاراً حيث تأتلف الأدهان بعضها ببعض وتقوى بعضها إشارة الى المهمّ الممتاز وتعين كل العناصر على تكوين لوحة تخفق الحياة فيها ويجد الانسان فيها محله الطبيعي

وتحول الشعر في المبنى والمعنى ناتج من عمل الشعراء الذين يشرفون على التاريخ الأدبي كأنهم نجوم زُهر تلمع نوراً وتسطع شرراً وهم :

بشارُ بن بُرد العبقريّ الاريّ العقلية ، وأبو نواس ، فرلين (Verlaine) صدر العصر العباسيّ ، ومسلم بن الوليد ، الملقب بصريع الغواني ، وابو العتاهية ، شاعر الزهد التشاؤمي ، وابو تمام والبحتري وابن الرومي ، هؤلئك الثلاثة الذين جدّدوا الأغراض القديمة ، وابن المعتز ، الرّسام الأنيق الدقيق للطبيعة ، وابو الطيب المتنبي ، أمير الشعراء ، فيكتور هوغو القرن الرابع ، وابن هانئ الأندلسي العبقري المتوفى في عنفوان قدرته ، ولا سيما « ابو العلاء المعرّي » الشاعر البصير الحكيم الأكبر المعاصر للقرن الذي نحن بصدده ·

هذا شأن الشعر في القرن الخامس ·

وأما النثر فهو على وجه عام تأسيس القرون الثلاثة الأول فوجوده في الجاهلية مشكوك فيه . ويحاول ان يتكوّن في صدر الإسلام لأنه لغة أُخطب أكثر منه لغة الرسائل والكتب . ثم يشعر بقدرته في زمان عبد الحميد الكاتب وابن المقفع اللذين يستاهلان ان يُعتبرا مؤسسيه الحقيقيين . ثم يجيء ابن قُتيبة ويُمرّنه مع انه يُبقي له صبغته العربية الخالصة . وأما الجاحظ فيفسح المجال للنثر في ميادين شتى ويعالج به مواضيع متفننة . وفي زمان المأمون ومن تبعه من الخلفاء العباسيين يتصّ النثر في الترجمات من اليونانية ماءً ينميه وينعشه ليعده على إثمار خصب ويبلغه الى مقداره المنطقيّ الكلاميّ ويصيره آلة كاملة لتعبير أدق الأفكار بواسطة المتكلمين والفلاسفة وأمراء البيان .

وفي القرن الخامس نفسه يعرف الشعراء والكتاب الأندلسيون كاتبين معتبرين في الشرق ألا وهما الغزاليّ والحريريّ . فالغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هو حجة الإسلام صاحب المؤلفات العريقة في المعاني الفلسفية الدقيقة . والحريري المتوفى سنة ٥١٥ (خمس عشرة وخمسمائة) هو صاحب المقامات ذات الأسلوب الفائق الخلاّب .

إذن ماذا يعوز الشعوب الأندلسية ولديها أكمل آلة للتعبير عن أفكارها الجدّية أو الهزلية ؟ فقد برهنا انها تُكثر من استعمالها على احسن حال . فاللغة العربية تظهر لغة شبه عالمية تبشر فيما يخص الأندلس بازدهار الأدب والفلسفة والتاريخ في القرن السادس مع ابن باجة وابن طفيل وابن رشد وفي القرن الثامن مع لسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون .

هنري پيراس

فضل العرب على علم الحيوان

-٢-

١٠ — الأُخَيْضِر

الأُخيضر ، بصيغة التصغير هو المسمى بالانكليزية Eider وهو ضرب من بط البحر من جنس صوماتريه Somateria وموطنه الربوع الشمالية من اوربة واميركة وهو مشهور بريشه اللين الناعم الذي يكسوه . واسمه أيضاً البط الأخيضر . والأُخيضر الأميركي S. dresseri والأُخيضر الملكي S. spectabilis والأُخيضر ذو النظارات Arctonella Fiseheri هي أصائل هذا النوع .

وقد أرجع لغويو الانكليز الأيدَر Eider الى لغات السكان الذين في شمالي اوربة كالاسكندناوية ، والاسلندية ، والسويدية ، والدانيمركية ؛ أما نحن فنظن انها من الأُخيضر تصغير الأخضر وقد سمي به بعض الأشياء ، والأَخضر عند العرب يطلق على الأَسود أيضاً . وسُمي بذلك لان الريش الأسود الذي يعلوه هو أقل من الريش الأبيض .

ولان البحر يوصف بالخضرة ، وهذا البط يلازم البحر ، لا يكاد يفارقه إلا في النادر ، فالأَيدر تصحيف الأُخيضر وتخفيفها ، على رأينا

١١ — الأُرْقش

اصل هذه الكلمة ، انه كان عند اليونانيين امير صاحب مدينة اسمها (ارقش) من مدن بلاد اليونان ، وكان له مئة عين — على ما يرويه رواة أساطيرهم — وكان خمسون من هذه العيون لا تغمض البتة ؛ فأوعزت اليه يونون ، زوج يوبيتر (يوبيتر او يهوباتر هو المشتري) ان يحرس (يو) ، ابنة ايناخس التي مسخها يوبيتر عجلة ، فتمكن مركوريوس (عُطارد) من تنويمها حاق التنويم ، على صوت مزماره ، ثم قطع رأسها . فبثت يونون عيونها على ذنب الطاووس . فاشتهر الارقش عند الأقدمين ، من يونان ورومان ، وكذلك عند الكتبة المحدثين من أبناء

الغرب ، بمعنى الرقيب المكروه المزعج . وهو الذي يرمز اليه العرب بالجعل ، فانهم يقولون : « سَدِكَ به جُعلُه » اي لزم الرقيب صاحبه لزوماً مكروهاً مزعجاً .

اما اليوم فيريد العلماء بالارقش طائرين[1] : الأول : فراشة مرقشة حينما تكون أسروعاً[2] وفراشةً . والثاني : طائر مجاور للتدرج ، وهو مرقش مبرقش ، ويكون مسكنه شرقي الهند، والنوع المشهور يسمى عندالعارفين بالعجماوات Argus gigantues اي الارقش الكبير ، ويمتاز الذكر منه بريش طويل بديع مرقش في جناحيه وذنبه ، والنوع الثاني يسمى بلغة العلم A. Gryi وهو الارقش البرنويّ

والظاهر ان فقهاء لغتنا عرفوا أسروع الفراشة وسموها الرقشاء بتقدير دويبة . قال ابن مكرّم : « الرقشاء دويبة تكون في العشب : دودة منقوشة مليحة ، شبيهة بالحطوط » اه : فهذا وصف أسروع الفراشة . قلنا : ويبقى اسمها عليها وان انسلخت فراشاً . فاتفق وصف العرب مع وصف بني الغرب اتفاقاً عجيباً لكن العرب سبقوا الافرنج في هذا بمئات من السنين .

وأما الطائر فانه لم يعرفه العرب لبعده عن ديارهم ولو عرفوه لسموه أيضاً ارقش

١٢ — الفسّاء او المُنقي والنوريّ

الفسّاء هو الظربان الاوربي والاميركي . واسمه بالفرنسية والانكليزية Vison وهو يطرد عدوه بان يخرج ريحاً منتنة. ولم يهتد الباحثون عن الحيوان الغربيون الى أصل هذا الحرف مع ان هذا الأصل واضح لكل من له أدنى إلمام بلغتنا . واسمه العلمي Putorius vison أي الظربان الفسّاء ومن اسمائه الانكليزية Minx وهو من العربية (مُنق) لانه يُنقي المكان إنقاء اي يطهره من اعدائه بالوسيلة التي أشرنا اليها ، ومن اسمائه في اللغة المذكورة Nurik وهو من العربية (نوريّ) واحد النور ، لهذا الجيل المشهور بالمهانة ، والذل ، والقذارة . فالفساء سمي بذلك لقذارته ووسخه ، فهو بين العجماوات كالنور بين اجيال الناس على اختلاف قومياتهم .

(١) الطائر عند العرب كل ما يطير ، فالذباب ، والنحل ، والزنابير ، كلها طيور . (راجع المخصص في كتاب الطير) . وكذلك الوزى les oiseaux طيور (راجع لسان العرب في وزي)

(٢) الاسروع هو الفراشة حينما تكون دودة وبالفرنسية chenille وبالانكليزية caterpilar

ويتخذ من هذه الدابة فراء نفيسة ٠

١٣ — الصافّ

الصافّ (بتشديد الآخر) وبالانكليزية Sappho نوع من أنواع عديدة من الطيور الصغار المتلألئة الألوان المعروفة بالذبابيات لضآلتها ، وموطنها اميركة الجنوبية ٠

وهي من جنس الصافّات البديعة الاصباغ واللامعاتها ، والمتباعد انفراج الذنب ، وتسمى أيضاً النارية الذنب ، وهي تصفّ في طيرانها ومنها اسمها ٠ وأما الافرنج فانهم لم يتفقوا على سبب تسميتها بهذا اللفظ ٠

١٤ — الشعشاع

الشعشاع في اللغة : الطويل والليق والخفيف والحسن ويراد به هنا ضرب من بقر وحش الهند أو ظبائها يسمى بالانكليزية Sasin وباللاتينية العلية مامعناه الظبي البادزهري antilope bezoartica والظبي العنز الأيلي A. cervicarpa وهو مشهور برشاقته وحسنه وخفة حركته وجماله الفتان، وله قرنان طويلان ملويان ومتباعدالواحد عن الآخر ٠

١٥ — الصعصع

الصعصع وزان هدهد وجعفر : طائر ابرش يأخذ الجنادب ٠ وهو ضرب من الزرازير اسود الرأس والعنق والجناحين وما بقي منه « أبرش » أي احمر وردي وهو الذي يسميه العراقيون السمرمر وبعضهم يقول سمرمد (أي براء في الآخر وبدال أيضاً) وله عدة اسماء أخر في العربية واسمه بالفرنسية Etourneau rose وباللاتينية Pastor roseus وبالانكليزية Rose coloured starling وانما ذكرته هنا لأن بعضهم وَهِم وظن انه المسمى بالانكليزية Sora وهو غلط شنيع ٠

١٦ — العنقاء

ليس الكلام هنا على عنقاء مغرب ، انما الكلام على طائر طويل العنق ، والعنقاء في لغتنا مؤنث الأعنق وهو الطويل الجيد ٠ و عرف بهذا الاسم الخالي من كل صفة ، او اضافة ، او قيد ، طائر أنواعه المعروفة أربعة ٠ والعنقاء بالانكليزية anhinga

و Snake bird اي طير الحية تشبه عنقه بالثعبان بالطول والتلوي ، وهو من طيور الماء من السباجات Plotus ، وله بعض الصلة بالبجع وغراب الماء ، الا انه يمتاز عنها بطول العنق ، ودقته ، وسرعة ليه ، وبمنقار حادّ .

والعنقاء الاميركية هي المعروفة عند أهل هذا العلم باسم Plotus anhinga أو Anhinga وتسكن في جنوبي البلاد المتحدة من أميركة . والديار الاستوائية من تلك الأرجاء . ومن اسمائها الانكليزية Darter اي الوثابة و Water turkey اي الغرغر المائي . والنوع الآسوي يسمى A. melanogaster اي العنقاء الأسود البطن ، وموطنه جنوبي آسية وشرقيها ، وشرقي الهند . وهناك نوعان آخران ياويان الى كل من افريقية واسترالية .

١٧ — أبو الصون

ابو الصون هو حيوان من ذوات الأجربة ، وسمي كذلك لوجود صَوْن (أي ما يُصان فيه الشيء) عند أسفل بطن الأنثى تصون فيه أولادها .

واسمه باللغات الغربية Opossum وقالوا : هذه الكلمة من لغة هندية أميركية و يزيدوا على هذا القدر ، مع ان الأصل العربي المضري العدناني واضح لكل ذي عينين ولا شبهة فيه . وهو حيوان من ذوات الأجربة من الجنس المسمى عند علمائهم Didelphys و Chironectes أي ذوات الرحمين والمقذافية اليد .

والنوع المشهور هو الذي يعيش في البلاد المتحدة من ديار أميركة ، واسمه العلمي Chironectes variegatus اي المقذافي اليد المرقش ، وأصابع رجليه ملتحمة كأرجل البط . ولهذا النوع اسم ثان بالانكليزي هو yapock (يابوك) وهو تصحيف (يافوخ) العربية ، لظهور يافوخه ظهوراً بيناً أكثر من سائر الحيوانات ، ولاسيما حين يسبح .

١٨ — الفساء والظربان والضرِط

مرّ الكلام على الفساء في الطريدة[1] التي رقمها ١٢ وقلنا ان الافرنج اشتقوا

(١) الطريدة في فن الرسم والكتابة نبذة من الكلام المنثور محصورة بين بدئها برأس سطر وختامها عند بدء نبذة أخرى وتسمى أيضاً دبرة ومشارة وبالفرنسية Paragraphe .

منه Vison والآن تقول ان الانكليز يسمون جنساً من الظربان Zoril، وهو تصحيف واضح للفظ العربي(ضرِط) قال بعض لغويينا : « الضرط : دابه بين الكلب والسنور . قيل : اذا صيح بها، وقع عليها الضراط من الجبن » والأمر يجري فيه دون ان يصاح به . وهو بين الكلب والسنور يكون في افريقية ويصاد لفروه .

وأما الظربان العربية ، فان علماءنا اللغويين لم يذكروا لها أصلاً يوجه اشتقاق هذا الاسم . وعندنا انه مشتق من الظرب بمعنى الضرط على ما هو معهود في هذا الحيوان

١٩ — الشريجة

الشريجة حيوان من ذوات الأجربة واسمه الافرنجي Sarigue . ويقول العلماء الغربيون ان أصلها من البرازيلية لكنهم لا يفسرونها تفسيراً يوجد استعمالها لهذه الدويبة والذي عندنا انها من العربية (شريجة) ومعناها : « الجوالق كالخرج ، ينسج من خوص النخل . تحمل فيه الخضر ونحوها . وجديلة من القصب تتخذ للحمام » ويتوسع في معناها فتطلق على كل ما أشبه هذه الأداة من أي مادة اتخذت . ويراد بها هنا دابة كأبي الصون Opossum ، تكون في جنوبي أميركة . واسمها العلمي Didel phus opossum أي ابو الصون ذات الرحمين، وعلى وجهها اربع نكت بيض ، وللأنثى شيء كالخرج عند أسفل بطنها تضع فيه أولادها .

٢٠ — الشعشاعي

الشعشاعي غير الشعشاع وان كان كلاهما من بقر الوحش اي الظباء . واسم الشعشاعي العلمي (اي اللاتيني) Alcelaphus lunata اي الايل الهلالي القرن واسمه بالانكليزية ساسابي Sassabye وهو يشبه التيتل الا أن قرنيه معوجان اعوجاجاً مألوفاً كالهلال .وموطنه افريقية .

٢١ — العلق

العلق حيوان لبون مجتر من ذوات الأخفاف، موطنه الارجاء الشمالية من أوربة واميركة ، وهو كالأيل لكنه عظيم الجثة وله قرنان متشعبان كثيرا الشعب

والأفنان ، وهو — اذا دخل غابة او ايكة ، لا يستطيع ان يسير فيهـا لاشتباك قرنيه بها ، لأنها يعلقان بها . ومنه اسمه بالعربية . والكلمة لا وجود لها في معاجمنا العربية لان الاشتقاق يثبتها ولأن الأقدمين ما كانوا يثبتون في دواوينهم اللغوية ما يتعلق بعلم المواليد الا في الندرة .

اما اسمه باليونانية فهو Alka أو Alkè اي كالعربية بلا أدنى فرق وباللاتينية Alcis او Alces وبالفرنسية Elan ولغويوهم يقولون انهـا من لغة قديمة لا يعرفون معناها . فالعربية تفسرها تفسيراً بديعاً .

٢٢ — الزِبعرى

الزِبَعْرى بكسر الزاي وفتح الباء الموحدة التحتية وسكون العين المهملة يليها راء فياء مهملة ، على ما ذكره اللغويون : « انثى التماسيح ، او دابة ، قيل : تحمل بقرنها الفيل » اهـ .

إنما ذكرناه لان بعضهم ظنّ انه الزبراء Zèbre أو الحمار العتابي . وهذا وهم فظيع ، لأن العتابي أو الزبراء لا يأوي الى المياه ، ولانه ليس له قرن ليحمل به الفيل . والذي نراه نحن ان الزبعري هو من اسماء الكركدن لانه من القوازب كالتماسيح والكركدنات وله قرن واحد ، كما ينقل عن الزمرى انه يحمل بقرنه الفيل . ولا عجب .

٢٣ — الزَباد

من المعلوم ان الزباد ، كسحاب ، مادة دهنية حيوانية عطرة تكون في نافجة تكون في أعلى مخرج حيوان سمي بهذا الاسم عينه[1] . وكأنهم قالوا في بدء الأمر : دابة الزباد أو سنور الزباد ، او ذو الزباد ، او نحو ذلك ، ثم اجتزأوا بالمضاف اليه ، محتفظين به . ونبذوا عنهم المضاف ، من باب الخفة في الكلام ، كما وقع لهم مثل ذلك في كثير من تعابيرهم . وقد نقل الفرنسيون الى لغتهم هذه الكلمة بقولهم

(١) ذهب بعضهم الى ان (الزباد) هو اسم الحيوان ، الذي تكون فيه نافجة الدهن العطر . والذي عندنا أنه بالعكس ، لان الزباد مشتقة من أحرف (الزُبد) لما بين اللفظين من المشابهة والمجانسة وفي المادة نفسها ، فكلاهما دهن حيواني : الواحد عطر والآخر غير عطر .

Civette وهي تدل على المادة الدهنية وعلى الدويبة أيضاً . أما الانكليز فسموا Civet او Civet cat أي سنور الزباد . وسماه العلماء Viverra civetta .

وخصّ الانكليز والفرنسيون هذا الاسم بالزباد الذي يعيش في شمالي افريقية وشمالي آسية . واصطلح كل من الانكليز والفرنسيين اصطلاحاً يقارب هذا الرسم اي Zibeth وخصوه بالزباد الذي يوجد في الهند وجنوبي الصين وشرقي الهند وسموه باللغة العلمية Viverra zibetha ومن اسمائه عند الانكليز indian cat أو Asiatic

أما نحن فيجب علينا ان نسمي الأول الزباد الافريقي والثاني الزباد الآسوي او الهندي ليتميز الواحد عن الآخر .

وانما ذكرنا هذه المصطلحات للمطالع ليتبين له كيف ان العلماء نقلوا اللفظ الواحد العربي الى لغتهم بصورتين مختلفتين ، ومثل ذلك عملوا في اصطلاحهم العلمي لكي لا يقع الوهم في الأوضاع العلمية اه .

وقد سبقهم الى مثل هذا العمل العرب ، فانهم كثيراً ما ميزوا كلمة عن كلمة بتغيير احدى الحركات ، او بابدال حرف من أحرف الكلمة منعاً لكل خلط أو خبط ، وتمييزاً لمعنى عن معنىً بمبنىً عن مبنىً .

فقد قالوا مثلاً : تلاءم الشيء الفاسد تلاؤماً ، وتلاحم تلاحماً : اذا تلاءم بعد ان كان متبايناً — وقالوا : المُلحِم بضم الميم وكسر الحاء : مطعم اللحم . والمُلحَم بفتح الحاء من يُطعم اللحم ويرزق منه — وقالوا العلاقة، بفتح العين ما تعلق به الرجل من صناعة ومال وزوجة وولد . وبالكسر في السوط ونحوه ، وبعبارة أخرى : العلاقة بالفتح في المعاني ، والعلاقة بالكسر في الأمور المحسوسة كعلاقة السوط والقدر ونحوهما :

وفي اللغة المدنانية من هذه النظائر ما لا يعدّ ولا يحصى ، وهناك المثلثات ، وهي التي تختلف حركاتها بين الضم والفتح والكسر ، ولكل حركة معنى يختلف عن معنى اللفظ الآخر . وهذا بحث لاينزف ماء بئره . فاجتزأنا بهذا البرض عن العدّ .

(بغداد) الاب انستاس ماري الكرملي

القرآن

بحث علمي تاريخي اثري

١ — ما هو القرآن

القرآن علم للكتاب الذي يقدسه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها . ويتبركون به ويتبعون سننه وفرائضه . ويعتقدون اعتقاداً راسخاً انه أنزل على النبي العربي محمد بن عبد الله وأنه آخر الكتب السماوية نزولاً [١] و « انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون . تنزيل من رب العالمين » [٢] .

سمي القرآن من القراءة . وسمي « كتاباً » و « فرقاناً » على ما ورد في سورة آل عمران : « نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » [٣] .

ولما بويع عثمان بن عفان (٢٣ — ٣٥ هـ) ثالث الخلفاء الراشدين بلغه ان المسلمين اختلفوا في قراءة القرآن قدر اختلافهم في لهجاتهم . فلم يرَ الا ان يجمع آياته ويضبطها بلغة قريش التي نزل بها القرآن . ثم كتب أربع نسخ منه بعث الى كل مصر من الأمصار الاسلامية بنسخة . وأمر الناس ان ينقلوا عنها مصاحفهم وأوعز بإحراق كل ما خالفها من المصاحف .

ولم يتسمح المسلمون في نقل القرآن الى لغات البلاد التي دوّخوها أو الى غيرها من اللغات بل تمسكوا تمسكاً متيناً بعقيدتهم المستندة الى ما ورد غير مرّة في الكتاب كقوله : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » [٤] . وكقوله : « قرآناً عربياً غير ذي عوج » [٥] .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين : لمحمد فريد وجدي : مجلد ٧ صفحة ٦٦٦ (٢) القرآن : سورة الواقعة ٧٧ — ٨٠ (٣) القرآن : سورة آل عمران ٣ — ٤ (٤) القرآن : سورة يوسف ٢ (٥) القرآن : سورة الزمر ٢٨

٢ — توحيد القرآن لشتات الأمة العربية

جاء القرآن والعرب فِرَقٌ متنابذة وشِيعٌ متحاقدة تكفر كلٌّ منها سائر الفرق وتناهضها وتضمر لها السوء والشرّ . وناهيك ان العرب ظلوا مئات الأعوام على حال واحدة من الخشونة والبداوة لايتحولون عنها ولا يسأمون منها . فكانوا ممزّقين طرائق ومفرّقين حزائق في أجدب المفاوز بل في أبعدها عن النظام والعمران والثقافة . وكانوا مختلفين في مواطنهم ولهجاتهم وعاداتهم لاتضمهم رابطة سياسية ولا جامعة دينية أو قومية .

ما كاد يظهر الاسلام حتى أحدث القرآن في أنصاره وأتباعه انقلاباً غريباً عجيباً لم يكونوا يتوقعونه على الاطلاق . فبعد ما كانوا متسكعين في دياجير الجهل منقسمين الى قبائل وبطون لايعرفون من الشؤون الاجتماعية شيئاً دأبهم الغزو والنهب والقتل وأخذ الثأر أصبحوا بقوة القرآن أمة متوحدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها .

ومن المدهش أنّ الأمة العربية التي كانت قبل الاسلام ذليلةً ضئيلة تحوّلت بعدَهُ من الضعف والخمول الى العزّ والبسطة والسلطان . فنهضت نهضة الرئبال واستجمعت قواها حتى تألفت منها دولةٌ منيعة بطشت بدول ذلك العصر كدولة الفرس والرومان واليونان . ولم تلبث ان أحاطت بشعوب تلك الدول تدعوهم الى واحدةٍ من ثلاث : الاسلام او الجزية او الحرب [1] . ولا غرو فان هذه النهضة السريعة حيرت العالم طرّاً وعدّها القوم حادثاً من أعجب حوادث التاريخ .

من المقرّر الثابت أن للقرآن فضلاً كبيراً في تأليف شتات العرب وتوحيدهم مع الأمم المغلوبة المتباينة في لغتها ودينها وجنسها ووطنها . فكوّن من مجموعها عنصراً جديداً مستقلاً هو العنصر العربي . ومن المقرر الثابت أيضاً انه لولا القرآن لما انتشرت اللغة العربية الفصحى في الخافقين . ولولا القرآن لما أقبل ألوف الألوف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودرسها والتعامل بها . ولولا القرآن — نعم لولا القرآن — لظلّ أهل كلّ بلدٍ من البلدان التي دوّخها العرب ينطقون بلهجةٍ يستعجمها أهلُ البلد الآخر .

(١) دائرة معارف القرن العشرين مجلد ٧ صفحة ٦٨١

فالقرآن عزّز الجامعة العربية وصان عنصرها وضمن سلامتها على توالي الأزمان . ذلك لان الدين الاسلامي فرض على كل مسلم ان يدرسه ويحفظه ويجوّد قراءته قبل أي علم من العلوم البشرية . هكذا حُفظ التفاهم بالعربية بين الشعوب الاسلامية وغيرها من الشعوب في الحجاز واليمن والعراق وحضرموت ومصر وفلسطين وسوريا ولبنان وما بين النهرين . وفي طرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وزنجبار والسودان وهلمّ جراً .

وما ان تقهقرت الدول العربية وتقهقرت معها الحضارة الاسلامية القديمة حتى خُشي ان تندثر لغة تلك الدول وتندمج في لغة الشعوب المغلوبة على أمرها . غير ان اللغة العربية استعصت على نكبات الدهر ورسخت رسوخ الجبال الرواسي خلافاً لما انتاب لغات الأقوام الذين اندمجوا في العرب بعد الاسلام كالروم والسريان والاقباط والانباط والصابئة واليهود وغيرهم .

٣ — تأثير القرآن في المسلمين العرب وغير العرب

من روائع تأثير القرآن ان أئمة المسلمين من غير العرب يرتلونه بلغته العربية ويحافظون على تجويده ويشرحونه لأبناء لغاتهم في أنأى الأمصار . واذا أنعمنا الفكرة في أولئك المسلمين غير العرب ألفينا عددهم يناهز مائتي مليون نسمة وهم منتشرون في أغلب الأقطار شرقاً وغرباً . أعني تركيا وايران وكردستان وكرجستان وافغانستان وبلوخستان . وفي روسيا والبلقان والهند وجاوة والصين واليابان والحبشة وقلب افريقيا وبعض انحاء اوربا واميركا واستراليا .

تلك مزية تفرّد بها القرآن دون سواه من الكتب المنزلة . فالتوراة مثلاً لا يقرأها بلغتها العبرية الا احبار اليهود ونفر ممن تفرّغوا لدرسها . وأما سائر اليهود فان كلاً منهم لا يقرأ التوراة الا بلغة سكان البلاد التي يعيش فيها . وقس عليهم كلّ المسيحيين في انحاء العالم بأسره . فانهم يقرأون الكتاب المقدّس مترجماً الى اللغة الجارية بالاستعمال لدي كلّ شعب او كل ملة منهم . فلا يقرأه بلغاته الاصلية اعني العبرية والسريانية واليونانية الا العلماء فقط وفئة من نصارى الشرق الأدنى وفريق من نصارى الملبار في الهند الانكليزية .

يتضح مما بسطناه ان القرآن هو المصحف الذي جمع كلمة المسلمين على اختلاف مذاهبهم ولغاتهم وأوطانهم . وأحدث انتشاره تأثيراً كبيراً في أخلاق الشعوب التي دانت بالاسلام وفي عقولهم وآرائهم وميولهم . فأدمجوه في كل شأن من شؤونهم دينية ودنيوية . واتخذوه مصدراً لقضائهم ودعامة لمنازعهم السياسية وسائر أمورهم حتى طعامهم وشرابهم وكسوتهم وعيشتهم المنزلية واعمالهم التجارية .

وتتجلى الصبغة الدينية القرآنية في مؤلفي الاسلام ومؤلفاتهم ولئن كتبوا في مواضيع لا صلة لها بالدين . تشهد على ذلك مصنفاتهم في الفلاحة والفلك والهندسة والجبر والكيمياء والطب والفلسفه والتاريخ حتى الصرف والنحو .

وخلاصة القول ان للقرآن في لغته العربية البحتة تأثيراً عميقاً جداً . وقد حرص المسلمون بقوة القرآن وما برحوا يحرصون على سننه وفرائضه ونوافله في كلياتها وجزئياتها . واعتنوا غاية الاعتناء بضبط سوره وآياته وأجزائه وأحزابه والفاظه وحروفه ونقاطه وحركاته وسكناته . وتوافروا على استقصاء حقائقه ومجازاته وتصاريحه وكناياته ودقائقه ونكاته .

٤ — اجماع الخلفاء والملوك والمسلمين كافة على تعظيم القرآن

أجمع المسلمون قاطبة منذ فجر الاسلام على إجلال القرآن . وبالغوا في تكريمه وعنوا بصيانته عناية ليس بعدها عناية . فدونوه على صفائح من ذهب وفضة وعاج وآبنس . وطرزوه بأسلاك من قصب على حرير أو قطيفة أو ديباج او ارجوان . ونقشوا آياته على أعمدة المعابد والقصور وعلى جدران المكتبات والدواوين . وعلى الأمتعة والآنية والأسلحة والرايات . وتفننوا في كتابته بأشكال الأقلام والخطوط وأنواع المداد والكاغد وألوان النقوش والزخارف . وعلقوه على صدورهم تيمناً يتقون به كوارث الدهر ويتعوذون به من هجمات العدو . واتخذوا له قماطر فاخرة وأصونة نفيسة . واستصنعوا لحفظه من التلف والدثور خزائن بديعة . ووضعوه في محاريب الجوامع ورفعوه على كراسي رُصعت بحجارة كريمة وجواهر يتيمة .

وتنافس المسلمون في إجادة كتابة القرآن تنافُس غيرهم من الشعوب في فن التصوير . ومر بنا ان أمير المؤمنين عثمان بن عفان كتب أربعة مصاحف بعث بها

الى الآفاق . واقتفى أثره الحجاج بن يوسف الثقفي فكتب نسخاً من المصحف أهداها الى عواصم المملكة[١] . وتعهد الرحالة ابن بطوطة المقصورة العظمى التي يؤمها إمام الشافعية في قِبلة المسجد الأموي . فشاهد في ركنها الشرقي ازاء المحراب خزانة كبيرة يزينها المصحف الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان الى الشام . ولم تكن تفتح تلك الخزانة الا كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لثمه ايّ ازدحام[٢] .

وحوى مِنبر جامع قرطبة بالأندلس مصحفاً من مصاحف الخليفة عثمان . وقد وُشح بحلة ذهبية رُصعت بالدر والياقوت وغُشي بالديباج . ورُكز هذا المصحف على كرسي من العود الرطب مطعم بمسامير من ذهب[٣] . وفي السنة ٥٥٢ للهجرة نُقل المصحف من قرطبة الى مراكش بمجالي التكريم والتعظيم . وظلَّ في حوزة السلاطين الموحدين حتى قُتل السعيد عليٌّ بن ادريس عام ٦٤٥ للهجرة . وكان هذا السلطان قد نقله معه الى تلمسان فنهب المصحف هناك . ثم عثر عليه ملوك بني عبد الواد وظلوا محتفظين به ريثما افتتح إفريقية السلطان ابو الحسن المريني . فاستولى على المصحف وحمله معه في رحلاته وفتوحاته تيمناً . واتفق انه لما قفل بحراً عام ٧٥٠ للهجرة من تونس الى المغرب هاجت عاصفة شديدة أغرقت المراكب بمن فيها من نفوس وبما فيها من نفائس . وأخصها وأنفسها مصحف الخليفة عثمان فكان ذلك آخر العهد به[٤] .

واشتملت خزائن كتب المسجد الأقصى بالقدس الشريف على نصف مصحف أثري كتبه بالخط الكوفي محمد بن الحسن بن الحسين ابن بنت رسول الله .

وضمت خزانة كتب النجف الأشرف عند ضريح الإمام علي بن أبي طالب نسخة من القرآن خطها ابنه الحسين[٥] . وفي السنة ١٩٤٠ سعى السرداد طاهر زين الدين أحد أغنياء المسلمين في الهند لتجديد هذا الضريح ، فاستصنع له خشباً من الآبنس رُصع بخمسين رطلاً من الذهب الابريز وخمسة عشر رطلاً من الفضة الخالصة .

(١) الروزنامة التونسية : سنة ١٣٢١ ﻫ صفحة ١٤٠ (٢) رحلة ابن بطوطة : جزء ١ صفحة ٥٢
(٣) نفح الطيب : للمقري : مجلد ١ صفحة ٢٥٦ (٤) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى : تأليف احمد بن خالد الناصري : جزء ١ صفحة ١٥٠ (٥) مجلة المقتبس في دمشق : مجلد ٧ صفحة ٩٢٦

وجعل ارتفاعه احدى عشرة قدماً وقطره عشرين قدماً . وبلغ ما أنفقه هذا عليه السردار السخي اثنين واربعين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية [١] .

واعتاد ابراهيم بن يمين الدولة سلطان بخارا ان يبعث كل عام الى مكة المكرمة بنسخة من القرآن يكتبها بخط يده . وذكر المقري ان ابا الحسن المريني سلطان افريقية نسخ بيده ثلاثة مصاحف أتحف بها المساجد الثلاثة التي تُشدُّ الرحال اليها في مكة المكرمة والمدينة المنوّرة والقدس الشريف . وسطر المريني نفسه الختمات الشريفة بقلمه المُجيد المُجدي [٢] . ثم اشترى عقارات بالشام قيمتها عشرة آلاف دينار حبسها على الفقراء وعلى خزانة المصاحف [٣] .

وقرأنا وصفاً لقرآنٍ مستبدعٍ خطه بيده السلطان ابو الحسن المريني المشار اليه وحبسه على الحرم الشريف . وفيه ان هذا السلطان كلف القراء ليضبطوه وأمر الورّاقين ان ينمّقوه ويذهبوه . واستصنع له صِواناً ظريفاً من الآبنس والعاج والصندل دبجه بصفائح ذهبية مرصعة بالجواهر والياقوت . وجعل ذلك المصحف في قمطر من جلدٍ فاخر وُشي بخطوط ذهبية وغُلف بوشاحٍ أرجواني [٤] .

وشاهدنا نحن في دار الكتب المصرية مصحفاً قديم العهد قرأنا في آخره انه « بخط الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين ابن الخليفة علي رضي الله عنهم » واطلعنا في تلك الدار عينها على مصحف كُتب برسم « الجايتو » سلطان المغول (٧٠٣ — ٧١٦ هـ) [٥] . في مطلع القرن الثامن للهجرة .

ومن نفائس دار الكتب المصرية أيضاً مصحف محمد بك ابي الذهب والي مصر وأحد زعماء المماليك في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة . كان هذا المصحف محفوظاً في جامع ابي الذهب ازاء الجامع الازهر بالقاهرة ثم ضاع واحتجب عن الأبصار . وفي السنة سبع وستين وثمانمائة بعد الالف ارتحل الخديوي اسمعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩) الى باريس فعثر على هذا المصحف النفيس في متحف اللوفر . واتفق مع أولي الأمر

(١) جريدة البشير : مجلد ٧٠ عدد ٦٠٥٩ سنة ١٩٦٠ (٢) نفح الطيب : مجلد ٢ صفحة ٥٤٧

(٣) تاريخ ابي الفداء : جزء ٤ صفحة ١٤٩ (٤) الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى : جزء ١ صفحة ٦٢ — ٦٣ (٥) نبذة عن دار الكتب المصرية لسنة ١٩٣٩ صفحة ٢٦

الفرنسيين على إعادته الى مركزه في مصر . وقد نُسخ المصحف المشار اليه بخط مغربي ويعد آية من الآيات بجمال فنه ودقة صنعه وجودة حبره وقرطاسه .

وامتاز غياث الدين ملك الغورية بخطه الظريف فنسخ مصاحف جمة حبسها على المدارس التي شيدها[1] . وكان السلطان علاء الدين يكتب المصاحف بخطه الحسن ويقفها على المساجد[2] .

وهناك مصاحف أثرية عديدة محفوظة بكل تعظيم واجلال في صروح السلاطين والأمراء وأقطاب المسلمين لا يتسع الوقت لوصفها . وحسبنا الاشارة الى ما احتوته من تلك المصاحف النادرة قصورُ خلفاء بني عثمان وملوك ايران وافغانستان وخزائن نظام حيدر آباد في الهند . نضيف اليها مكتبات الأئمة وهواة الكتب وغلاة الآثار في مختلف الأصقاع والأمصار .

٥ — نسّاخ القرآن ومنمّقوه

روى التاريخ اسماء رهط عظيم من الخطاطين اشتهروا بنسخ المصاحف في العصور الخالية . بينهم سلاطين وخلفاء وأمراء ووزراء وأئمة طبق الآفاق صيتهم . فما عدا من ألمعنا بأسمائهم يطيب لنا ان نذكر سلطان المغرب ابن عبد الحق الذي نسخ ثلاثة مصاحف على رق غزال . ولم يزل احدها محفوظاً في خزائن المسجد الأقصى بالقدس الشريف . وهو مجلد طبقاً للفن المراكشي ومكنوز في صندوقة مرصعة بالميناء على الطراز الأندلسي .

واشتهر عن السلطان ناصر الدين ملك الهند والسند المعروف بصلاحه وتقواه انه كان ينسخ المصاحف ويبيعها ويقتات بأثمانها[3] . واثبت ابن بطوطة انه وقف على مصحف محكم الكتابة نسخة السلطان المشار اليه بخطه المتقن[4] .

وتفرّد بنسخ المصاحف علي بن محمد بن مقلة (٣٢٨ ﻫ) وزير الخليفة العباسي المقتدر

(١) تاريخ أبي الفداء جزء ٣ صفحة ١٠٤ (٢) أخبار الدول لابي العباس القرماني: صفحة ٢٨٣

(٣) يذكرنا هذا الخبر بما رواه التاريخ عن ثئودوسيوس الكبير ملك الروم [٣٧٩ — ٣٩٥ م] انه كان في أثناء الفراغ من شؤون المملكة يكب في غرفته على نساخة الكتب ثم يبيعها وينفق اثمانها على معيشته الخاصة . (٤) رحلة ابن بطوطة : جزء ٢ صفحة ٢١

بالله . فقد وجدوا له بخطه «رائع مائة مصحف في مكتبة ابي نصر شابور (٣٢٦ - ٤١٠ هـ) ابن اردشير في الكرخ ببغداد[١] . وفاق ابن مقلة في نسخ المصاحف ابو عبد الله الناسخ . وقد طالعنا عنه في «تاج العروس» انه كتب بخطه الف مصحف . ونسج على منوالها كثير من قدماء الخطاطين كأبي عمر بن قدامة (٥٢٨ - ٦٠٨ هـ) الذي نسخ الكتب الوافرة ولا سيما المصاحف .

وامتاز بنسخ المصاحف وزخرفتها الشيخ محمد نعسان الوردي الحموي في القرن الثالث عشر للهجرة . وأثبت لنا ابن حفيده ان عدد ما نسخه منها أربى على مائة مصحف وجاراه في ذلك ابنه الشيخ مصطفى نعسان وقد أحرز شهرةً واسعةً في تنميق المصاحف ونساخة المصنفات القديمة .

ولم يكُ حظ النساء الخطاطات بأقل من حظ الرجال الخطاطين في تحبير المصاحف . فقد طالعنا في كتاب «مرآة الأدوار» أن الخطاطة «بادشاه خاتون» نسخت من المصاحف الشريفة ما لا نظير له .

وذكر ابن فياض في تاريخه : «انه كان بالربض الشرقي في قرطبة بالأندلس مائة وسبعون امرأة يكتبن كلهن المصاحف بالخط الكوفي» . فاذا كان ذلك كذلك في ربض واحد فكم كان من النساء الكاتبات في جميع أرباض قرطبة التي بلغ عددها ثمانية وعشرين ربضاً[٢] .

ويشاهد زائر مكتبة القيروان الشهيرة في زماننا مصاحف قرآنية مزدانة بالزخارف مطعمةً بالذهب نمقها انامل فتيات مسلمات في العصور الغابرة . وكانت تلك الفتيات يتنافسن في تجويد الكتابة وتزويقها ويختمن كل مصحف بهذه العبارة : «هذا من صنع وقلم فلانة بنت فلان قدمته هدية لخطيبها فلان بمناسبة الاحتفال بزواجهما»[٣] . الى غير ذلك من نوادر منمقي المصاحف ومحبريها رجالاً ونساء .

(يتبع) فيليب دي طرازي

(١) معجم البلدان لياقوت الرومي : جزء ٢ صفحة ٢٦٢ والتاريخ الكامل لابن الأثير : جزء ١٠ صفحة ٣

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : مجلد ٢ سنة ١٩٢٢ صفحة ٢٦٥ (٣) المكتبات العربية في المملكة التونسية : مخطوطة بقلم البشير الفورتي ؛ صفحة ١١ وهي في خزانة كتبنا .

قلعة شقيف ارنون

هي احدى قلاع جبل عاملة وحصونها الكثيرة التي درس جلها ولم يبق ماثلاً منها مصابراً عبر الدهر ومثلات الأيام غير قليل يحدث عن ماضيه القديم الحافل بحوادث الغزاة والفاتحين من مختلف الأمم والشعوب

أما الباقي من هذا القليل ومنه قلعة تبنين على عشرين كيلو متراً من شرقي صور وسواها من بقايا القلاع والحصون فلا نتعرض للبحث عنه وموضوع كلامنا قلعة شقيف ارنون من امنع قلاع البلاد الشامية واكثرها بعد قلعة بعلبك تداولا في كلمات المؤرخين القدماء والمتأخرين ولا تزال لهـا بقية تنبئ عن عظمتها تملأ العين ايناقاً وابداعاً والقلب اكباراً وإعجاباً

أما جبل عاملة القائمة هذه القلعة الحصينة في القسم الشمالي منه الذي يفصله عن القسم الجنوبي نهر الليطاني المعروف عند جغرافيي العرب بنهر ليطا والمتاخم لشمالي فلسطين منتهى حدوده الجنوبية ونهر الاولى (الفراديس) منتهى حده الشمالي وما بينهما شرقاً وغرباً

فقد كان الى عهد اليعقوبي المتوفى ما بعد التسعين بعد المائتين من الهجرة يعد من جند دمشق ومن كوره فقد جاء في كتابه (البلدان) .. وجبل الجليل (وهو احد اسماء جبل عاملة) وأهلها قوم من عاملة ومن بعض اقسامه صور وقدس كانا يعدان من جند الاردن والقسم الجنوبي من هذا الجبل هو من الجليل العليا وافتتحه مع الكور التي افتتحت من كور الشام ابو عبيدة بن الجراح الصحابي الجليل في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة اربع عشرة للهجرة . ومن كور دمشق صيدا وهي من جبل عامل وقد ذكرها اليعقوبي ولبنان بعد ذكر كورة جبل عاملة وفي ذلك ما يشعر انها كانت عملاً مستقلاً

طول قلعة الشقيف وعرضها حسب سمت لندن غرينوش

هي عن هاجرة لندن غرينوش في طول شرقي ٤٥ ث ، ٢٨ ث ، ٣٥ د وعرض شمالي ٢٢ ، ٣٣

قياس ارتفاعها عن سطح البحر

اختلف في قياس ارتفاعها من ٦٧٠ متراً الى ٧٠٠ متر والقياس الأول هو قياس السائح كيران الفرنسي وبعض المصورات

موقعها

واقعة على هضبة مرتفعة يصعد اليها من قرية ارنون على بعد عشر دقائق منها غرباً شمالياً وهي من النبطية قاعدة الشقيف واحدى حواضر جبل عاملة على بعد سبعة كيلو مترات والنبطية واقعة في الجنوب عن صيدا على بعد ثلاثين كيلو متراً وتحت القلعة الى الشرق وادي الليطاني العميق والجانب الشرقي من تلك الهضبة قائم على خط يكاد يكون مستوياً بعيد المهوى يرتفع عن الليطاني ١٥٠٠ قدم وارتفاع قمة الهضبة عن سطح البحر ٢٢٠٥ أقدام وهي اعلى جميع الهضاب والتلال المجاورة له ما عدا جبل الريحان وجبال هونين

ما كتبه عنها علماء تقويم البلدان

في معجم البلدان لياقوت الحموي : شقيف ارنون بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وفاء وبعد الراء نون ساكنة ثم واو ساكنة ونون أخرى والشقيف كالكهف أضيف الى ارنون اسم رجل اما رومي واما افرنجي وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل .. وقال في المشترك : وهو اسم رجل أضيف اليه ويعرف أيضاً بالشقيف الكبير وهو حصن بين دمشق والساحل بعضه مغارة منحوتة في الصخر وبعضه سور . وهو في غاية الحصانة . وعلى القرب منه شقيف آخر يعرف شقيف تيرون بكسر التاء المثناة الى ان قال : وهي قلعة من جهة الأردن على مسافة يوم من صفد في سمت الشمال .. قال في مسالك الأبصار وليست من بلاد صفد على انه قد عدها في العمل العاشر من اعمال صفد احدى قواعد المملكة الشامية كما نقل ذلك عنه القلقشندي في صبحه . وقال القلقشندي عند ذكره لجبال الشام ومنها جبل عاملة وهو جبل ممتد في شرقي

ساحل بحر الروم وجنوبيه حتى يقرب من مدينة صور وعليه شقيف ارنون نزله بنو عاملة بن سبأ من عرب اليمن عند تفرقهم بسيل العرم فعرف بهم

اسماؤهـا

اذا كانت كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى فقد حازت قلعة الشقيف هذا الشرف بكثرة اسمائها فهي عند جغرافيي العرب تعرف بحصن ارنون · وشقيف ارنون · والشقيف الكبير · وقلعة الشقيف · والشقيف ويسميها الفرنج بلفورت او بوفرت ومعناهما الحصن الجميل

بناتهـا وتاريخ بنائهـا

أما بناتها وتاريخ بنائها فمختلف فيهما اختلافاً عظيماً وكل من كتب عنهما من المؤرخين فيكاد يكون مستندهم محض الظن والاستنتاج شأنهم في كل ما كتبوا عنه من آثار القدماء في هذه الديار وغيرها كقلعة بعلبك وتدمر وسواهما مما لم يسجل بانوه زمن بنائه ومن بناه او انهم سجلوهما وعفى من خلفهما اثرهما على ان ذلك لم يكن سبباً لاحجام المولعين بالبحث عن المقارنة والاستنتاج للوصول الى ما تطمئن اليه النفس من امثال هذا البحث

والباحث عن تاريخ قلعة الشقيف وعن بناتها الأولين لا يطمئن الى قول من يذهب الى ان بناتها من الصليبيين وان كان مما لا ينازع فيه ان لهم فيها بعض المنشئات او انهم بنوا جديدهم على قديمها الذي لم يندرس ولو كان الصليبيون بناتها وهم في عهد استفحال التدوين لكليات الأحداث وجزئياتها من العرب ان اغفل الصليبيون تدوين تاريخها لما كان أغفله مؤرخو العرب

أما القول بأن بانيها ارنلد وان اسم ارنون مقطع من اسمه فهو مما لا وزن له بعد ان كان اسم ارنون مما ورد في الكتاب المقدس وهو اسم نهر او ماء يخرج من جبل جلعاد قرب قطرانة وكان يفصل بين ارض موآب وارض الاموريين ويعرف أيضاً باسم الموجب ويروي الامامية حديثاً مرسلاً نقله الشيخ محمد الحر العاملي من اعيان علماء المائة الحادية عشرة للهجرة في كتابه أمل الآمل حين وصف

جعفر بن محمد الصادق قوماً من الشيعة وسئل عن مكان وجودهم قال : بلدة بالشام :
قيل يابن رسول الله ان اعمال الشام متسعة قال : بلدة بأعمال الشقيف ارنون وبيوت
وربوع تعرف بسواحل البحر واوطئة الجبال وهذا الامام توفي سنة ١٤٨ للهجرة
قبل الغزوات الصليبية بـ (٣٥٠) سنة ونيف

ومثل هذا القول في البطلان قول ياقوت سمي شقيف ارنون باسم رجل اما رومي
واما افرنجي وان اسم ارنون سرياني او عبراني ولم يطلق هذا الاسم على رجل بل
أطلق على نهر وعلى مسميات اخرى ولعل الاسرائيليين هم الذين أطلقوا هذا الاسم
على هذه القلعة او على موقعها يوم وقعت في سهم اشير من الاسباط

يقول كيران أما مؤسسها الأول فهو مجهول لنا . وأما ما بناه الصليبيون
فيختلف في شكله عما بناه غيرهم ولهذا لا يصعب تمييزه . ولا ريب في ان بناءها كان
قبل أيام الصليبيين بمدة مديدة الا اننا لم نقف على ذكر لها في التاريخ قبل القرن
الثاني عشر للميلاد . ولا يبعد انه كان بعد تملك الرومانيين او البزيطيين سورية
وربما كان قبل تلك الأيام أيضاً وقد ذكرها مؤرخو الحروب الصليبية الفرنسيون
مراراً باسم بلفرت او بوفرت الا انهم لم يتعرضوا لذكر تاريخ بنائها ولو كانوا هم
البانين لها لما سكتوا عنه . ولا يعلم بالتحقيق الذين بنوها أنصارى هم أم مسلمون .
ورجح المقتطف ان بناتها الاولين من الرومان بعد الميلاد ويزعم بعضهم انها من
بناء الصليبيين وان فيها بناء فينيقياً قديماً

اما دعوى ان بناتها من الصليبيين فيكفي في دفعها مضافاً الى ما سردناه من
الأقوال وما استنتجنـاه من النتائج انهم لم يؤرخوا ذلك ولا ادعوه ويرجع قديم
بنائها على الراجح وعلى اختلاف كيفية البناء في العهد الصليبي عن كيفية البناء
انها اما من بناء الاسرائيليين ويؤيده التسمية بارنون وبوقوع مكانها في سهم اشير
من الأسباط واما من بناء الفينيقيين وقد كانت في حكمهم وفي البلاد التي غلبوا
عليها واما من بنـاء الرومانيين او البيزنطيين وكلاهما قد امتلك بلاد الشام وهي
قسم من أقسامها

التعريف بقلعة الشقيف ووصف ابنيتها ومناظرها

لم نرَ بين مؤرخي العرب وجغرافييهم من وصف هذه القلعة الشماء وصفاً ممتعاً معرقاً بعظمتها وجل ما كتبوه ما سبق ذكره آنفاً وهو لم يعرض فيه الى التعريف بأبنيتها الفخمة وأوضاعها الهندسية المحكمة وما اشتملت عليه من فن عقود الأبنية أحد الفنون التي كان للعرب بها فضل المعرفة واذا عرفت ان من مرافقي السلطان صلاح الدين الأيوبي أمثال القاضي الفاضل وهو كاتب ذلك العصر والعماد الاصفهاني وهو من أئمة الانشاء والبلاغة فيه وابن شداد وهو الثقة العدل وعرفت انهم كانوا يحصون عليه انفاسه ولم يغادروا صغيرة ولا كبيرة من اعماله وحروبه ولا حديثاً من أحاديثه الا رووه فكيف احجموا عن وصف هذه القلعة والاشادة بمحاسنها والتنويه بعظمتها التي تستثير كامن القرائح وتدع العي بليغاً والمفحم شاعراً وما كان من جاء بعدهم الا طابعاً على غرارهم ولعل السر في هذا الاحجام منع الغالبين عليها كتاب زمانهم من ذلك لما فيه من دلالة العدو على عوراتها وما يمد له من التمكين من منازلتها ومحاصرتها ومهما يكن من أمر هذا الاحجام والسكوت فانا لم نجد لها وصفاً من سياح الفرنج الذين كثر غشيانهم البلاد من عهد الأمير فخر الدين حتى ولا من فولتاي الذي زار هذه الديار في عهد احمد باشا الجزار وكتب عنها رحلة مطولة جامعة ولعلها كانت في تلك الحقبة وهي في حكم امرائها العامليين الاقطاعيين وهم لم يمكنوا له من زيارتها وهي تجمع اسرار قوتهم الحربية وهم واعداؤهم الكثيرون من رجالات الدولة والأمراء المجاورين في نضال مستمر وان ما كتب عنها لا يمتد العهد به على ما هو المظنون الى ما يجاوز اواسط القرن التاسع عشر الميلادي وهو العهد الذي زار فيه بلاد الشام السائح الفرنسي كيران ولعله هو أول من كتب في وصفها والتعريف بها وهذا تعريب ما كتبه بشيء من التصرف

لهذه القلعة مدخل من الجنوب وشكلها مثلث الزوايا وقياسها ١٦٠ متراً طولاً و ١٠٠ عرضاً تقريباً تحيط بجوانبها آبار محفورة في الصخر ويحميها من الشرق مجرى نهر كبير يسمى نهر الليطاني ينحدر على عدة امتار من حضيضها وفي الجنوب المنفصل

عنها حوض للماء محفور في الصخر وفي الغرب منها صهاريج كلها محفورة في الصخر الصلد مسقوفة بعقود حجرية وفي الشمال منها حوض بعضه منحوت من الصخر وبعضه مبني وجدرانها المحيطة بها منحدرة وفي الداخل من القلعة آبار وأحواض كثيرة كان يجتمع فيها من مياه المطر ما يسد اعواز المحاصرين وهو يبطل ما يتناقله بعضهم من ان في القلعة الى نهر الليطاني نفقاً كان ينقل منه ماء النهر الى القلعة

وهي قسمان قسم منخفض تحده من الشرق هضبة الليطاني وقسم مرتفع مبني على قمة الهضبة على صفحة من الصخر ولا تزال قائمة فيها ابراج من القدم تميل ميلاً عمودياً . وفي القلعة ابهاء (صالات) وحوانيت وغرف متصلة متلاصقة يفصل بينها ممر ضيق مسقف بعقود . وفيها طبقتان ببناء مختلف يستدل منه على قدمها والمتهدم منها نحو ثلاثة ارباعها والقسم المرتفع الممتد الى الجهة الغربية تظهر فيه من الجهة الجنوبية بقايا برجين جميلين مستديرين مبنيين بحجارة كبيرة قائمين على حائط منحدر مبني بحجارة صقيلة يصعب تسلقها . والجهة الغربية عبارة عن جدار عال متناه في الغلظ وركائزه السفلى قائمة على قاعدة من الصخر الطبيعي وهي منضدة من حجارة ضخمة غالبها منحوت واما السافات (المداميك) العليا فهي أصغر من السفلى مما يستدل منه انها حديثة البناء وفيها درج محفور في الصخر متصل بعضه ببعض .

وفي دائرة المعارف للبستاني .. وفي الطريق من ارنون الى القلعة بركة كبيرة متينة البناء واقعة على سفح التل وبالقرب منها آثار قرية كانت تابعة للقلعة يحيط بها سور وبرجان مستديران والى الجنوب الغربي منها فسحة من الأرض مستوية يظن انها كانت ميداناً للعساكر (وتسمى الى اليوم الميدان)

ومدخل القلعة الكبير هو من الجهة الجنوبية ولم تزل هناك آثار حوض جميل متصل بالخندق المحفور في حجر صلب في الجهة الغربية وجانب القلعة الجنوبي وليس لباقي جهاتها خندق لان استحالة الوصول اليها من جهة أخرى أغنتها عن ذلك . ثم ان قنة التل ضيقة جداً حتى ان القلعة اعرض منها وكان يدخل اليها على جسر متنقل في جنوبيها . وهناك آثار ابنية يظن انها كانت اصطبلات أقامها الصليبيون .

وبالقرب من الزاوية الشرقية ابنية متصلة بأعلى القلعة كان يدخل منها اليها

والقلعة مستطيلة وضيقة جداً بحسب الارض التي بنيت عليها فلا مناسبة بين طولها وعرضها . وأما حجارتها فكلها مربعة الزوايا الا انها ليست بكبيرة كالحجارة في القدس وبعلبك ولا محكمة النحت نظيرها الا انها تشبهها مشابهة عامة ووسط وجهها الخارجي خشن غير منحوت وهي الين من حجارة القدس ولذلك قد أثر فيها الهواء مع تمادي الزمان

وفي القلعة عدة ابراج مربعة بارزة . والى الجهة الجنوبية الغربية منها برج مستدير اساساته مستديرة مائلة ولذلك كله منظر جميل وكان الى شرقي البرج المذكور باب صغير بقنطرة مستديرة من حجارة محكمة النحت ذات نقوش ظريفة وجدران القلعة متينة ومرتفعة وارتفاعها عن الخندق من ٦٠ الى ٨٠ قدماً . وطولها نحو ٨٠٠ قدم وعرضها مختلف لا يتجاوز معظمه ٣٠٠ قدم وكتب عنها بيدكر ووصفها بما لا يزيد على ما ذكر ومع ما في هذا الوصف من الدقة فانه لم يصل الى ما اشتملت عليه من الاسرار ولم يتناول الا ما استطاع الباحث ان يصل اليه ويشاهده وأما ما وراء ذلك فهو مطوي بما فيها من الاحافير التي لم تكشف بعد في ظلمات التراب المتراكم وقد قامت بها في هذه الايام بعض اعمال التنقيب والحفر والاصلاح مما يحمد أثره ولكن لم نقف على ما ظفر به المنقبون مما يلقي الضوء على تاريخها القديم المظلم

بين الاعمال والولايات والنيابات

كانت هذه القلعة تتبع في الادارة سياسة المتغلب على البلاد المجاورة لها من الداخل والساحل فكانت مرة عملاً لبانياس قاعدة وادي التيم واخرى عملاً للقدس . وتارة لصيدا . وطوراً لصفد . وآناً مركزاً لأعمال عظيمة وأحياناً قاعدة لمملكة تنسب اليها (المملكة الشقيفية) وآونة ولاية . وحيناً نيابة . أو محافظة . وقد مرَّ انها كانت الى عهد اليعقوبي من اجناد دمشق وكانت تتسع وتضيق رقعة ما يدخل في عملها تبعاً لمقتضيات ادارة الغالب

بين التعمير والتدمير

لم يتعرض مؤرخو العرب لذكر هذه القلعة قبل الحروب الصليبية وفيها قبل عام ٥٨٠ هـ ١١٨٩ م ولكن وليم اسقف صور ذكرها قبل هذا التاريخ بعشر سنين . وبعض مؤرخي الفرنج وهو كيران رجع بها الى أبعد من هذا التاريخ حيث قال: انها وقعت في قبضة فولك ملك القدس عام ١١٣٩ م ٥٣٩ هـ وعدم ذكرها في غير هذه الحقب لا يدل على انها لم تكن قائمة عامرة في اول امتلاك الصليبيين لها بامتلاك احدى القواعد التي كانت تابعة لها كصيداء وصفد وبانياس وغيرها ولا يستدل من ذلك على انها كانت مستغنية عن الترميم وزيادة التحصين فلا جرم ان ايدي الصليبيين امتدت اليها بعد ان وقعت في قبضتهم بإعادة المتهدم وتجديد الداثر وقام لهم من البناء الجديد ما يتميز عن بنائها الروماني القديم وعن بناء العرب فإن الجهة الغربية كلها مع الزاوية الشمالية والجنوبية الغربية قد بنيت قبل الصليبيين بمدة مستطيلة ومعظم القلعة الآن هو من القسم المذكور وليس فيه من بناء القرون المتوسطة الا آثار قليلة والظاهر ان الصليبيين بنوا اكثر الجهة الشرقية منها ويرى في الوسط كنيسة لاتينية ذات سقف مؤلف من قناطر متقاطعة وبابها الصغير يدخل منه الى الدار الداخلية . وهناك آثار أبنية متصلة بأعلى القلعة كان يدخل منها اليها وهي كسائر قلاع القرون الوسطى في بلاد الشام من بناء كثير من المتغلبين وأهم ابنيتها في العهد الروماني ومعظمها من بناء العرب وفيها معبد أومصلى من القرون الوسطى من الجهة الشرقية

افرغ ارناط (ارنلد) همه في تحصينها اثناء الهدنة التي عقدها وصلاح الدين يوم جاءها محاصراً وسلط عليها أحجار المنجنيق من اعالي الهضبة الشرقية المشرفة عليها من ضفة الليطاني الشرقية .. يقول العماد الاصفهاني في الفتح القسي بعد ان ذكر اجتماع ارناط بصلاح الدين وأعطاه مهلة لتسليمها مدة ثلاثة اشهر .. فشرع ارناط في ازالة حصنه . وازالة وهنه . وترميم مستهدمه . وتتميم مستحكمه . وتوفير غلاله . وتوفية رجاله وفي سنة ١٢٦٠ م ٦٣٧ هـ بنى الفرسان الهيكليون القصر الجديد فيها

على ما يظن وهو الذي ترى انقاضه على بعد بضع مئات الامتار في الجهة الجنوبية ·
وقد بقيت بيد الرهبنة الهيكليين الى عام ١٢٦٨ م ٦٦٧ ﻫ حيث استولى عليها بيبرس بعد حصار شديد ثم رممت واقيم فيها عساكر للمحافظة ·· قال كيران استولى بيبرس على محل بلفور وموقعه بين الحصن والقلعة الجديد ويفهم من هذا ان اسم بلفور خاص بهذا المحل او بقرية بناها الفرنسيون بقرب القلعة ·· وفي فوات الوفيات لابن شاكر وكانت الشقيف قلعتين متجاورتين فجمع بيبرس بينهما وبنى بها جامعاً وحماماً وديار نيابة وبرج الظاهرية الذي كان مقابلاً للقلعة والمعروف اسمه وموقعه الى اليوم هو نسبة الى لقبه (الظاهر) اما لأنه أحدث بناءه او لأنه اعاد متهدمه

· طوى المؤرخون صفحة تعميرها وتدميرها الى أوائل القرن السابع عشر الميلادي والحادي عشر الهجري وهو القرن الذي نبه فيه امر الأمير فخر الدين المعني وشملت امارته قسماً كبيراً من البلاد الشامية ساحلها وجبلها ممتداً من بلاد صفد جنوبا الى انطاكية شمالاً واستولى على كثير من القلاع والحصون من ضواحي دمشق وتصرف في ثلاثين حصناً كانت قلعة الشقيف في جملتها وذلك قبل ان يوغر صدر الدولة العثمانية عليه ولما تنكر له رجالها اهتم في اعداد العدة للمناضلة وتحصين القلاع والحصون فرمم من بينها هذه القلعة وشحنها بالرجال وآلات الحصار والدفاع وامتنعت على المحاصرين فلم ينالوا منها نيلاً الى ان تقلبت الأحوال بالمعني وكثر مقاوموه من الولاة العثمانيين ومن الوطنيين الاقطاعيين وأحزابهم مما اضطره للخروج من البلاد فقضت مشيئة بعض رجال الدولة بتهديم هذه القلعة وسواها عام ١٠٢٥ﻫ ١٦١٦ م

ثم وقعت هذه القلعة بيد الصعبيين حكام مقاطعة الشقيف فأقام بها منهم احمد منصور واحمد فارس فعمرا القلعة وأحدثا فيها بوابة وظلت في يد الصعبيين الى عام ١١٩٥ ﻫ ١٧٨٠ حيث انتهى الأمر ببسط الجزار حكمه على بلاد جبل عاملة بعد مقتل ناصيف النصار من آل الصغير وكبير حكام جبل عاملة وحرص الحرص كله على تهديم قلاعه ومن بينها هذه القلعة أما بد التهديم فلم تطل غير أعاليها وبعض ابراجها وأما ما تحتها من الأبنية فلم تكن لتنال او تستطال ويقال ان

الجزار نقل بابها الحديدي الى عكاء والشيخ حسن بن فارس الصعبي نقل الى قرية البابلية من اعمال الشوم قسماً من احجارها الملونة زين بها بعض المباني التي احدثها فيها

تداولها بين المتغلبين

انتقلت من الصليبيين الى السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٥ هـ ١١٨٩ م ومن اسماعيل ملك دمشق تسلمها مع صفد الفرنسيون سنة ١٢٦٠م ٦٣٧ هـ على ان يكونوا عوناً له على ابن اخيه الملك الصالح ايوب . وفي هذه السنة اشتراها رهبنة الهيكليين وصيدا من بوليانس حاكم صيدا وظلت في أيديهم الى سنة ١٢٦٨م ٦٦٧ هـ وهو العام الذي فيه استولى بيبرس عليها بعد حصار شديد ثم تعاقبت عليها أيدي ملوك مصر والشام ولم تفقد شيئاً من حصانتها من عهد بيبرس الى عام ١٤٠٠ م ٨٠٣ هـ واستمرت الى هذا الحين متماسكة ممتنعة وكانت ملجأ حصيناً للفارين من بلاد الشام يوم جاءها تيمورلنك غازياً . ثم انتهت الى يد الأمير فخر الدين المعني ثم الى حكام البلاد العاملية ثم الى احمد باشا الجزار نهاية محزنة شوهت جمالها وحجبت هلالها وأخيراً وفي هذا العهد الى الجمهورية اللبنانية ولعلها تحرص عليها وتجلو محاسنها المحجوبة تحت المتردم من ابنيتها من ركام الأحجار والتراب وتبرزها صفحة لامعة متعة انظار السائحين والزائرين يقرأون فيها ما كان لها من عمران زاخر ومجد تالد وحوادث جسام تعاقبت عليها قروناً متطاولة لا يستطاع تحديدها .

سليمان ظاهر

قبر معاوية بن ابي سفيان

تضاربت الأقوال وتعددت الروايات منذ القديم حتى يومنا هذا عن مكان قبر معاوية بن أبي سفيان منهم من جعله في الحائط القبلي من جامع دمشق في دار الإمارة الخضراء • وهو القبر المنسوب اليه في محلة معاوية بجوار قصر آل العظم من جهته الشرقية • ويزعم غيرهم انه في محلة النقاشات جنوب شرقي الجامع الأموي في الزاوية المعروفة بزاوية السنود • ويرجح آخرون انه في أقصى جنوب تربة الباب الصغير حيث هنالك قبر يزار ويتبرك به يعرف بقبر معاوية • ولم نعثر في مظهر هذه القبور على ما يستدل منه على صحة نسبتها او قدمها مما يرجح معه زعم على آخر • وجميع هذه القبور هي حديثة العهد صنعت من تراب وشيد عليها بيوت جديدة بسيطة الا قبر محلة النقاشات فقد شيد عليه قبة لطيفة أيوبية وهنالك من لا يسلم بواحدة من هذه المزاعم ويعتقد تلفيقها ويحكم بفسادها لأن دولة بني العباس قد نبشت قبور بني أمية ثم حرث مكانها وزرع نحواً من مائة عام[1] • فعفت بذلك آثارها وضاعت معها معالمها •

ولكل من هذه المزاعم أنصار يبرهنون عليها بنصوص تاريخية لا غبار عليها لو قبلت على علاتها • وهكذا نجد أنفسنا أمام وثائق وآراء متضاربة متباينة • يصعب معها الأخذ برأي دون سواه اذا لم يدعم مما يؤيد رجحانه •

ان واجب الباحث المدقق ان يرتاب بصحة أصدق الروايات اذا لم تتعدد مصادرها ورواتها • كما انه ليس له ان يهمل بلا تحقيق رواية او يستخف بها مهما بدت ضعيفة أو سخيفة • وليس لأحد ان يؤيد زعماً أو ينفيه ما لم يضع شتى الروايات في ميزان النقد والتمحيص فيأخذ ما رجحت كفته • وهكذا اهتدى المؤرخون والباحثون للحقائق وأصابوا لباب التاريخ الصحيح • وفازوا باستجواب الحوادث التاريخية مع ما فيها من شوائب وتضليل • فحلوا عقدها واوضحوا غوامضها • ان حوادث التاريخ سلسلة

(١) تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ٢٢٤ • تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٦١

حلقات مرتبطة بعضها ببعض غير مستقلة . لها مقدماتها ولها نتائجها . وكل حادث لايستوفي هذا الشرط جاز لنا الحكم بفساده والطعن في صحته . وقد سلكت على هذا النحو في هذا البحث ملتمساً بعث الحقيقة من بين نصوص موثوقة ومزاعم واهية . عساي ان اوفق بفضل ما جمعته من الوثائق المبعثرة وبإرشاد زملائي الأعلام للوصول الى حقيقة تطمئن لها النفوس وتضع حداً لتبلبل الآراء في هذا الشأن

أجمع المؤرخون ان وفاة معاوية كانت بدمشق ودفن فيها . منهم من عين موضع قبره ومنهم من أغفله وأما النصوص القائلة بدفنه في الدار الخضراء فهي الآتية :

ا — قال المسعودي (المتوفى عام ٣٤٥) : توفي معاوية بدمشق سنة ٦٠ وله ثمانون سنة . ودفن بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير . وقبره مشهور في تلك المقبرة . وقيل بل في الدار المعروفة بدمشق بالخضراء الى هذا الوقت في قبلة المسجد الجامع .... وان الذي في مقبرة باب الصغير قبره هو قبر معاوية بن يزيد بن معاوية[1] .

وقد أضعف الشق الأول من هذا النص الشق الثاني ونفاه . ويتبين منه انه لم يشتهر وقتئذ سوى قبره الكائن في مقبرة الباب الصغير .

ب — وذكر ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١) ما نصه :

وأما معاوية فمختلف في قبره . فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة (القراء) السبع . والأصح ان قبره خارج باب الصغير[2] . وهذا نص واضح لا يحتمل التأويل .

ج — ونقل ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤) الرواية الآتية :

«ولا خلاف انه (أي معاوية) توفي بدمشق ...... ثم دفن فقيل بدار الأمارة وهي الخضراء . وقيل بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور[3] » . ويرجح أيضاً هذا النص دفنه في مقابر باب الصغير .

د — ونقل ابن قاضي شهبة (المتوفى عام ٨٥١) ما نصه :

«واختلف في قبر معاوية فيقال خلف حائط المسجد موضع القراء السبع .

(١) التنبيه والاشراف ص ٣٦١ . (٢) التاريخ الكبير المجلد الاول ص ٢٦٥ .

(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣

والأصح ان قبره خارج باب الصغير والله أعلم » . وهذه العبارة قد نقلت عن ابن عساكر بتحريف طفيف .

هـ — وذكر الحافظ بن طولون (المتوفى سنة ٩٥٣) ما نصه : .

« في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الامارة الخضراء قبر معاوية وهو الذي تسميه العامة قبر هود عليه السلام [1] » . وهذا نص متأخر والوحيد الذي انفرد بهذا الزعم .

و — وأورد ابن الحوراني (من أعيان المئة العاشرة) العبارة الآتية :

ومنهم معاوية الذي [دفن] خارج باب الصغير فانه ابو ليلى معاوية الذي تولى نحو أربعين يوماً [1] » . وهذه رواية ضعيفة لا يعرف مصدرها .

ز — وزعم محمود العدوي [من أعيان القرن الثاني عشر] : ان القبر الذي بباب الصغير ويقال له قبر معاوية انما هو قبر معاوية بن يزيد بن معاوية هذا وليس معاوية ابن ابي سفيان . « ويقال ان معاوية بن أبي سفيان مدفون في حائط جامع دمشق خوفاً عليه من الخوارج » . وهذا نص متأخر لا يصح الأخذ به .

ويظهر من النصوص المتقدمة ضعف الرواية القائلة بدفن معاوية في دار الامارة الخضراء . وانما أوردها ثقاة المؤرخين كرواية ثانوية أبطلوها ونفوها .

وأما القبر المنسوب لمعاوية المعروف في محلة النقاشات فلم أهتد الى أي نص يشير اليه . وعليه يمكننا الحكم بفساد هذه الرواية الموضوعة . ولعل وجود هذه التربة المجهولة على مقربة من دار الخضراء حمل بعض الناس على نسبتها الى معاوية لا سيما وقد وجدوا في قدم عهد هذه التربه وحسن مظهرها ما يتفق مع مكانة معاوية من أي تربة أخرى غيرها في جوارها .

وأما روايات دفنه في مقبرة الباب الصغير فكثيرة وافرة ومن عصور مختلفة نورد أهمها :

١ — قال المسعودي [المتوفى عام ٣٤٥] ما نصه : « دفن [أي معاوية] بدمشق بباب الصغير وقبره يزار في هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس [2] » .

(١) الاشارات الى أماكن الزيارات لابن الحوراني ص ١٠ (٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٥٣

٢ — وقال أيضاً ما نصه : « دفن [أي معاوية] بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير وقبره مشهور في تلك المقبرة [1] » . ويؤكد النصان شهرة القبر في ذاك العصر بأنه في الباب الصغير .

٣ — وذكر مؤرخ دمشق الحافظ ابن عساكر [المتوفى عام ٥٧١] العبارة الآتية : « قال ابن الاكفاني أراني الشيخ ابو محمد عبد العزيز بن احمد الكتاني [المتوفى سنة ٤٦٦] قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير وهم معاوية بن أبي سفيان . وفضالة بن عبيد .. وغيرهم وهم داخل الحظيرة مما يلي القبلة وابو الدرداء خارج الحظيرة وأم الدرداء خلفها » . وذكر أيضاً ما نصه : « قال يزيد بن احمد السلمي دفن في مقبرة الباب الصغير من الصحابة والمعروف منهم معاوية . الى ان قال : وأما معاوية فمختلف في قبره فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة [القراء] السبع والأصح ان قبره خارج الباب الصغير [2] » . وجميعها نصوص واضحة نيرة يؤكد فيها ابن عساكر دفن معاوية في باب الصغير .

٤ — وذكر ابن كثير [المتوفى سنة ٧٤٤] ما نصه : « صلى عليه [اي على معاوية] الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر بمسجد دمشق ثم دفن فقيل بدار الامارة وهي الخضراء وقيل بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور والله أعلم » . الى ان قال عن رجوع يزيد بن معاوية من حوارين حينما بلغه وفاة والده . « فانتهى [اي يزيد] الى باب توما . فظن الناس انه يدخل منه الى المدينة فأجازه مع السور حتى انتهى الى باب الشرقي فقيل يدخل منه لانه باب خالد . فجازه حتى أتى باب الصغير فعرف الناس انه قاصد قبر أبيه فلما وصل الى باب الصغير ترجل عند القبر ثم دخل فصلى على أبيه بعد ما دفن ثم انفتل . فلما خرج من المقبرة أتي بمراكب الخلافة فركب [3] » .

٥ — وذكر ابن الحوراني [من أعيان القرن العاشر] ما نصه : « منهم [أي من دفن من الصحابة في باب الصغير] معاوية بن صخر بن ابي سفيان الأموي ...... مات بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره معروف يزار ومبني عليه [4] » .

(١) التنبيه والاشراف ص ٣٦١ (٢) التاريخ الكبير «طبع دمشق» ج ١ ص ٢٦٤ — ٢٦٥

(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣ (٤) الاشارات الى أماكن الزيارات ص ١٠

٦ — وذكر ابن عبد الرزاق الدمشقي [المتوفى سنة ١١٣٨] ما يأتي : « مات معاوية بدمشق على الأصح ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره معروف يزار مبني عليه قبة[١] » .

٧ — وذكر مثل ذلك أيضاً البصروي[٢]

٨ — وقال احمد العدوي الشهير بالمنيني [المتوفى سنة ١١٧٢] عندما عدد قبور الصحابة في دمشق : « منهم الصحابي الجليل سيدنا معاوية بن أبي سفيان الأموي ..... في مقبرة الباب الصغير . وفي جانب ضريحه من جهة القبلة قبر الصحابي الجليل ابي الدرداء عويمر الخزرجي ..... وزوجته التابعية ام الدرداء الصغرى قبرها الى جانب قبره وعلى رأس قبره حجر مكتوب عليه اسمه . وكان قبره وقبر زوجته ام الدرداء مكشوفين فبنى عليهما السيد محمد المرادي بناء يحيط بهما له باب يفتح للزيارة[٣] » .

ان جميع النصوص التي أوردناها هي متسلسلة من القرن الرابع حتى يومنا هذا وتؤكد ان معاوية بن أبي سفيان قد دفن في مقبرة الباب الصغير ولكنها لم تعين الناحية التي دفن فيها ولذلك يتعذر معها تجديد قبره في مقبرة مترامية الأطراف . غير ان ابن عساكر قد خفف عنا العناء وحدد موضع القبر بقوله : داخل الحظيرة مما يلي القبلة . فسهل علينا بذلك البحث وهدانا السبيل القويم . وينطبق هذا التحديد على مكان القبر المنسوب اليوم الى معاوية الواقع في أقصى جنوب مقبرة الباب الصغير أي مما يلي القبلة كما قال ابن عساكر . وقد سبق للأستاذ عز الدين التنوخي ان نشر مقالاً بهذا الموضوع في مجلة مجمعنا العلمي عام ١٩٣٧ ننقل عنه نص الكتابات الموجودة على هذا القبر . الكتابة الأولى هي بخط نسخي من أواخر عهد المماليك نصها : (هذا قبر خال المؤمنين معاوية بن ابي سفيان كاتب الوحي ورديف رسول الله ﷺ) . والكتابة الثانية من العهد العثماني وهي : « هذا مرقد سيدنا معاوية رضي الله عنه . جدد هذا المقام صاحب الخيرات أدنوي الحاج محمد باشا محافظ الشام سنة ١١١٥[٤] » .

لا يعدم المرء باباً للطعن في هذه النصوص وهذه الوثائق لما في بعضها من غموض

---

(١) حدائق الأنعام في فضائل الشام (٢) تحفة الأنام في فضائل الشام (٣) الاعلام في فضائل الشام (٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٥ ص ٤٩٦

وابهام وحداثة عهد . ولكن هنالك وثائق أخرى تزيل الشبهات ويتعذر معهـا الاشكال والتأويل لما لها من قيمة علمية وقوة استدلال محكمة . فقد عثرنا في تراجم طائفة من الصحابة والتابعين والعلماء والأمراء على انهم دفنوا في عصور مختلفة في مقبرة باب الصغير في جوار معاوية منهم ابو الدرداء وأم الدرداء والوليد بن عبد الملك وابو الفتح المقدسي المتوفى سنة ٤٩٠ واحمد بن السلطان نور الدين زنكي المتوفى عام ٥٤٧ والحافظ بن عساكر صاحب تاريخ دمشق المتوفى سنة ٥٧١ وشمس الدين الصرخدي المتوفى سنة ٧٩٢ وابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥ وشهاب الدين احمد النابلسي المتوفى ٩٠٧ وابراهيم الناجي شيخ المحدثين بدمشق . وقد عثرنا صدفة في جوار قبر معاوية على ثلاثة من هذه القبور كانت شواهدها مردومة على عمق أمتار . الأولى منها هي شاهدة قبر ابي الدرداء . ظهرت عام ١٩٣٨ على نحو [٢٠] متراً للجنوب الغربي من قبر معاوية . كتب عليها بخط كوفي من القرن الرابع ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله الا الله محمـد رسول الله . هذا قبر أبي الدرداء صاحب رسولـ الله . صلى الله عليه وسلم . رضي الله عنه . » وعثر بجوارها على الثانية وهي شاهدة أم الدرداء . وكتابتها من نوع الأولى ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا قبز أم الدرداء أحد اصحاب [كذا] رسول الله صلى الله عليه وسلم . رضي الله عنها » .

وقد سبق للأستاذ عز الدين التنوخي ان عثر عام ١٩٣٧ لصيق حائط بيت قبر معاوية الجنوبي على قبر عليه شاهدة حديثة العهد كتب عليها اسم ابي الفتح المقدسي وقد إعتمد عليها في مقاله ليثبت بها صحة نسبة هذا القبر الى معاوية . ولكن كتابة هذه الشاهدة الحديثة كانت علة الضعف فيها ولا يمكن للباحث ان يجزم بصحتهـا . وقد أبت الصدف الا أن تؤيد ما ذهب اليه الأستاذ عز الدين التنوخي . لأنه قد عثرنا بعد أشهر من نشر مقاله على قبر ابي الفتح المقدسي الحقيقي وذلك على نحو [١٥] متراً شرق قبر معاوية وظهر معه على عمق أمتار شاهدة قبره كتب عليها بخط كوفي ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله الا الله . عد للقاء الله . محمد رسول الله . هذا قبر الفقيه الزاهد الامام ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي . رحمه الله .

توفي في المحرم سنة تسعين واربعمائة » . وكل ما في هذه الشاهدة يدل على انها شاهدة قبره الأصلية التي عملت عند وفاته . والشواهد الثلاث هي مودوعة الآن في دار الآثار بدمشق .

ويتبين لنا مما تقدم ان مكان قبر معاوية قد اشتهر منذ أقدم عصور التدوين الاسلامي بأنه كان في باب الصغير . (قد عرفه المسعودي في سنة ٣٣٢ ووصفه بأنه عليه « بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس » ولو كان أمر تجديد هذا القبر بعد درسه قريب العهد من المسعودي لما أغفل ذكره . وأثبتت النصوص بأن العامة بقيت تكرم قبر باب الصغير وتزوره منذ ذاك العصر الى يومنا هذا . وهكذا حفظ العوام ما غاب عن الخاصة . ولا عجب بذلك لأن العامة خزائن تحوي الغث والثمين . كم من حقائق تاريخية واجتماعية ولغوية وعلمية تداولتها السنة العامة قروناً واجيالاً قبل ان يؤمن بها الباحثون وقبل ان يهتدوا الى صحة مصادرها . والعرب اسبق الأمم باعتماد الروايات والأخذ بها . حتى بالغوا في أهميتها وجعلوا الاسناد من أهم أسس تدوين علومهم الدينية والتاريخية .

وأما القول ان عبد الله بن علي العباسي قد نبش قبور بني أمية وأحرق عظامهم بالنار فهذه رواية لا يحسن قبولها الا بتحفظ كبير لأنها قابلة النقد والتفنيد . وان ذكرها من القدماء المقدمي[1] وياقوت الحموي[2] وابن الأثير[3] وابن العبري[4] وابو الفداء[5] وابن خلدون[6] وابن الماروني[7] وغيرهم[8] . وان جاز لنا التسليم بصحة هذا الحادث فذلك لا ينفي الحقيقة التي توصلنا اليها . لأن وقوع هذا الحادث لا يمكن ان يغيب عن الأذهان ذكرى قبر معاوية لا سيما في مدينة كدمشق اشتهرت في كل أدوارها بتشيعها لبني أمية ووفائها لعهدهم . والأجدر بهذا الحادث ان صح وقوعه ان يقوى في نفوس مستنكريه الحرص على عدم ضياع هذا القبر . لتبقى ذكراه

(١) مروج الذهب جلد ٢ ص ٢١٣ (٢) معجم البلدان [طبع ليبزغ] جلد ٢ ص ٢٩٣ .
(٣) تاريخ الكامل ج ٥ ص ١٦١ (٤) مختصر الدول ص ٢٠٧ (٥) المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٢١٢. (٦) كتاب العبر ج ٣ ص ١٣٣ (٧) تتمة المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٩٢ (٨) روضة الناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة المطبوع على هامش الجزء [١١] من تاريخ الكامل لابن الأثير ص ١٥٣ .

عالقة في أذهانهم ماثلة لأعينهم . فيتناقلوا خبره جيل بعد جيل الى ان سنحت لهم الفرصة فجددوا فيها قبر معاوية على النحو الذي وصفه لنا المسعودي عام ٣٣٢

ومما لا ريب فيه انه كان لبني أمية تربة خاصة بهم وهي التي درسها العباسيون وحرثت وزرعت بعد ذلك نحواً من مئة سنة كما ذكره ياقوت الحموي . وأعتقد ان مساحة هذه التربة كانت ضيقة جداً ولا تتجاوز مساحتها (١٠٠٠) متر مربع أي ما يساوي مساحة باحة المدرسة العادلية . وهذه المساحة واسعة بالنسبة لقلة عدد خلفاء بني أمية وعدد من دفن منهم فيها . والمعروف ان نصفهم اي سبعة منهم ماتوا ودفنوا بعيدين عن دمشق . ولو أضفنا الى ذلك ما اشتهر عنهم من قلة الذرية وقصر عهد ملكهم لأصبنا الحقيقة في استنتاجنا هذا . وقد بلغ عدد خلفاء بني أمية اربع عشرة خليفة وحكموا ثلاثاً وتسعين سنة فقط مع انه قد طال حكم الفاطميين مائتين وثمانية وستين سنة وعددهم يساوي عدد خلفاء بني أمية . ولذلك لا يمكن ان يغيب عن الأذهان في مثل هذه التربة الضيقة آثار قبر مشهور كقبر معاوية مهما تعمد اعدائه في محوي آثاره .

ان الذي حملني على هذا البحث هو استنكار الناس الحالة التي عليها اليوم قبر معاوية وإهمال أمره حتى أصبح حقيقة عرضة للضياع والاضمحلال . ولذلك ارجو من مجمعنا العلمي ان ارتاح لما توصلت اليه في بحثي هذا وسلم بصحة نسبة هذا القبر الى معاوية ان يعمل لصيانة هذا القبر ويدعو الأمة حكومةً وشعباً للمساهمة في تجديد قبر معاوية وتشييد ضريح يليق بمكانة هذا الرجل العظيم كاتب وحي رسول الله ومؤسس أعظم دولة عربية عرفها التاريخ .

وبعد تقديم هذا البحث الى الطبع . تفضل الاستاذ الشيخ راغب افندي الطباخ وأرشدني الى نص عثر عليه في تاريخ القرماني ص ٢٦٢ نقلاً عن نجوم الزاهرة وهو : « ان احمد بن طولون قدم دمشق في سنة ٢٧٠ وعمر على قبر معاوية بباب الصغير قبة عالية وعلق فيها قناديل وجعل فيها القراء » . وأما عبارة النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٤٧ فهي : « وفيها (أي سنة ٢٧٠) بنى احمد بن طولون على قبر معاوية بن أبي سفيان أربعة أروقة . ورتب عند القبر أناساً يقرؤن القرآن ويوقدون الشموع عند القبر » .

جعفر الحسني

دار الحديث السكرية

يهتم أنصار الامام تقي الدين احمد بن تيمية بالبحث عن المدرسة التي كان يقطنها ويدرس فيها بعد أبيه . واذا رجعنا الى كتب التاريخ والتراجم والطبقات لانجد ذكر هذه المدرسة يتردد إلا نادراً في حين أننا نجد لغيرها من دور الحديث والمدارس عشرات المرات من الذكر . وهذا يدلنا على خمول اسم هذه المدرسة وعدم وجود شأن لها وان سبب انتشار ذكرها – قليلاً – هو سكنى الامام تقي الدين احمد وأبيه عبد الحليم بن تيمية فيها ومع ذلك فالذين ورخوا مدارس دمشق كانت معلوماتهم ضئيلة عنها .

فالنعيمي في تنبيه الطالب والعلموي والبقاعي في مختصريهما للتنبيه يقولون انه كان بها خانقاه ، ويتفق النعيمي والعلموي على أن الذين درسوا فيها هم عبد الحليم بن تيمية ثم ابنه احمد شيخ الاسلام ، ثم الحافظ الذهبي ثم صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكي ويتفقون جميعاً على أنهم لم يطلعوا على ترجمة واقفها . ومعنى هذا أن تاريخ انشائها مجهول لديهم .

موقعها

يذهب بعض الباحثين في عصرنا الى أنها واقعة في سوق السكرية وانها هي المسجد المسمى اليوم بمسجد السادات الكائن في سوق مدحت باشا لأن قبليه يتصل بسوق السكرية أما سوق السكرية فهو السوق الذي فيه باب جامع السنانية الشمالي . وهذا الرأي لا يستند الى نص تاريخي وغاية ما فيه التشابه في التسمية في حين ان دار الحديث السكرية منسوبة لشرف الدين بن سكر أحد الأمراء ، وسوق السكرية عرف بذلك لاختصاص باعة السكر به منذ خمسين عاماً والفرق بين النسبتين ظاهر

موقعها الحقيقي

ان المدرسة الخيضرية (المشهورة في عصرنا بالخضيرية) تعين لنا موقع دار الحديث السكرية وموقع القصاعين تماماً . فالنعيمي والعلموي والبقاعي متفقون على ان دار

الحديث السكرية بالقصاعين وان المدرسة الخيضرية هي شمالي دار الحديث بالقصاعين أيضاً واذ لم يكن لنا بالقصاعين دار حديث غير السكرية تعين ان تكون هي المرادة وتعين ان تكون واقعة قبلي الخيضرية . واذا رجعنا الى تاريخ ابن عساكر نراه يشير الى انه كان في مكانها مسجد فهو حينما يعدد المساجد التي قبلي دمشق يقول : مسجد في درب القصاعين سفل عن يسار الداخل . ولو ذهب الانسان اليوم الى القصاعين (حارة الخضيرية) لوجد على يسار الداخل اليها مسجداً هو (الخيضيرية) واذا كانت (الخيضيرية) بنيت عام (٨٧٨) شمالي السكرية اتضح لنا ان السكرية هي مكان المسجد الذي أشار اليه ابن عساكر . ولدينا وثيقة أخرى تثبت ان السكرية قامت مكان مسجد قديم . فعند أحد أصدقائنا نسخة من مختصر تنبيه الطالب للملموي بخط الشيخ رمضان العطيفي المترجم في تاريخ المحبي كتب على هامشها ما يلي : ان السكرية جددت في أيام الظاهر بيبرس وقد وقفها زكي الدين احمد بن طلائع على الامير شرف الدين بن سكر ثم من بعده مسجداً ودار حديث ووقف عليها اوقافاً وافية على شيخ امام بها من أي المذاهب ، ومؤذن وستة نفر يستمعون الحديث على الشيخ وذلك في شهر جمادى الاولى سنة (٦٧٤) ومن الغريب ان يكتب هذا النص على هامش مختصر تنبيه الطالب ولا يطلع عليه النعيمي ولا من اختصر كتابه . ولم يشر الى هذا النص ابن كثير في تاريخه مع كثرة تتبعه لأمثال هذا البحث . والراجح ان هذا النص صحيح وان لم نعرف مصدره الأول . ومهما يكن فانه يرشدنا الى الزمن الذي تحول فيه المسجد الذي ذكره ابن عساكر الى دار حديث مادام هذا النص يقول عنها : انها جددت

ولدينا وثيقة ثالثة وهي رسالة خطية ضمن مجموع رقم (١٢٨) من مجاميع دار الكتب الظاهرية بدمشق واسمها (السكرية في السكرية) لمؤلف مجهول وخلاصة الرسالة هي : انه في سنة (٧٨٥) اي بعد تجديد بنائها أيام الملك الظاهر بـ [١١١] سنة كان المدرس فيها والناظر عليها الحافظ عبد الرحمن بن رجب

الحنبلي [1] فجاء شمس الدين محمد بن عبد الكريم التدمري من أكابر تجار دمشق وأعيانهم ومن محبي الشيخ تقي الدين بن تيمية الفقيه الحنبلي وكانت داره مجاورة لدار الحديث السكرية التي تداعى بعض بنائها والبعض الآخر كان بحالة رثة يستدعي الهدم والتجديد — وطلب من قاضي القضاة الحنبلي شمس الدين المشهور بابن التقي المقدسي [2] الكشف عن هذه المدرسة والاذن له بهدمها وتوسيعها وعمارتها من جديد فجاء اليها القاضي المذكور ومعه المعمارية المهندسون : المعلم محمد بن العطار معمار الجامع الاموي ، وابن الفارقي ، وابن الزلباني وشاهدوا اشراف بعض الاماكن على الانهدام، واحتياجه الى الفك فأمر القاضي بكتابة محضر بصورة الحال

والظاهر ان ابن التدمري بعد ان جدد بناء هذه المدرسة ووسعها اراد ان يصير ناظراً عليها، فمنعه من ذلك الناظر الأصلي وهو ابن رجب الحنبلي ولم يستطع ابن التدمري أخذ حكم من القضاة بنصب نفسه ناظراً عليها فالتجأ الى مؤلف هذه الرسالة — المجهول اسمه لدينا — فألفها له ليثبت ان الحق مع ابن التدمري . ويصف في هذه الرسالة عمارة المدرسة وهيأتها القديمة والحديثة بما لا يخرج عن محضر القاضي ، ويناقش مناقشات فقهية دقيقة . ويأتي بنصوص كثيرة مختلفة تتعلق بأحكام الوقف وأحكام هدم المساجد وعمارتها مما يدل على طول باع مؤلفها

. ونحن نثبت هنا المحضر الذي شهد به المهندسون وصدق عليه القاضي لما له من القيمة القضائية والتاريخية . فهو وثيقة تاريخية عن محاضر القضاة وأصولها في ذلك العصر يتضمن أشياء غير قليلة عن هيئة المدرسة قبل عمارتها . ويصفها وصفاً دقيقاً بعد العمارة كأن الانسان يشاهدها . ويتضمن أيضاً أشياء تاريخية مما يتعلق بدمشق وبعض اصطلاحات معمارية واسمائها في ذلك العصر وهذه صورة المحضر :

(١) لم يذكر النعيمي ولا متابعوه عن ابن رجب شيئاً في المدرسة السكرية وهذا مما فاتهم . وابن رجب من أشهر أعلام القرن الثامن ومؤلفيهم ومن أشهر مصنفاته طبقات الحنابلة التي ذيل بها على طبقات ابن ابي يعلى . ويذكر ابن العماد انه كان يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين توفي سنة (٧٩٥)

(٢) هو القاضي شمس الدين محمد بن تقي الدين عبدالله بن محمد بن محمود بن احمد بن عثمان المرداوي الحنبلي ناب في القضاء ثم استقل به وتوفي في رمضان سنة (٧٨٩)

وقف بالاذن العالي القضائي السامي من يضع شهادته أو يوضع عنه من المعمارية والمهندسين أولي الخبرة بالعمائر على جميع المدرسة بمحلة القصاعين بدمشق المعروفة قديماً بدار الحديث السكرية المشهورة بشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية التي حدها كذا[1] فوجدوا هذه المدرسة ضيقة حرجة على المصلين والمنتفعين بها من أهلها وغيرهم ووجدوا بابها مربعاً واطياً ينزل اليها منه في أربع درجات . وعتبته العليا نازلة واطية جداً لا يدخل الداخل منه الا مطأطئاً رأسه بحيث يحصل للداخل مشقة . ووجدوا ايوان هذه المدرسة القبلي صغيراً يضيق بالمصلين والمحراب لطيف جداً لا يسع الامام واذا تأخر الامام عنه ساوى المأمومين في الصف[2] . ووجدوا جدران هذه المدرسة من القبلة والشرق وسقوفها مشعثة محتاجة الى تجديد عمارة وفك واعادة ووجدوا أرض هذه المدرسة نازلة عن الطريق بمقدار ذراع ونصف بغير حاجة ولا ضرورة الى نزولها لأن ماءها عال عليها ، وفي هبوطها ونزولها ضرر عليها وعلى أهلها والمصلين بها وخصوصاً على جدرانها لنداوة الأرض ، ووجدوا هذه المدرسة لا طهارة لها يومئذ ينتفع بها أهلها ولا المصلون بها ، ووجدوا على ظهر هذه المدرسة حجرتين عتيقتين حراسس[3] مضمنين على المدرسة مضرتين بها محتاجتين الى فك وتجديد عمارة . والى جانب هذه المدرسة من الشرق قاعة مختصة بملك الفقير الى الله شمس الدين محمد بن التدمري وعلى هذه القاعة حجرة فاذا فك جميع عمار هذه المدرسة سفلاً وعلواً وأضيفت القاعة المختصة بابن التدمري الى هذه المدرسة توسعة لها وعمل ايوان هذه المدرسة شرقاً وغرباً سبعة اذرع ، وعرضاً : قبلة وشاما اربعة أذرع ونصف ، وعمل الحائط القبلي الى نهايته بحجارة صفر وبيت سيمي مثل وجه الحائط القبلي وفي كل واحد من جانبي هذا الايوان الشرقي والغربي بيت وجهه نسبة الحائط القبلي نضيف (نظيف) وفتح في كل بيت منها ضوايات الى الطريق . وعمل ظهر الحائط القبلي بحجارة بيض وعمل علو المحراب في الحائط القبلي قمريات

(١) هكذا في الأصل لم يذكر حدودها (٢) يؤخذ من هذه العبارة ان الايوان المذكور لا يتسع الا لصف واحد من المصلين (٣) مهملة في الأصل فيحتمل قراءتها خرابتين ويحتمل حرانيتين نسبة لحران اما لكونهما على طراز بناء حران أو نسبة الى الحرانيين الذين نزلوها : ابن تيمية وأبيه

ينجر منها الضوء إلى الايوان المذكور . وعمل تجاه هذا الايوان القبلي ايوان شامي يحاكيه في ارتفاعه وطوله شرقًا بغرب ، ويكون عرضه قبلة بشام ذراعين . وعمل في كل واحد من جانبيها الشرقي والغربي صِفَةٌ صُفّةٍ وعمل لكل واحد من الايوانين القبلي والشامي والصفتين الشرقية والغربية جبهات حجارة سود وحمر مجلية . ولكل واحد من الايوانين والصفتين قنطرة حجارة حمر وصفر وسود وأبيض بيت سيمي . وفك الرخام الذي بوسط هذه المدرسة وعمل مكانه بلاط احمر مجلي . وعملت البركة بحجارة حمر مجلية ودبشت أرض هذه المدرسة وارتفعت حتى تقارب أرض الطريق وتساوي الطريق اذا بلطت وتتساوى ارض المدرسة والطريق ويزول الاحتياج الى الدرج . ونقل باب المدرسة من مكانه الذي هو الآن في جهة الشام مكان باب المطلع الى ظهرها الموجود يومئذ وعمل مربعًا عاليًا متسعًا يدخل منه الى المدرسة بغير كلفة ولا حرج وعمل شباك غربي يطل الى الطريق من الصُفّة الغربية ارتفاعه ثلاثة أذرع وعرضه ذراع ونصف كل هذه الأذرع بالذراع القاسمي . وعمل لهذه المدرسة طهارة شرقية يتطرق اليها من باب فيما بين الايوان الشامي والصفة الشرقية مقابل باب المجاز يدخل منه في دهليز من وراء الصفة الشرقية يكون في هذه الطهارة بيتان ويجري الماء اليها من ماء القاعة المذكورة المختصة بملك شمس الدين ابن التدمري ، ومن فائض بركة المدرسة وعمل على ظهر هذه المدرسة بعد اضافة القاعة المذكورة اليها حجرتان احداهما كبرى شامية بمطبخ ومرتفق كاملة المنافع ، والأخرى قبلية بمنافع ومرافق ويبقى بقية ظهر المدرسة كشفًا من الجهات الأربع لانتفاع أهل المدرسة وتكثير الضوء من العراقية ، ووجدوا أيضًا لهذه المدرسة جناحين بارزين قبلةً وغربًا ببرمقتيات ومرسل بروز الجناح القبلي في شرقه ذراع واحد وفي غربه ذراع ونصف . ويروز الجناح الغربي البرمقتيات ذراع ونصف والمرسل ذراع ويشهدون مع ذلك ان الفقير الى الله شمس الدين بن التدمري اذا تبرع بالقاعة المذكورة المختصة بملكه وأضافها الى هذه المدرسة وعمل هذا العمل المذكور على الوجه المذكور والصفة المشروحة من ماله متبرعًا به ابتغاء وجه الله ومرضاته ورجاء لثوابه كان في ذلك حظ ومصلحة له وللمدرسة ولأهلها والمصلين

بها والمنتفعين بها وكان لشمس الدين ابن التدمري الأجر الجزيل هذه صورة ما وجدوا وذلك في شهر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة . وخط المعمارية :

وقفت على ذلك والأمر كما شرح له
كتبه محمد بن محمد العطار معمار الجامع الاموي
خط القاضي : شهد عندي بذلك

وقف على ذلك وشهد بمضمونه
المعلم احمد بن محمد بن عبد الرحمن
الزلباني وكتب عنه باذنه
خط القاضي : شهد عندي بذلك

وقفت على ذلك وشهدت بمضمونه
كتبه احمد بن عثمان الرقي معمار الجامع
خط القاضي : شهد عندي بذلك

صورة خط القاضي في الهامش توقيعاً للمسجل

أشهد بثبوت ما قامت به البينة فيه والاذن للخواجا شمس الدين المسمى فيه في عمل ذلك بعد التزامه بتكميل ذلك وعمله على الوجه المشروح فيه مع العلم بالخلاف . كاتب المحضر المذكور هو الشيخ تقي الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن الحنبلي امام المدرسة السلامية بدمشق وهو المسجل على القاضي ومقتضاه : اشهدني قاضي القضاة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ الامام تقي الدين عبد الله المقدسي الحنبلي الحاكم بدمشق انه ثبت عنده مضمون المحضر المذكور بشهادة المعمارية الذين اعلم على اسمائهم ثبوتاً شرعياً وانه اذن للخواجا شمس الدين محمد بن التدمري في عمل ذلك بعد التزامه بتكميل ذلك وعمله على الوجه المشروح مع علمه بالخلاف بين العلماء فيما فيه الخلاف من ذلك في صفر سنة خمس وثمانين وسبع مائة

هذا نص ما وجدناه في الكتاب الخطي المسمى بالسكرية في السكرية اثبتناه لما فيه من طرافة تاريخية فهو يمثل لنا دار الحديث السكرية خير تمثيل قبل تجديد بنائها وبعده ، ويحفظ لنا ألفاظاً عديدة كانت مستعملة في ذلك العصر كالقمرية والضوّاية والعراقية وبيت سمي للقربة الشهيرة ببسيما ودبش الأرض والبرمقيات ، ويصور لنا السكرية مدرسة ضيقة صغيرة قبل تجديدها وبعده ومن مجموع صفاتها نستطيع ان نقول انها تشبه من جهات عديدة دار القران الخيضرية خصوصاً مساحتها وايوانيها القبلي والشمالي ومدخلها . وبعد فلم يبق للسكرية أثر في عصرنا وأصبحت داراً من الدور وموقعها قبلي جامع الخضيرية قرب باب الجابية كما تقدم محمد احمد دهمان

مخطوطات ومطبوعات

الإمتاع والمؤانسة

تأليف أبي حيان التوحيدي صححه وضبطه وحققه الأستاذان احمد امين بك واحمد الزين

طبع في القاهرة سنة ١٩٤٤ في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

الجزء الثالث ص ٢٣٠ عدا الفهارس

صدر هذا الجزء وهو الأخير من كتاب الإمتاع والمؤانسة (راجع الكلام على الأول والثاني في م ١٦ ص ٣٦٣ وم ١٧ ص ٥٤٤ من هذه المجلة) وفي هذا الجزء كطريديه كل ممتع من أحاديث ابي حيان مع الوزير ابن العارض في الاربعين ليلة التي سامره بها . ومن أهم ما في هذا الجزء ما نقله المسامر من وصف أحد البلغاء للتجار وقوله لا يوجد الأدب الا عند الخاصة والسلطان ومدبريه وأما اصحاب الأسواق فانا لا نعدم من أحدهم خلقاً ذميماً الى آخر ما قال فيهم [ص ٦١] وقول الوزير له : ان كان هذا الواصف عنى العامة بهذا القول فقد دخل في وصفه الخاصة أيضاً فوالله ما اسمع ولا أرى هذه الاخلاق الا شائعة في أصناف الناس من الجند والكتاب والتناء [الأعيان] والصالحين وأهل العلم لقد حال الزمان الى أمر لا يأتي عليه النعت ولا تستوعبه الأخبار وما عجبي الا من الزيادة على مر الساعات .

ومن أجمل ما فيه قول الوزير [ص٨٥] «انه ضاق صدره بالغيظ» لما يبلغه عن العامة من خوضها في حديث الأمراء وسيرتهم وتتبع أسرارهم وانه همّ في الوقت بعد الوقت بقطع السنةٍ وأيدٍ وأرجلٍ وتنكيلٍ شديدٍ لعلّ ذلك يطرح الهيبة ويحسم المادة ويقطع هذه العادة . وقول أبي حيان ان عنده جوابين فيهما بعض الغلظة وقال ان الحق مر ومن توخى الحق احتمل مرارته فأراده الوزير على ايرادهما وقال : ليس يُنتفع بالدواء الا بالصبر على بشاعته وصدود الطبع عن كراهته فكان الجواب الأول مقتبساً من كلام شيخه ابي سليمان المنطقي وفيه تحليل سر خوض الناس في أمور الحكام وخلاصة الجواب الثاني ما رواه جماعة من الصوفية قصدوا الى جماعة

من الزهاد في أيام الفتنة بخراسان وسؤال هؤلاء لأول ساعة عن الأخبار وما كان من الفتنة واستغرابهم ان يهتم أمثالهم لمثل هذه الأمور الدنيوية ، وكشف ابي الحسن العامري الفيلسوف لهم سرّ ذلك لما سألوه حلّ هذا الاشكال وكل ذلك ببيان عجيب يفهم منه روح ذاك العصر .

ومما حمله هذا الجزء فصل ممتع في الإرادة والاختيار والنفس تتشربه النفوس مها كانت بعيدة عن معاناته لأنه كتب بذوق متناه . وسأل الوزير ليلة : من أين دخلت الآفة على أصحاب المذاهب حتى افترقوا هذا الافتراق وتباينوا هذا التباين وخرجوا الى التكفير والتفسيق واباحة الدم والمال ورد الشهادة واطلاق اللسان بالجرح والقذع والتهاجر والتقاطع . فكان الجواب : ان المذاهب فروع الأديان والأديان أصول المذاهب فاذا ساغ الاختلاف في الاديان وهي الأصول فلم لا يسوغ في المذاهب وهي الفروع . فقال : ولاسواء الأديان اختلفت بالأنبياء وهم أرباب الصدق والوحي الموثوق به و الآيات الدالة على الصدق وليس كذلك المذاهب . فقيل : هـذا صحيح ولا دافع له ولكن لما كانت المذاهب نتائج الآراء والآراء ثمرات العقول والعقول منائح الله للعباد وهذه مختلفة بالصفاء والكدر والكمال والنقص وبالقلة والكثرة وبالخفاء والوضوح وجب أن يجري الأمر فيها على مناهج الأديان في الاختلاف والافتراق وان كانت منوطة بالنبوة . وبعد فما دام الناس على فطر كثيرة ، وعادات حسنة وقبيحة ، ومناشئ محمودة ومذمومة ، وملاحظات قريبة وبعيدة ، فلا بد من الاختلاف في كل ما يُختار ويجتنب ولا يجوز في الحكمة ان يقع الاختلاف فيما جرى مجرى المذاهب والأديان ، الا ترى ان الاتفاق لم يحصل في تفضيل أمة على أمة ولا في تفضيل بلد على بلد ولا في تقديم رجل على رجل ، ولو لم يكن في هذا الأمر الا التعصب واللجاج والهوى والمحك والذهاب مع السابق الى النفس والموافق للمزاج والخفيف على الطباع والمالك للقلب لكان كافياً بالغاً بالانسان كل مبلغ . وشيخنا ابو سليمان يقول كثيراً ان الدين موضوع على القبول والتسليم والمبالغة في التعظيم وليس فيه « لم » و « لا » و « كيف » الا بقدر ما يؤكد أصله ويشد ازره وينفي عارض السوء عنه لأن ما زاد على هذا يوهن الأصل بالشك

ويقدح في الفرع بالتهمة . قال وهذا لا يخص دينًا دون دين ولا مقالة دون مقالة ولا نحلة دون نحلة بل هو سار في كل شيء في كل حال في كل زمان وكل من حاول رفع هذا فقد حاول رفع الفطرة ونفى الطباع وقلب الأصل وعكس الأمر وهذا غير مستطاع ولا ممكن .

ومما كتب به التوحيدي الى الوزير وهو ما يستدل منه انه كان سفير خير قوله يجب على كل من آتاه الله رأيًا ثاقبًا ونصحًا حاضرًا وتنبيهًا نافعًا ان يخدمك متحريًا لرسوخ دعائم المملكة بسياستك وريادتك قاضيًا بذلك حق الله عليه في تقويتك وحياطتك . واني أرى على بابك جماعة ليست بالكثيرة — ولعلها دون العشرة — يؤثرون لقاءك والوصول اليك لما تجن صدورهم من النصائح النافعة والبلاغات المجدية والدلالات المفيدة ويرون انهم اذا أهلوا لذلك فقد قضوا حقك وأدوا ما وجب عليهم من حرمتك وبلغوا بذلك مرادهم من تفضلك واصطناعك وتقديمك وتكريمك والحجاب قد حال بينهم وبينك ولكل منهم وسيلة شافعة وخدمة للخيرات جامعة منهم — وهو أهل الوفاء — ذوو كفاية وأمانة ونباهة ولباقة ومنهم من يصلح للعمل الجليل ولرتق الفتق العظيم ، ومنهم من يمتع اذا نادم ويشكر اذا اصطنع ويبذل المجهود اذا رفع ومنهم من ينظم الدر اذا مدح ويضحك الثغر اذا مزح ومنهم من قعد به الدهر لسنه العالية وجلابيبه البالية فهو موضع الاجر المذخور وناطق بالشكر المنظوم والمنثور ومنهم طائفة أخرى قد عكفوا في بيوتهم على ما يعنيهم من أحوال أنفسهم في تزجية عيشهم وعمارة آخرتهم وهم مع ذلك من وراء خصاصة مرة ومؤن غليظة وحاجات متوالية ولهم العلم والحكمة والبيان والتجربة ولو وثقوا بأنهم اذا عرضوا انفسهم عليك وجهزوا ما معهم من الأدب والفضل اليك حظوا منك واعتزوا بك لحضروا بابك وجشموا المشقة اليك لكن اليأس قد غلب عليهم وضعفت منتهم وعكس أملهم ورأوا ان سف التراب أخف من الوقوف على الأبواب اذا دنوا منها دفعوا عنها فلو لحظت هؤلاء كلهم بفضلك وادنيتهم بسعة ذرعك وكرم خيمك وأصغيت الى مقالتهم بسمعك وقابلتهم بملء عينك كان في ذلك بقاء للنعمة عليك

وصيت فاش بذكرك وثواب مؤجل في صحيفتك وثناء معجل عند قريبك وبعيدك والأيام معروفة بالتقلب والليالي ماخضة بما يتعجب منه ذو اللب والمجدود من جد في جده اعني من كان جده في الدنيا موصولاً بحظه من الآخرة ولأن يوكل العاقل بالاعتبار بغيره خير من أن يوكل غيره بالاعتبار به . أيها الوزير اصطناع الرجال صناعة قائمة برأسها قل من بني يربطها أو يتأتى لها او يعرف حلاوتها وهي غير الكتابة التي تتعلق بالبلاغة والحساب .

وفي هذا الجزء كثير من درر الأقدمين خليقة بأن يتنافس في اقتنائها وينظر فيها الدارسون نظر تأمل وتفكير ونكرر ثناء للأستاذين الناشرين ولجنة التأليف والترجمة والنشر التي أخرجت الكتاب في هذا الوقت الصعب على أحسن ما يجب نشره للناس ورجاؤنا ان توفق الى نشر أمثاله خدمة للآداب وإحياء لآثار أجدادنا

محمد كرد علي

ابن الرومي : حياته من شعره

عباس محمود العقاد

لم يقص الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه : ابن الرومي ، قصة هذا الشاعر ولا سرد أخباره على نحو ما تقص القصص وتسرد الأخبار عادة ، مجردة من عناصر الحياة ، وانما صوّر الأستاذ العقاد شاعره ابن الرومي تصويراً ، والصورة اذا لم تكن ناطقة كانت غير بارعة ، ولكن الأستاذ العقاد جمع لصورته عناصرها كلها ، فلم يفته شيء من خطوطها وألوانها ، ولا من ظواهرها وبواطنها حتى أصبحت صورته كأنها جسم حي وكأنها روح ناطقة .

شرع الأستاذ في وصف عصر ابن الرومي ، فوصفه وصفاً أقل ما يقال فيه ان القارئ يحس بأنه من أهل ذلك العصر يشهد آثار الغضب والفتك والدسائس في الدولة ، ويلمس آثار الترف واللهو في المجتمع ، وعلى الجملة فإن العصر الذي عاش فيه ابن الرومي انما هو عصر سلب وغيلة واغتنام فرص وانتهاب لذات وشك وتشعب ، ولكن من محاسن ذلك العصر صلاحه لعبقرية شاعر مثل ابن الرومي لأنه عصر حي حافل بأشتات الحياة وألوان الاحساس .

ولم يقتصر الأستاذ العقاد على مجرد وصف العصر الذي عاش فيه ابن الرومي وانما وضح الصلة بين الشاعر وبين عصره فلم يكن ابن الرومي غريباً عما كان يجري في عصره من سفك دم أو من ذوق لذة وغير ذلك وانما كان شعره في بعض المواطن مرآة ثورة أو لذة .

وعلى هذا النحو من التوضيح والتفصيل سار الأستاذ العقاد في اتمام صورة ابن الرومي ، فما كان يخرج من فصل عصره حتى يدخل في فصل أخباره وما كان يخرج من فصل أخباره حتى يدخل في فصل حياته وكل همه في هذه الفصول ان تكون صورة ابن الرومي كاملة غير مشوهة ، ناطقة غير جامدة ، مشرقة غير كامدة واذا أعوزه شيء من الخطوط والألوان استعان بشعر ابن الرومي نفسه فاستخرج منه ما يعينه على استكمال الصورة حتى لا تحتاج الى شيء من الوضوح والإشراق بحيث انك لا تقرأ كتاب : ابن الرومي ، الا وجدت فيه وحدة تامة بين شعره وحياته ، وهذا ما حرص عليه الأستاذ العقاد في كتابه كله ، لقد حرص على بيان الطبيعة الفنية في ابن الرومي ، وهي التي تجعل من الشاعر جزءاً من حياته ، فابن الرومي وفنه كانا شيئاً واحداً ، كان ابن الرومي شاعراً ولو لم يكن شاعراً لما استطاع ان يكون مثلاً فيلسوفاً أو وزيراً أو غير ذلك .

ولم يكن اهتمام الأستاذ العقاد بالفصول التي تصور عبقرية ابن الرومي أو فلسفته أو صناعته أقل من اهتمامه بالفصول التي تصور حياته المادية ، لقد كانت صورة ابن الرومي كاملة من الناحيتين : من ناحية الحياة المادية ومن ناحية الحياة الفنية ، لم يهمل الأستاذ العقاد شيئاً مما يوضح عبادة ابن الرومي للحياة أو حياته مع الطبيعة أو التقاطه للصور والأشكال او تشخيصه للمعاني او تقديمه الجمال على الخير او نظرته الى الدنيا نظرته الى المعرض المنصوب للتملي والمتعة الى غير ذلك من خصائص عبقرية ابن الرومي وهي خصائص العبقرية اليونانية على وجه عام .

وهكذا كانت براعة الأستاذ العقاد في وصف فلسفة ابن الرومي وصناعته .

وأظن ان كتاب : ابن الرومي انما هو عنوان قدرة الأستاذ العقاد ، ولا أرى بي حاجة الى زيادة في القول .

شفيق جبري

سعد زغلول

عباس محمود العقـاد

من محاسن حظ الأستاذ عباس محمود العقاد ان يكون موضوع كتابه رجلاً مثل سعد زغلول ، ومن محاسن حظ سعد زغلول ان يكون الخلد لذكراه كاتباً مثل الأستاذ العقاد ، لقد كانت حيـاة سعد وقدرة الأستاذ العقاد متلازمتين ، اذ ليس من الأمر اليسير الكلام على الزعامات السياسية في بلاد مثل بلادنا حيث نجد للزعامات مقاييس غريبة لا نجد أشباهها في البلاد التي تعرف معنى الزعامات وتعرف ما تقتضيه هذه ، الزعامات من الصفات العقلية فضلاً عن الصفات الخلقية .

لقد تقرن في الشرق الزعامات السياسية بالذي نسميه : الوطنية ، ولكن الوطنية في الشرق لها معنى خاص بالنظر الى وضعه السياسي ، فالوطنية في الشرق تعظم أو تصغر على قدر بعد صاحبها عن الأجنبي أو قربه منه ، وعلى قدر التحريض عليه أو الترغيب فيه ، غير ان السياسة تتغير في كل فرصة ، فقد يكون المحرّض وطنياً ثم يصير تحريضه على الأجنبي الى الترغيب فيه فيظل وطنياً ، أما الوطنية بمعناهـا المألوف في بلاد العالم وأريد بها الحنو على بقاع الوطن والتغني بمحاسن هذه البقاع فهذا شيء لم نألفه بعد .

من أجل هذا كله أرى الكلام على الزعامات السياسية دقيق المذهب ، لأن السياسة زائلة أو متحولة ، فهي لا تثبت على وجه واحد ففي كل يوم لها وجه خاص وتخليد صاحبها في كتاب أمر غير هين ، فقد يكون الزعيم السياسي في يوم من الأيام وطنياً من الطراز الأول ثم يأتي يوم آخر يجردونه فيه اما من وطنيته كلها واما من بعضها ، لقد كان كليمنصو في الحرب الماضية رجل فرنسة ومنقذها ، ولما انقضت الحرب لم تعرف فرنسة له قدره .

أما سعد زغلول فلم تقتصر عظمته على صفاته السياسية أو الوطنية وحدهـا ، وانما كانت هذه العظمة مقرونة بخصائص خلقية وعقلية ثابتة تجعل من صاحبها رجلاً عظيماً لا تزول عظمته بزوال الأحوال السياسية التي لازمتها ، الا ان الحكمة كل

الحكمة في الاهتداء الى هذه الخصائص واستخراج أسرارها من مكامنها والوصول الى كل ناحية من نواحيها ، ولقد تيسر للأستاذ العقاد ان يخالط سعداً وان يتصفح أخلاقه ويدقق في نتائج فكره وحسه وشعوره ويسمع أحاديثه في مجالسه ويبلغ الى مواطن القوة فيه سواء أكانت هذه القوة في خلقه أم في عقله أم في منطقه ، ولقد دوّن هذا كله بعد شيء من الشرح والتعليل ، وفي شيء من الكلام السهل ، فإذا كان كتابه عظيماً فهذه العظمة ناشئة عن سرين ، لقد أوحى سعد الى الأستاذ العقاد معاني جليلة من شخصيته فعرف الأستاذ العقاد كيف يبسطها وكيف يوضحها حتى يكون الكتاب المشتمل عليها كتاباً مذكوراً في عالم الأدب

ش . ج

تذكار جيتي

عباس محمود العقــاد

إذا رأى بعض الأدباء غموضاً أو تعقيداً في طائفة من كتابات الاستاذ العقاد فإنهم لا يرون في كتابه : تذكار جيتي الا سهولة في التعبير ووضوحاً في الفكر وقوة في التركيب ، فقد ظهر الأستاذ العقاد في كتابه هذا في حقيقة مظهره ، بعد عن الآفاق الفلسفية او الاجتماعية التي قد يصعب تصويرها في بعض الأحيان دون ان تظهر على هذا التصوير آثار الغموض والتعقيد ، وذلك اما لأن مزاج المصور غريب عن المزاج الفلسفي المعقد واما لأن هذا المصور لم يهضم المعاني الفلسفية او الاجتماعية الحديثة ، فقد أوتي الأستاذ العقاد في كتابه : تذكار جيتي نصيباً غير قليل من صفاء الذهن وصفاء الأسلوب معاً .

واذا لم يتيسر التبسط في الكلام على محتويات هذا الكتاب في مثل هذا المقام ، فقد تتيسر الاشارة الى هذه المحتويات ، فقد تكلم الأستاذ على « جيتي » من حيث

جمعه لثورات المانية كلها فقد كان « جيتي » سليل الكنيسة الثائرة على الطبيعة ، والقلعة الثائرة على الكنيسة ، والمدينة الثائرة على القلعة ، والفرد الثائر على المدنية ، ثم حلل النفس الألمانية تحليلاً مختصراً فقد اجتمعت في هذه النفس عناصر شتى : التدين والفلسفة والسحر والموسيقى والأناشيد والأحلام ، ثم أتى على تأريخ الحركة الفنية في المانية ، ثم تكلم على المؤثرات الغربية في « جيتي » ولم يقتصر على تأثير الغرب وحده فأشار الى تأثير الشرق في « جيتي » فقد اتصلت به عناصر شرقية وأثرت فيه بعض التأثير ، فللعربية بعض الفضل في تثقيفه وتغذية خياله لأن آداب العرب وصلت الى الألمان قبل « جيتي » عن طريقين : عن طريق الترجمة من العربية الى الألمانية وعن طريق الآثار التي ترجمت عن الانجليزية والاسبانية والفرنسية وكانت فيها مسحة واضحة من الآداب العربية ، وديوان « جيتي » ، واسمه : الديوان الشرقي أكبر دليل على عمل الأدب العربي فيه فقد نسج فيه على منوال الشرقيين والعرب في الغزل والوصف والحنين .

وبعد ان فرغ الأستاذ العقاد من هذه المباحث وصف حياة « جيتي » فقد عاش « جيتي » حياته كلها في ربيع ناضر من نسج الفن والطبيعة على السواء ، وأفاض في حياته في مباحث شتى : في الشعر والشريعة والسحر والتصوير والموسيقى والطب والمعادن والنبات .

وليت المجال يتسع لتلخيص ما ذكره الأستاذ العقاد من آثار المرأة في حياة « جيتي » أو ما وصفه من مؤلفاته مثل : « آلام فرتر » أو « فوست » أو « ويلهلم ميستر » أو الديوان الشرقي أو غيرها أو ما صوره من عبقريته وشخصيته وعقيدته وآرائه وتقديره .

وقد ختم الاستاذ العقاد رسالته بانتخاب طائفة من كلام « جيتي » .

فكتاب : تذكار جيتي في مقدمة كتب الأستاذ العقاد التي تكشف لنا عن حقيقة أسلوبه .

ش . ج

الحكم المطلق في القرن العشرين

عباس محمود العقاد

حدثنا الأستاذ عباس محمود العقاد في رسالته : الحكم المطلق في القرن العشرين ، بنعمة الديمقراطية وتمثيل الشعب ، فقد دافع عن الديمقراطية وحذّر المستبدين من عزل الشعوب عن الحكم وحذّر الكتاب المسرفين في نقد الديمقراطية من عواقب نقدهم لأنه اذا بطل الايمان بها فلن يخلفها نظام أصلح منها ، وقد نجد الأستاذ في خلال كلامه على زعامة مصطفى كمال يدعو الى الزعات ولكنه يدعو الى الزعامات التي تنهض بالأمم فوق ضعف الحرص وفوق ضعف الشهوات الباطلة والعروض الزائلة .

كل هذا لا اعتراض عليه فقد كان دفاع الأستاذ العقاد عن الديمقراطية دفاع المؤمن بها ، فهي لم تفشل في نظره وهي ستكون أساساً للحكم في المستقبل تبنى عليه قواعد الحكومات واذا قيل ان الجماهير يخدعها الزعماء وتؤخذ بالمظاهر وتستمال الى العقائد التي تبث فيها بالايحاء والتكرار فهذه الأطوار لم تكن ملغاة في العصور الماضية ولا كان شأنها ضعيفاً في تصريف الأمم وقيادة الحكومات .

الا اني أرى ان مماثلة عيوب الحكومات الشعبية في الحاضر لعيوب الحكومات المستبدة في الماضي لا تنفي نقائص الحكومات الشعبية فإذا كانت الحكومات المستبدة فاسدة في الماضي فلا عذر للحكومات الشعبية في ان تكون فاسدة في الحاضر ، لا شك في ان النظام الديمقراطي أرفع ما وصل اليه عقل البشر من أشكال الحكم ولكن هل نتعمق قليلاً في الكشف عما يؤدي اليه هذا النظام في بعض الأمم ، أفلا نجد ان الحياة النيابية فيه تحرم في كثير من الأحيان البلاد التي يستفيض فيها عبقرية غير قليل من العلماء والفلاسفة والأدباء ومن هم من هذه الطبقات المستنيرة فلا يشتركون في حكم الأمة ولا يرجع الى رأيهم في سياستها وذلك لأنهم بعيدون عن الميادين الانتخابية فلا يخوضون مسالكها الوعرة اما من باب الحرص على كراماتهم لأنهم يترفعون عن هذه الأحقاد الحزبية التي تتأجج نيرانها في أثناء الانتخاب واما من باب النفرة من المظاهر الخداعة فإن علمهم المبني على الحقيقة وحدها

قد نزّههم عن استعمال الأساليب المبنية على شيء آخر غير الحقيقة مما يستعمل في غضون الانتخابات فان الجوء الى الفاظ أصبحت مشهورة في الحياة النيابية يلجأ اليها أصحابها في الميادين الانتخابية للظفر بنياباتهم ثم تنقضي معارك الانتخاب واذا بهذه الألفاظ تتلاشى ولا حقيقة من ورائها ، أقول ان اللجوء اليها مما يترفع عنه العلماء والفلاسفة والأدباء فلا يرفع لهم صوت في المجالس النيابية ولا يكون لآرائهم السديدة تأثير ، فاذا كانت للحياة النيابية في النظام الديمقراطي نقائص فهذه أمور من جملة نقائصه .

ثم اذا قابلنا بين الحكومات المستبدة وبين الحكومات الشعبية وجدنا ان الروح فيها واحدة ، ففي الحكومات المستبدة يتسلط فرد من أفراد الأمة على ضمائرها وعقائدها وغير ذلك فيصرّفها كيف شاء وفي الحكومات الشعبية يتسلط حزب من الأحزاب على الأمة تسلط الفرد فيصرّفها كيف شاء وكثيراً ما نجد في مجلس نيابي خمسمائة أو ستمائة نائب ولكن الذين يقودون هؤلاء النواب أربعة أو خمسة ولما كانت القضايا في المجالس النيابية لا تحل الا بأكثر الأصوات فلا يصعب على خمسة نواب ان يجروا المجلس كله الى مشيئتهم وإرادتهم بالبلاغة أو بتأثير آخر ، فأين يصبح حق الشعب ، وأين يصبح حق تمثيله ، فإذا بحثنا عن الديمقراطية فمن الواجب علينا أن نشير الى هذه النقائص فيها ، فلم يكن حكم الفرد فاسداً بطبيعته ففي تاريخنا عصور كان الخليفة فيها مرجع كل شيء في الدولة وكانت هذه العصور أنضر ما عرفه التأريخ في العدل والإنصاف ، وكذلك نعرف عصوراً قد تكون حديثة نجد الشعب فيها مصدر الحكم في الدولة ثم نجد في هذا الحكم من سوء التصرف والسياسة والإدارة والخروج على القوانين والأحقاد وغير ذلك مما لا نجده في عصور حكم الفرد فالحكومات المستبدة لم تكن فاسدة بطبيعتها وانما نشأ فسادها عن فساد الذين كانوا مصدر الحكم فيها ، ولا ينبغي ان يستنبط من هذا القول تفضيل الحكومات المستبدة على الحكومات الشعبية التي أصبحت أفضل شكل من أشكال الحكم في هذا العصر ، وانما الذي أريد ان أقوله انما هو الإشارة الى نقائص الحكومات الشعبية فاذا ذهبت هذه النقائص وأشباهها كانت الحكومات الشعبية الغاية المثلى في الحكم .

ش . ج

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثالث عشر

ص ٣ س ٣ قوله : [ولفوهت بأخبار من نبغ من أهلها] أي أهل كل دولة من دول التاريخ ، ومعنى [تفوهت] نطقت . ولا يقال في مثل هذا المقام [نطقت] وإنما يقال [نوّهت] ففي كتب اللغة : نوّه فلان بفلان إذا رفع ذكره ومدحه وعظمه . وهذا هو المراد هنا . فإن المؤلف يمدح النابغين من كل دولة ويشيد بذكرهم .

ص ٣ س ٩ قوله : [ولم أعرج في الآخر إلا بالإشارة إليها] فعل التعريج يتعدى بعلى لا بالباء . ففي التاج [التعريج على الشيء الإقامة عليه ، وفي الحديث : فلم أعرج أي لم أقم ولم أحتبس] فالمعنى في عبارة المؤلف إنني لم أحبس قلبي على شيء إلا على الاشارة اليها ، ولم نجدهم ذكروا ان فعل التعريج يتعدى بالباء ، ولعل تعديتها بها هنا من ذهول المؤلف لا من خطأ الناسخ

ص ١١ س ٢١ قوله : [ففتحها] صوابه [ففتحهما] إذ أن الضمير يرجع إلى العينين ، وهو خطأ مطبعي

ص ٢٥ س ١٤ : لما أخذ الله الميثاق على ذرية آدم وهم في ظهره كان أول من أجاب وخرج سيدنا محمد ﷺ قال المؤلف : [ونادى الى ذات اليمين وهو يقول : أنا أول من يشهد لك بالتوحيد الخ] فقوله [ونادى الى ذات اليمين] صوابه : [وأوى الى ذات اليمين] أي مال ولجأ إلى الجهة اليمنى فتبوأها صلى الله عليه وسلم ونزل بها ، ومنه قوله تعالى: [إذ أوى الفتية الى الكهف] [أرأيت إذ أوينا الى الصخرة] وفي انحيازه صلى الله عليه وسلم الى جهة اليمين إشارة الى أنه من أهل الميمنة السعداء لا من أهل المشأمة الأشقياء

ص ٢٩ س ١٤ لما أخرج آدم وحواء من الجنة اضطرا الى قضاء الحاجة فبكيا [ثم أمرهما الملك ان يمسحا بالمدر ، ثم يغتسلا بالماء] يعني انه علمهما آداب الاستنجاء في الإسلام ، كما علمهما الوضوء فتوضآ وضوء الإسلام . وآداب الاستنجاء كما قال الفقهاء هي الجمع بين المسح والغسل بالماء . فقوله [ثم يغتسلا بالماء] صوابه [ثم يغسلا] أي محل النجو بالماء بعد ان يكونا مسحاه بالمدر أي التراب

ص ٦١ س ١ قوله : [وان شئت بقاء سبع نوايات من تمر] يسأل الملك لقمان إذا كان يريد ان يبقى في الحياة الدنيا بقاء سبع نويات تمر . والنويات جمع نواة فقوله [نوايات] بألف بعد الواو خطأ والصواب حذف الألف

ص ٦٧ س ١١ قوله : [فقال فتى منهم حدث السن] خطأ صوابه [حديث السن] وعبارة المصباح [يقال للفتى حديث السن فإن حذفت السن قلت حدث بفتحتين] أي من دون إضافة حدث الى السن

ص ٩١ س ٦ : وأمر الله الرياح الأربع [فضمت ما كان لأهل الرس من متاع الخ] هذا حين أراد الله إهلاكهم بسبب عصيانهم . وفعل الريح في كسح ما كان على وجه الأرض من متاع وفتات يسمى كنساً وقماً لا ضماً ، فصواب [فضمت] : [فقمت] ، يقال : قم البيت قماً كنسه . والقمامة : الكناسة

ص ٩٣ س ٢ : كان أهل الرس يعبدون شجرة صنوبر يقال لها [ساب درحب] وقوله [درحب] كتبت بحاء مهملة وباء موحدة . وصوابه [درخت] بخاء معجمة وتاء مثناة في الآخر ، وهي كلمة فارسية معناها الشجر ، ومنه الشجر المسمى [ازدرخت] ، وأصله بالفارسية [آزاد درخت] ويحرفه عوام الشام الى [زنزلخت] و [زلزلخت] واسمه بالعربية [قيقب] و [قيقبان] ومما يحسن ذكره ان شجرة الصنوبر التي يعبدها أهل الرس ويسمونها [ساب درخت] كلمة [ساب] فيها تذكرنا بكلمة sapin الفرنسية التي معناها شجرة الصنوبر . فهل هذه من تلك يا ترى ؟

ص ٩٣ س ٢ :] كان يافث غرس شجرة الصنوبر المذكورة على شفير عين يقال لها [دوسات] . وكلمة [دوسات] كتبت بسين مهملة وتاء مثناة في الآخر . وصوابها [دوشاب] بشين معجمة وباء موحدة . قال الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل » . [الدوشاب نبيذ التمر معرب] . وذكرت كلمة الدوشاب في شعر لابن المعتز ، وكذا في شعر لابن الرومي ، وفسرها شارح ديوانه بالنبيذ الأسود . وقال السمعاني الدوشاب هو الدبس بالعربية . اهـ قول الخفاجي : وسألت إيرانياً من سكان دمشق عن [الدوشاب] في لغتهم ، فقال هو الشيرا . ولا يخفى ان [الشيرا] لفظة تركية معناها عصير العنب

الذي اعتصر حديثاً فأصبح حامضاً ولم يصل إلى درجة الإسكار ، وهو المسمى بالعربية [مسطار] بضم الميم أو كسرها . وقد اختلفوا في أصل مسطار حتى قال بعضهم إنها رومية تلقفها أهل الشام من سكان سوريا الأصليين . والحاصل ان [الدوشاب] شراب يتخذ من عصير العنب سميت به عين الماء التي غرس يافث عليها شجرة الصنوبر المسماة [ساب درخت] .

ص ٩٦ س ١٩ : [وهو الذي أنشأ كوثا ربا من أرض العراق] . قوله [كوثا] كذا بالألف ، وصوابه [كوثى] بالياء المقصورة لأن [كوثى ربا] ليس كلمة واحدة بل هما كلمتان : [كوثى] مضافة الى [ربا] قال صاحب كتاب « مراصد الاطلاع في اسماء الأمكنة والبقاع » : (وكوثى بالعراق في موضعين [كوثى الطريق] و [كوثى ربا] وبها مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، وهما قريتان الخ . وقد كتبت [كوثى] بالياء المقصورة في آخرها . وفي القاموس وشرحه [وكوثى] بلدة بالعراق وتسمى [كوثى الطريق] و [كوثا ربا] من ناحية بابل بأرض العراق أيضاً وفيها ولد الخليل وطرح في النار) اهـ . وقد كتبت [كوثى] بالياء المقصورة كما ذكرت . فالواجب تصحيحها في هذه الصفحة وص ٩٨ و ص ١١١ وكل صفحة سواها

ص ١٠٥ س ١٨ : [وبينما ابراهيم قاعداً] كذا بالنصب وصوابه [قاعد] بالرفع على الخبرية كما ورد مرفوعاً في أول ص ١٦٩ إذ قال ثمة : [فبينما هو مشتغلٌ بالذكر]

ص ١٠٨ س ١٠ : [وأدخل – أي ابراهيم الخليل – المضيق تحت الأرض] صوابه : [المطبق] . قال في مستدرك التاج : [المطبق كمحسن سجن تحت الأرض] ويؤيد هذا ما جاء في الصفحة نفسها س ١٥ : [وكان ابراهيم يسلّي أهل السجن]

ص ١١٢ س ١ : [فأمر بالتنور فأسجر فطُرح ابراهيم فيه] قوله : [فأسجر] مصدره الإسجار . ولم أعثر عليه في كتب اللغة وإنما هو ثلاثي سجره سجراً ، ومن التفعيل سجّره تسجيراً . ولا دخل للناسخ في هذا الخطأ بل السهو فيه من المؤلف في غالب الظن

ص ١١٥ في السطر الرابع وسطور أخرى تلته ورد اسم [سارّة] زوجة ابراهيم الخليل مشدّد الراء ، ولعل الصواب تخفيفها ، لأنها كلمة عبرانية معناها [أميرة] كما

في قاموس الكتاب المقدس . وقد نبهت دائرة المعارف البستانية الى تخفيف راء [سارة] مذ كتبتها بالحروف اللاتينية هكذا (Sarah) (Sara) وتخفيفها هو الشائع على الألسنة في بلاد المشرق حتى ان معاجم اللغة العربية لم تشر في مادة [سرور] الى أن [سارة] زوجة الخليل مشددة الراء حتى يكون عربيًا بل سكتت عن ذلك . ولعل في سكوتها ما يشعر بأن اسم [سارة] ليس من مادة السرور العربية . وعندي ان هذا هو الصواب إذ لا يعقل ان [ماحور] العبراني والد سارة يسميها باسم عربي في معناه عربي في اشتقاقه ، اللهم إلا اذا ادعى مدع بأن اسم [سارة] المخفف نقله العرب الى لغتهم ثم عربوه وأفرغوه في قوالبها فشددوا راءه . وروى صاحب القاموس عن اللحياني [امرأة سرّة وسارّة تسرّك] وسمعت فتى يذكر أختًا له فسماها [سارّة] وشدد الراء فقلت : ولماذا شددت الراء والناس يلفظونها مخففة قال : إن جدي هو الذي سماها وأوصى ألا يلفظ اسمها إلا مشددًا قلت : لا كلام إذن وكأن جدك يعتقد ان اسم [سارة] عربي مادةً واشتقاقًا . أما إذا كنا نتحدث عن السيدة [سارة] العبرانية فيحسن ان نلفظ اسمها مخففًا كما سماها أبوها [ماحور] .

ص ١٢٥ س ٢٠ [ثم خرجت امرأة لوط وبيدها سراج كأنها تُشعل] ضبط فعل [تشعل] بالعين المهملة المفتوحة على البناء للمجهول من فعل شعل النار وأشعلها اذا ألهبها . ولا معنى لذلك هنا ، ولعل صوابه [تشغل] بالغين المعجمة من الشغل والاشتغال ، والمعنى ان امرأة لوط لما علمت بضيوف زوجها من الملائكة وهم على شكل غلمان حسان ، خرجت في الليل وبيدها السراج توهم زوجها الذي استكتمها الخبر انها مشغولة بأمور المنزل كتفقد خادم أو علف دابة وبذلك تسنى لها أن تخلص إلى فساق قومها فتخبرهم بخبر الضيوف . على انه يصح ان تكون [تشعل] من إشعال النار لكن يكون صوابه [تشعله] بضمير النصب والبناء للمعلوم أي توهم زوجها انها تريد ان تشعل السراج وتوقده لتستضيء في خدمة بيتها ثم انسلت الى فساق قومها

ص ١٢٧ س ٧ قوله : [حتى بلغ بها الى البحر] صوابه [بلغ بها البحر] من دون حرف الجر لأن فعل البلوغ يتعدى بنفسه ، والقول بأنه مضمن معنى الوصول تكلف

لعدم ما يدعو اليه من نكت البلاغة التي تزيد في ايضاح المعنى أو تأكيده أو تورث الكلام حسناً أو غير ذلك من الاعتبارات التي يراعيها البلغاء عادة في التضمين وإلا كان خطلاً

ص ١٣٢ س ١٠ [غيابت الجب] كذا بتاء طويلة أو مجرورة وصوابه [غيابة] بتاء مربوطة كما هي قاعدتها . نعم إنها تكتب في المصحف الشريف [غيابت] اتباعاً للرسم المأثور

ص ١٣٩ س ٧ [وقيل ان النساء خلون به ليعدّلنه لها] يعني ان نسوة المدينة لما بلغهن خبر جفوة يوسف لزليخا امرأة العزيز خلون به ليعدلنه ، وقد ضبط فعل [يعدلنه] بالدال المهملة المشددة من فعل عدّله اذا أقامه وسواه . فالنسوة بذلن جهدهن في تعديل يوسف وتقويمه لأجل امرأة العزيز ولأجل ان يواتيها على ما تريد منه ، ولكن ليس المقام مقام تربية ولا تقويم غلام اعوجت أخلاقه والتوت طباعه ، وإنما المقام مقام حب وجفاء ، ونسوة أقمن أنفسهن وسطاء أو شفعاء . فالأصوب والأليق بالمقام ان تكون [يعذلنه] بالذال المعجمة من العذل الثلاثي [أو التعذيل المزيد على الثلاثي للمبالغة] على معنى ان النسوة خلون بيوسف وأخذن في عذله ولومه على ما كان من جفوته لسيدته وإعراضه عنها وقد فعلن ذلك خدمة لها وفي سبيل مصلحتها

ص ١٥٤ س ١٤ قوله : [تبناك] صوابه [أتيناك] وهو خطأ مطبعي

ص ١٨١ س ١٥ أم موسى دخلت على آسية امرأة فرعون فلم تعرفها آسية [لأن أم موسى دخلت عليها في حلبة المراضع] [حلبة] كذا بالباء الموحدة ، والحلبة خيل السباق ولا معنى لها هنا وصوابه [حلية المراضع] بالياء المثناة قال في المصباح الحلية الصفة وقال في الأساس : عرفته بحليته أي بهيأته . فآسية لم تعرف أم موسى لأنها دخلت عليها بصفة مرضعة وعلى هيئة المراضع وهو أيضاً خطأ مطبعي

ص ٢١٣ س ٨ : أفواج الملائكة كانت تمر على موسى فكان منهم فوج [لهم نحيب بالتسبيح والتقديس] النحيب البكاء أو اشده اي انهم كانوا يبكون بسبب تسبيحهم لله . وهو ظاهر ، ولكن الأظهر منه بل الأشبه في هذا المقام ان تكون [نحيب] مصحفة عن [نحيت] بتاء مثناة في آخرها وهو اللهث وشدة تتابع النفس

أي ان هذا الفريق من الملائكة من شدة ما لجوا في التسبيح وألحوا جعلوا يلهثون حتى كاد يلحقهم البهر وهو انقطاع النفس

ص ٢٢٠ س ٨ : في صفة أمة محمد ﷺ أنهم [يُصفون في صلاتهم صفوفاً كصفوف الملائكة] وقد ضُبط فعل [يُصفون] بضم ياء المضارعة مجهولاً أي انهم قد صفهم صافّ • والأفصح ان يضبط معلوماً يقال في الفصيح صفهم فصفوا اي اصطفوا • فهو لازم متعد • ومن اللازم قوله تعالى في وصف الملائكة أيضاً [والصافات صفّاً] اي أقسم بجماعات الملائكة المصطفة في مراتبها لعبادة ربها • وفعل الصف اذا أسند الى من يصطف بنفسه استعمل معلوماً يقال : صف الجند وصفت الملائكة والا استعمل مجهولاً : صُفت النمارق [ونمارق مصفوفة] صُفت السرر [على سُرُر مصفوفة]

ص ٢٢٠ س ٩ في صفة أمة محمد أيضاً : [لا يدخل النار منهم أحد إلا من الحساب مثلما يرمى الحجر من وراء الشجر] • قوله [إلا من الحساب] محرّف • وصوابه [إلا مَرّ الحُسبان] والحسبان جمع حسبانة ضرب من السهام صغار قصار كالمسالّ • يعني ان ان أمة محمد لا يدخلون النار إلا مروراً كمرور السهام • ومرور السهم ومروقه يضرب مثلاً لسرعة النفاذ • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الخوارج : [يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية] وزاد هذا المعنى وضوحاً قوله بعده : [مثلما يرمى الحجر من وراء الشجر] فلا جرم ان الحجر إذ ذاك يمر خلال غصون الشجر بسرعة ثم يخلص الى الجهة المقابلة من دون ان يمكث في الشجرة أو يعلق عليه شيء منها • وهكذا أمة محمد تمر في النار على هذا النحو • وكتبت [مثل ما] هكذا مفصولة • ولعل الصواب ان تكتب متصلة كما كتبناها آنفاً

ص ٢٤٢ س ٢ : [فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول] قوله [فحملوه] لعل صوابه [فحملوهما] أي حملوا كلا من الخضر وموسى وان كانوا لم يعرفوا إلا الخضر • ويشهد لما قلنا قوله بعد : [فلما ركبا في السفينة] بألف التثنية أي الخضر وموسى

ص ٢٥٨ س ١٢ [لولا بنو اسرائيل لم يخثر الطعام ولم يخبث اللحم] قوله : [يخثر] بالثاء المثلثة أي يغلظ بعد ان كان مائعاً • ولا يستقيم المعنى عليه هنا وإنما

صوابه [يخنز] بنون وزاي : خنز اللحم والجوز والتمر فسد وأنتن ، أي ان الطعام أصبح معرضاً للفساد والنتن بسبب عصيان اليهود لأوامر الله تعالى . ويدل على صحة ما قلنا قوله بعده : [ولم يخبث اللحم] فإن خبثه يمنع من أكله . وأصبح المقام يتطلب ان يلحق الطعام آفة تمنع من أكله أيضاً وتلك الآفة هي خنوزه ونتنه أما خثوره أي غلظه واشتداده فلا يمنع أكله . على ان الطعام لا ينسب اليه الخثور وإنما الخثور للبن: يقال خثر اللبن خثراً وخثوراً وخثراناً غلظ واشتد بعد ان كان رقيقاً مائعاً

ص ٢٥٩ س ٢٠ [تقول العرب فوموا لنا أي اختبزوا] ضبط فعل [فوموا] بالتخفيف أي بضم الفاء والميم ثلاثياً على وزن قوموا . وصوابه [فوّموا] بتشديد الواو من التفعيل كما ضبط كذلك في اللسان والتاج قالا : [يقولون فوّموا لنا بالتشديد يريدون اختبزوا]

ص ٢٧٠ س ١٠ وص ١٥ س ١٦ زمرى بن شلوم تزوج كستي بن صعور مرغماً لشريعة التوراة . فغضب مومي وأصيب بنو اسرائيل من جراء ذلك بالطاعون . فدخل فنحاص العيزار القبة على العروسين وطعنهما بحربته الحديد الثقيلة فانتظمهما وخرج بهما الى القوم رافعاً حربته ، قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة الى لحيته فرفع الطاعون ، قال : ومن أجل ذلك يعطي اليهود ذرية فنحاص من كل ذبيحة الخاصرة والذراع واللحية . أقول : لا يخفى ان اللحية هي الشعر النابت على الذقن أي عظم الحنك . والشعر المذكور لا يمكن ان يكون نقطة ارتكاز لحربة من حديد تحمل جثتين بشريتين ، بل ان عظم الحنك نفسه لا يصلح لذلك ، وإنما صوابه : وأسند الحربة الى « لبته » وكذا في السطرين الآخرين « اللبة » مكان « اللحية » ولبته مكان لحيته واللبة أعلى الصدر حيث تقع القلادة أو نقول هي الزوْر وهو ما ارتفع من الصدر الى الكتفين . وما زلنا في المواسم ومواكب المحمل نرى حملة الأعلام والرايات الكبرى لا يستطيعون حملها ما لم يسندوها الى لباتهم أي اعلا صدورهم لا إلى لحاهم ولا الى ذقونهم ، على ان الذبائح التي يُعطى منها أولاد فنحاص لا يُعقل أن يعطوا منها مع الخاصرة والذراع شعر اللحية ، ولا لحى للذبائح ينتفع بشعرها وإنما يعطون لباتها وأزوارها

ص ٢٧٠ : في آخر هذه الصفحة يحكى خبر [بلعام] وقد قدم على بني اسرائيل راكباً أتانه قال [فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان وقد وقفت فضربها بلعام الخ] معنى [قامت به] وقفت به قال صاحب القاموس [قامت الدابة وقفت عن السير] فقوله : [وقد وقفت] بعد قوله : [قامت به] مستغنى عنه إذ يصبح المعنى به [وقفت به الأتان وقد وقفت] وهو تكرار . فلعل قوله : [وقد وقفت] مما كتب على الهامش تفسيراً لقوله : [قامت به فألحقها الناسخ بها في المتن أو هي مما جاء في صلب المتن تفسيراً لقامت ، ويكون أصل الجملة هكذا [قامت به الأتان أي وقفت] فحرف الناسخ كلمة [أي] التفسيرية الى كلمة [وقد] التحقيقية فأصبح تركيباً ظاهر البطلان .

ص ٢٧١ س ٥ : [قال موسى يا رب بما سمعت دعاء بلعام علي فاسمع دعائي عليه] قوله [بما سمعت] لعل صوابه [كما سمعت] أي اسمع دعائي كما سمعت دعاءه ، وإلا فإن [بما] لا يصح معها معنى الكلام إلا على تخريج بعيد ظاهر التكلف

المغربي

آراء وانباء

البيان السنوي العام(1)

سادتي الأفاضل

بهذه الجلسة تنتهي جلسات المجمع في السنة المجمعية التي تبتدئ في تشرين الاول ١٩٤٣ وتنتهي في حزيران ١٩٤٤ . وقد عقد المجمع في هذه المدة ثماني جلسات عادية عامة ، بحث فيها بعض المباحث اللغوية والأدبية والتاريخية . وقرر بعد المناقشة ما عرض عليه من أمور علمية وادارية ومالية سيأتي بيانها . وثابر على اصدار مجلته في مواعيدها ، والقاء محاضراته العامة على الرجال والنساء . مع العناية بدور الكتب الملحقة به وغير الملحقة به ، والعمل على نشر الثقافة العربية بعقد الاسواق الأدبية والمعارض الفنية ونشر المخطوطات ، وتقدير المؤلفين وتشجيعهم بمنحهم جوائز او شراء عدد من مؤلفاتهم . مع اصلاح داره القديمة الأثرية متحرياً تجديد ما درس من معالمها واعادتها سيرتها الأولى في عدة نواح من مرافقها على قدر المستطاع وما تحمله الطاقة في مثل هذا الزمن المحفوف بالمصاعب ، والحرب في أواخر سنتها الخامسة . واستقبل عدداً غير قليل من العلماء والمستشرقين والوجهاء والرؤساء الذين مروا بهذه المدينة وهاداهم بعض منشوراته ، وحاضر بعضهم فيه أو شهد بعض جلساته

الأعمال العلمية

المجلة — يطرد صدور المجلة في مواعيدها منذ اعادة تنظيم المجمع سنة ١٩٤١ بعد ان توقفت فترة من الزمن . وقد صدر منها الى الآن ثمانية عشر مجلداً واكثر اجزاء المجلد التاسع عشر ، وفيها من البحوث والمقالات والدراسات ما يعتبر حجة وثقة وقل ان تجد مجلة في العالم العربي يعتمد الباحثون عليها ويتخذونها من المصادر المعتبرة كمجلة المجمع ، فالمؤلفون المعاصرون ودوائر المعارف الحديثة تشير اليها في مصادرها ، ولا تكاد تجد مجلة فازت بمثل هذه الثقة . وهي سائرة نحو الكمال بهمة أعضائها العاملين والمراسلين ومن يراسلها من أهل العلم والأدب .

(1) قرأه معالي الرئيس في جلسة الختام التي عقدها المجمع في ٢٩ حزيران سنة ١٩٤٤

المحاضرات — التي في المجمع من تشرين الثاني ١٩٤٣ الى أيار ١٩٤٤ ثلاثون محاضرة عامة اربع وعشرون منها للرجال وست للنساء في مواضيع متعددة لغوية وعلمية وأدبية واجتماعية وطبية وحقوقية وتاريخية وفلسفية ، قام بها عدد من اعضاء المجمع وغيرهم من أهل العلم والأدب . ولئن لم تكن كل المحاضرات على مستوى واحد فان الجهد الشخصي فيها ظاهر واضح وبعضها جيد بالغ . وقد كانت الردهة تغص بالمستمعين في كثير من المحاضرات ، وعددهم في كل المحاضرات غير قليل ، وقد كانوا يحسنون الاستماع وعلامات الاهتمام بادية على وجوههم . أما محاضرات النساء فقد كان السيدات يقمن على كل شؤونها فالمحاضرة والمستمعات منهن لا دخل للرجال بشيء من ذلك . على ان الشيء الوحيد الذي استدرك على المجمع في هذا الشأن كثرة عدد المحاضرات فقد كانت تبلغ في بعض الأشهر ست محاضرات اربع للرجال واثنتان للنساء . ولعل المجمع يقرر شيئاً في هذا الشأن في الموسم القادم فيحط من عدد المحاضرات ويرفع من قيمتها من حيث الامعان في البحث والإجادة في العرض .

نشر المخطوطات — سبق للمجمع ان نشر في مجلته وعلى حدة بعض المخطوطات النادرة كنشوار المحاضرة للقاضي التنوخي الجزئين الثاني والثامن ، وقانون البلاغة لابن حيدر البغدادي ، وديوان الوليد بن يزيد ، وبحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي ، والمنتقى من اخبار الأصمعي للإمام الربعي ، والتبصرة بالتجارة للجاحظ ، وتكملة اصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي وغيرها . وهو يشتغل الآن بتحقيق أربعة كتب واعدادها للنشر وهي تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي وانا أقوم بتحقيقه . وديوان ابن عنين شاعر الشام في الدولة الأيوبية يقوم بتحقيقه الأستاذ خليل مردم بك ، ورسالة الملائكة للمعري وهي النسخة الوحيدة في العالم ، وما طبع منها من قبل هو المقدمة ، يقوم بتحقيقها والتعليق عليها الأستاذ سليم الجندي ونرجو ان يتم طبعها في مهرجان المعري بعد ثلاثة أشهر . والرسالة الجامعة للمجريطي يقوم بتحقيقها الدكتور جميل صليبا وهي تتمة لرسائل اخوان الصفا او فذلكة لها .

الجوائز – للمجمع ثلاث جوائز سنوية يمنحها ثلاثة ممن جودوا من المؤلفين أو المترجمين السوريين تقديراً للعلم والأدب ورفعاً لشأنهما . وقد منح المجمع في هذه السنة الأمير مصطفى الشهابي احدى الجوائز لإجادته في معجم الألفاظ الزراعية ومنح الدكتور أسعد طلس احدى الجوائز لإجادته في نشر كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد ليوسف بن عبد الهادي وتحقيقه والتعليق عليه وتأليف ذيل له . والمجمع يرجو ان تكون جوائزه من بواعث المسابقة في مضمار التأليف والترجمة .

مهرجان المعري – اجتماع أهل العلم والأدب على اختلاف الأقطار والأجناس في مؤتمرات العلم وأسواق الأدب من أعظم البواعث على رفع مستوى الثقافة وبخاصة اذا كان السبب الاحتفال بذكرى احد النوابغ العظام . وقد رأى المجمع ان يقيم مهرجاناً عظيماً في ٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤ يدعو اليه عدداً من اعضائه المراسلين في جميع الأقطار ممن يمكن ان تبلغه الدعوة ليشتركوا مع إخوانهم الأعضاء العاملين في الإشادة بذكرى النابغة العظيم ابي العلاء المعري لمرور الف سنة على مولده وسيستمر المهرجان أسبوعاً يتبارى فيه كبار الأدباء والباحثين والشعراء في دراسة هذا الرجل الانساني الكبير وما وصل الينا من آثاره ، ومبلغ أثره في الثقافة والأدب والأخلاق . وستكون أيام المهرجان موزعة بين دمشق وحمص وحماة والمعرة وحلب واللاذقية وبلودان . ولا شك في ان مجموعة ما سيقال وينشد في هذا المهرجان سيكون احسن مجموعة عن المعري ابداعاً وتحريراً . اضف الى ذلك بهجة اجتماع اقطاب العلم والأدب في الأقطار العربية وغيرها في صعيد واحد لتكريم الأدب العربي في شخص ابي العلاء وتخليد ذكراه . والفضل الأعظم في تحقيق هذه الفكرة النبيلة يعود الى فخامة رئيس الجمهورية الذي رحب بها واعارها اكبر قسط من الرعاية والعناية وأمر بأن يساهم في شرفها عدد من المحافظات الشامية . ولوزارة المعارف عمل صالح في تقديم مشروع المهرجان المالي وكفالته .

معرض الكتاب العربي – وقد رأى المجمع ان يعقد معرضاً للكتاب العربي مدة المهرجان تعرض فيه نفائس المخطوطات والوثائق وما امتازت به المخطوطات العربية

من الفن البارع في الزينة والزركشة والتذهيب والتلوين • ويشترك في عرض هذا النوع من الكتب دار الكتب الظاهرية وبعض أرباب خزائن الكتب الخاصة • والمجمع آخذ في تهيئة أسباب هذا المعرض ويرجو ان يتوفر لديه العدد الكافي من كتب اصحاب الخزائن الخاصة على سبيل الاعارة ليجمع بين الفائدة والاعجاب والمتعة •

دور الكتب — يرتبط بالمجمع ثلاث دور للكتب • خزانة كتبه الخاصة ودار الكتب الظاهرية في دمشق ودار الكتب الوطنية في حلب • اما خزانة المجمع فهي خاصة به مقصود في جمعها أمهات الكتب والمراجع الموثوق بها والمصادر المعتبرة في العربية والافرنسية والانكليزية وفيها من الكتب العربية المطبوعة في أوربا مجموعة قيمة فضلاً عن نسخ من نوادر المخطوطات مأخوذة بالتصوير الشمسي • وعلى هذا السبيل تختار كتبها التي يبلغ عددها (٣٨٨٦) مجلداً منها (٨١) مجلداً فوتوغرافياً و (١٨٥٤) مجلداً عربياً و (١٩٥١) مجلداً افرنجياً وقد دخل اليها سنة ١٩٤٣ ثلاثمائة وثمانون مجلداً منها (٢٧٠) مجلداً عربياً و (١٠٧) مجلدات افرنجية •

وأما دار الكتب الظاهرية فهي عامة لجميع المطالعين ولما استلمها المجمع كانت أشبه بدور الكتب الخاصة او اشبه بغرفة أثرية لأنها كانت عبارة عن(٢٥٤٨) مخطوطاً لا يجوز ان تتداولها ايدي المطالعين و (١٠١٨) مطبوعاً مخزونة كلها في غرفة واحدة وباقي البناء كان مدرسة ابتدائية فعمل المجمع على نقل المدرسة وجعل البناء كله خاصاً بالمكتبة وما زال المجمع يزيد في عدد كتبها المخطوطة والمطبوعة على سبيل الشراء والاستهداء حتى بلغ عدد ما فيها من الكتب في أوائل هذه السنة نحواً من ستة وثلاثين الف مجلد • ونسبة زيادتها في السنة الماضية وهذه السنة تفوق جميع النسب في السنين الخالية فقد دخل اليها في سنة ١٩٤٣ (٢٥٥٩) مجلداً منها (٣٦٣) مخطوطاً والفضل في ذلك راجع الى التوسيع عليها في مخصصات شراء الكتب والى ما يهدى اليها من أهل البر والفضل نخص بالذكر منهم بني الطنطاوي وبني المنير والسيد طاهر ابو حرب فقد أهدوا اليها عدداً وافراً من المخطوطات والمطبوعات • وأهدت هي في هذه السنة الى مكتبة اللاذقية (٥٨٢) مجلداً ورسالة والى مكتبة كفر تخاريم (٢٧٤) مجلداً ورسالة والى مكتبة السويداء (٨٥) مجلداً ورسالة •

دار الكتب الوطنية في حلب — قدم المجمع في ٢٣ شباط ١٩٤٤ الى وزارة المعارف تقريراً مفصلاً عن هذه الدار وما تحتاجه من الاصلاح بعد ان اخلتها مصلحة الدفاع السلبي ومصلحة الخرائط الانكليزية . نظم هذا التقرير محافظ دار الكتب الظاهرية الذي أوفده المجمع الى حلب لهذه الغاية وخلاصته ان الدار المذكورة بحاجة الى اصلاح وترميم وخزائن ومفروشات وزيادة ثلاثة موظفين وقدر لذلك مبلغ (٢٧٠٠٠) ليرة سورية .

الأعضاء الراحلون

فجع المجمع في السنة الماضية وهذه السنة بعدد من أعضائه الأجلاء وهم :

الأستاذ بدر الدين النعساني (حلب) — العالم الأديب النقادة طلب العلم في الأزهر وطالت في طلب العلم والاشتغال به رحلته ، والف وهو شاب في مقتبل العمر كتاب التعليم والارشاد وهو من أحسن ما الف في اصلاح التعليم في الأزهر . ثم توفر على تحقيق كتب العلم والأدب وتصحيحها واعدادها للنشر فحقق منها عدداً عظيماً جداً وكلها تحمل اسمه في صدرها . وزار الأقطار الاسلامية في الشرق والغرب ودرس أحوالها واطلع على شؤونها فازدادت معارفه واتسعت خبرته . واشتغل بالصحافة في مصر والشام والحجاز ثم انصرف الى تعليم الأدب العربي في مدارس حلب وكان في كل ما عالجه من الأعمال من المتقنين المجلين .

الشيخ سليمان الأحمد (اللاذقية) — شيخ العلويين وإمامهم جمع الى سعة العلم كرم الأخلاق واستقامة الأحوال وكان مرشداً ناصحاً يعمل على جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ويضم بالعلم والاخلاص ما فرقته يد الجهل والمكيدة ومنزلته في علوم العربية وآدابها منزلة رفيعة .

الأستاذ رشيد بقدونس (دمشق) — تخرج بالمدرسة الحربية وكان من ضباط الجيش العثماني ولكن الصفة العلمية غلبت عليه . درس الافرنسية واليونانية والفارسية وأجاد العربية والتركية وكان ذا صبر على التحقيق طويل الأناة شارك في وضع مصطلحات الجيش العربي في عهد الملك فيصل وكتب أبحاثاً في اللغة والخط العربي والف في التاريخ ودرس العربية والتاريخ في مدارس دمشق .

الأمير عمر طوسون (مصر) — الأمير العالم صاحب الاعمال المبرورة والايادي البيض على العلم والثقافة جمع الى كرم المحتد سعة العلم وكرم الأخلاق وعمل الخير ولم تصرفه كثرة اعماله عن الاشتغال بالعلم والتأليف بل كان من اكثر العلماء إنتاجاً ومؤلفاته تبلغ أربعين كتاباً .

الأستاذ متفوخ — المستشرق الألماني عني بتاريخ العرب قبل الإسلام وبخاصة عرب اليمن وتاريخهم وأحوالهم ونشر شيئاً كثيراً من الكتابات اليمنية . وعني أيضاً بحال الإسلام في (طوغو) و (الكامرون) . ونشر كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الاصفهاني .

الأستاذ د. ب. مكدونلد (اميركا) — كان عالماً بالعربية والعبرية والسريانية والعلوم الاسلامية وهو من أوسع المستشرقين معرفة بالدين الاسلامي وقد الف فيه عدة كتب . ومحاضراته ومقالاته عن الثقافة الاسلامية في أكثر نواحيها كثيرة جداً وكان له عناية عظيمة بكتاب الف ليلة وليلة ومجموعة النسخ التي لديه من هذا الكتاب لا تضاهيها مجموعة في العالم .

وكل هؤلاء من أعلام العلماء وأصحاب الايادي البيض على العلم والأدب وقد جلت رزيئة المجمع بفقدهم رحمهم الله وأثابهم خير الجزاء واحسن عزاء المجمع عنهم .

الأعضاء الجدد — انتخب المجمع الأستاذ عباس العزاوي (بغداد) والدكتور داود چلبي (الموصل) والأستاذ جب (لندن) أعضاء مراسلين وجدد انتخاب الاستاذ عارف النكدي عضواً عاملاً وكلهم من خيرة العلماء مشهود لهم بسعة الاطلاع ومواصلة العمل .

موازنة المجمع العلمي وداري الكتب الظاهرية والحلبية — كانت اعانة الحكومة للمجمع العلمي العربي في عام ١٩٤٣ مقدرة بمبلغ (٦٧١٣٠) ليرة سورية وقد تحققت في نهاية العام المذكور بمبلغ (٧١٥٠٣/٥٤) ليرة سورية وهذه الزيادة حصلت من اعانة المندوبية وقدرها (٧٥٠) ليرة سورية ومن مبلغ (٣٣٠٠) ليرة سورية منحة الحكومة للموظفين بموجب القانون رقم (٨) المؤرخ في ٢٨ تشرين الأول سنة ١٩٤٣ . وقد صرف هذا المبلغ حسب فصول الموازنة وموادها على الشكل الآتي (٣٦٩٨٦/٨٨)

ليرة سورية للرواتب و (٢٤٩٧٦/٢٤) ليرة سورية للنفقات وقد تحقق في نهاية العام المذكور وفر مقداره (٩٥٤٠/٤٢) ليرة سورية ٠ وفي عام ١٩٤٤ أعطت الحكومة المجمع العلمي اعانة قدرها (٨٠٠٠٠) ليرة سورية اي بزيادة مبلغ قدره (١٢٨٧٠) ليرة سورية عن العام الماضي أضيف اليها الوفر المتحقق في عام ١٩٤٣ وهو (٩٥٤٠/٤٢) ليرة سورية وواردات المجلة المقدرة بمبلغ (٣٠٠) ليرة سورية وبذلك صار المبلغ الاجمالي لموازنة عام ١٩٤٤ (٨٩٨٤٠) ليرة سورية ستصرف حسب الموازنة على الشكل الآتي : (٤٣٨٧٦) ليرة سورية للرواتب و (٤٥٩٦٤) ليرة سورية للنفقات ٠

وأريد ان أسجل شكر المجمع للرئيسين الجليلين رئيس المجلس النيابي ورئيس الحكومة على موقفهما النبيل عند مناقشة موازنته وللنواب المحترمين الذين أبدوهما في هذا الشأن ٠

أعمال الاصلاح والترميم في المجمع — هذه المدرسة العادلية الكبرى المتخذة داراً للمجمع من أجلّ مدارس دمشق وأفخمها وأحفلها تاريخاً بالعلم والعلماء ، تسلسل فيها نشر العلم ولاح فيهـا مصابيح من أعلام هذه الأمة كابن خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، ولم يكد يخبو ضوء العلم في جوها ٠ والمجمع حريص على حياطتها وترميمها واصلاح ما تشعث منها واماطة الأذى عن معالمها واعادة ما عفا من رسومها شيئاً بعد شيء مع الزمن وعلى قدر الطاقة ، وما قام به المجمع من هذه الأعمال منذ اتخذها داراً له ماثل للعيان في كل طرف وناحية وزاوية فيها وآخر ما عزم عليه تبليط صحنها الفسيح وإعادة بركة الماء في وسطه على الشكل الذي كانت عليه ليالي كان ابن خلكان يطوف حولها مترنماً بأنشودته المذبة اللطيفة ٠ ولدار الآثار ومهندسها الفاضل المسيو آمي سعي مشكور في هذا العمل فهو الذي أحكم خطة العمل ولاءم بين الحاضر والماضي وجعل الجديد صورة عن القديم ٠ كل ذلك من غير ان يرزأ المجمع بيت المال بشيء ، بل قتر على نفسه واقتطع من صلب موازنته ما يقتضيه هذا العمل من النفقات المقدرة بـ (١٦٥٠٠) ليرة سورية وآثر التقتير على نفسه حياطة لهذا المعهد الكريم وتجملاً بإظهار ما خفي من محاسنه ٠

هذا بيان ما قدر للمجمع ان يقوم به في هذه السنة فان كان فيه شيء يستحق الحمد فبفضلكم ومؤازرتكم أيها العلماء الأجلاء وأريد ان أخص بالشكر صديقي معالي العلامة السيد خليل مردم بك أمين السر العام على توفره على أعمال المجمع ودؤوبه على ما فيه مصلحته وأتقدم بالثناء على اللجنة الادارية التي اضطلعت بما عهد به اليها من عملها وعمل غيرها على أحسن وجه مثابرةً على العمل واتقاناً له وحسن تصرف فيه وانا لنرجو ان يكون عملنا في المستقبل أعظم منه في الماضي والحاضر ان شاء الله .

على ذكر « الفند »

اطلعت في الآونة الأخيرة ، على ما دار حول « الفند » من آراء مختلفة نشرها أصحابها في هذه المجلة .

ولعل الخطب في « فند » وفي أمثال « فند » أكانت عربية أم لم تكنها ؟ أيسر من ان يتسع لما اتسع له هذا البحث ، وأنا اعود اليه مرة أخرى ، فأضيف هذه الكلمة الى كلماتهم . فليست اللفظة بمنطوية على معنى جليل نحرص عليه ، وما هي متضمنة تعبيراً دقيقاً نحتاج اليه ، فنطيل فيها الكلام ، لندعي نجرها ، ونحتكر نخرها

غير ان الذي يدعو الى معالجة مثل هذه الموضوعات والعودة اليها حيناً بعد حين ، ليست قيمة الكلمة نفسها ، ولكنه هذا الحرص الملح ، يظهره كثير من الكتاب العرب ، في كثير من الأحيان ، ليجدوا للفظة العربية البحتة — مخرجاً يخرجونها به من لغتنا العربية ، ليدخلوها في لغة اجنبية . وما أدري لهذا سبباً ، الا ان يكون من قبيل رد الفعل لما كان عليه قومنا من قبل ، من ان ادعاء الالفاظ واستلحاقها ، بحيث كادوا لا يتركون لفظة اتصلت بهم — ولو كانت في بعض الأحيان علماً على بلد أو شخص — وقد زعموها عربية ، فحاكوا لها صيغة ، واصطنعوا لها اشتقاقاً ؛ منتحلين في ذلك اسخف السبب ، متكلفين اضعف النسب . يفعلون ذلك في الأكثر تعصباً للغتهم ، واعتزازاً بها [1]

[1] ومن مضحكات هذه التأويلات ما وقفت عليه في شرح التاج وأنا أراجع مادة « فند » قال وجاؤوا من كل فند ، (بالكسر) أي من كل فن . قلت : ومنها اشتقاق لفظ الافندي لصاحب الفنون زادوا ألفاً عند كثرة الاستعمال ، ان كانت عربية ، وقيل رومية معناه السيد العظيم الجزء ٢ ص ٤٥٥

واليوم عاد الأمر معكوساً ، فما هو الا ان يقف أحدنا من كلمة من الكلمات العربية ، موقف المتردد في فهمها المتسائل عنها ، حتى يدخل الريب من عروبة الكلمة في قلبه ، ثم لا يلبث هذا الريب ان ينقلب في نفسه أو في نفوس الساخرين يقيناً .

تردد أستاذنا المغربي في لفظة « فند » العامية . فكان مما قاله فيها : « والفند عدة شمعات تباع في غلافها المتخذ من الورق الثخين الأزرق . ويقال أحياناً دزينة شمع ، فكان (فند شمع) .. ثم قال : « وسألت اخواننا أهل دمشق عما اذا كانوا يستعملونها في لهجتهم اليومية فقالوا : انهم لا يعرفونها ، ولا سمعوا بها » .. ورجع الى الفرائد الدرية فاذا معنى هذه اللفظة « شمعة وقد وضعت أمامها العلامة التي تفيد ان الكلمة عربية عامية وان أكثر استعمالها بين عامة لبنان » وتساءل الأستاذ بعد ذلك عما اذا كانت هذه اللفظة فارسية أم عربية ? فرجح عروبتها « وجوّز لنا ان نتبناها ، وندعيها حتى تقوم لغة اخرى فنستلحقها »

هذا كل ما قاله الأستاذ في فارسية هذه اللفظة ، وزاد على ذلك ان قال : وأخيراً رجعت الى الحاج علي الكبير الشيرازي وهو شيخ معمر من النزلاء الايرانيين بدمشق .. فقال انه لا يعرفها » ..

وقول الأستاذ هذا ، لا يخرج عن انه سانحة من سوانح الفكر ، لا يثبت لهذه الكلمة في غير العربية شيئاً ، غير ان هذا الشك الضعيف ، مالبث ان أصبح يقيناً لا يقبل الريب

فقد جاء الدكتور الكواكبي بعد ذلك يعقب على كلمة الأستاذ مؤكداً فارسية « الفند » تأكيداً جازماً ، ويقطع بأن أصلها « بند » بالباء الموحدة ومعناها : الربطة ، الرباط ، السلسلة ، القيد[1] ... وان استبدال العرب الفاء بالباء الموحدة أو المثلثة التحتية أمر لا يحتاج الى تدليل . وان الفند من أصل فارسي لا ريب فيه » .

وقد ردّ الأستاذ الكرملي على الدكتور الكواكبي نافياً فارسية « الفند » مثبتاً عروبتها ، بما لا نحتاج معه ان نزيد عليه غير هاتين الملاحظتين :

(١) أنكر الأب الكرملي على الدكتور الكواكبي ان يكون للبند هذه المعاني واكتفى بأن قال: ومعنى البند عندهم (أي الفرس) الحيلة ، أو الاسلوب الدقيق في الحيس الى معاني معروفة في الفارسية ومعروفة في معاجمهم ونحن لا نعرف الفارسية الا ان المعاني التي ضمنها العرب : خاصتهم وعامتهم للفظ البند وأشرنا الى بعضها في هذا المقال تؤيد رأي الدكتور . الا اذا كان عند الأب العلامة ، أو أحد علماء الفرس ، ما ينفي هذه المعاني التي عددها الدكتور وذكرنا نحن ١٠ فرعه العرب عنها .

العرب يبدلون الفاء بالباء المشددة (أي المثلثة) بالباء المخففة (أي الموحدة)

٣ — « البند » الفارسية أخذها العرب بلفظها فقالوا : « البند » في العلم الكبير — وقالوا في لغة القانون : « قلعة بند » بمعنى « سيف القلعة » أو « قيد القلعة » وذلك بأن يوضع المحكوم عليه في قلعة ، أو في مكان لا يبارحه حتى تنتهي مدة إعتقاله . وقالوا أيضاً : البند والبنود بمعنى المادة والمواد ، او الشرط والشروط . وتقول العامة : فلان صاحب « البند والعلم » اي ذو وجاهة وسلطان أو شأن . كما تقول : بند السيف أي حميلته ، وبند الساعة اي علاقتها ، الى غير ذلك . وفي كل هذا ابقت الخاصة والعامة من العرب « البند » على لفظه الفارسي . فلو ان « الفند » العربية كانت « البند » الفارسية لاحتفظ لها بلفظها هنا ، كما احتفظ لها بلفظها في المعاني العربية التي ذكرناها لها

وقد يكون الدكتور الكواكبي ذهب الى فارسية الفند لقول الأستاذ المغربي « والفند: عدة شمعات ، ويقال: (دزينة شمع) مكان (فندشمع)» ولما كان البند هوالربطة والرباط فيكون الفند في رأي الدكتور من هنا إستعير . ولعله على هذا بنى حكمه القاطع .

فعلينا ان نعرف هل العامة وهل « الفرائد الدرية » الذي استند اليه الأستاذ المغربي في البحث عن هذه الكلمة العامية يستعملون « الفند » بمعنى « عدة شمعات »

نقل الأستاذ عن « الفرائد الدرية » ما أشرنا اليه من قبل ، وننقله الآن بحرفه : « فند الشمع وجمعه فنود cierge bougie وضبط فاء الفند بالكسر وعهدي بالطرابلسيين انهم ينطقون بها بالفتح ، وجمعها في الفرائد على فنود والا ينبغي ان تجمع على أفناد ، اذا صح أنها مكسورة الفاء . وقد وضعت أمامها العلامة التي تفيد ان الكلمة عربية عامية ولان اكثر استعمالها بين عامة لبنان [1] .. »

نقول : مامعنى cierge ؟ قال لاروس في تفسيرها « هي لفظة لاتينية معناها الشمعة الكبيرة تستعمل في الكنائس .. » وأما bougie فهي مأخوذة من بوجي : مدينة بالجزائر

(١) أما ما جاء في الفرائد الدرية فهو هذا cierge bougie وقد وضعت الى جانب هاتين اللفظتين الفرنسيتين العلامة التي قالوا فيها في مقدمة هذا المعجم انها اذا وضعت أمام الكلمة العربية دلت على ان هذه الكلمة لا تستعمل الا في اللغة العربية العامية في سورية خاصة . واذا هي وضعت أمام الكلمات الفرنسية تدل على ان هذه الكلمات تعبر عن المعنى العربي العامي نفسه .

يكثر فيها الشمع الذي تصنع منه الشموع ومعناها الاصطلاحي: الشمعة ذات الفتيلة المجدّلة ٠٠»

وفي بلو المعجم اليسوعي الفرنسي العربي « الفند : الشمعة الصغيرة ٠ ونحن اذا رجعنا الى عامة لبنان ، الذين يشير اليهم الأستاذ ممن يستعملون هذه اللفظة (لأنها ليست عامة عند عامتهم) نجدهم يطلقون « الفند » على هذه الشمعات التي وصفها الأستاذ بأنها تباع في غلافها ٠٠ بل الفند عندهم هو الشمعة الواحدة الكبيرة ذات التضاريس والتلافيف يشعلونها في المآتم : من اعراس ومناحات ويوقدونها في الأديار والمقامات

فهذا كله — وفيه مصادر أستاذنا المغربي — تثبت ان الفند هو الشمعة لا عدة شمعات[1] ، وينتفي به مايمكن ان يقال من ان الفند هو « ربطة الشمع » أو (دزينته) ليجوز القول بأنه منقول عن البند الفارسية ٠

وبقي ان يقال ان اللفظة سريانية وهو ما نقله لي الأستاذ عن أحد علماء اللغة السريانية وهذا قول لا يُقبل على اطلاقه ، ما لم يقيده نص صريح على ان « الفند » هو الشمعة بوضعه اللغوي في الأصل السرياني ٠

أما اذا كانت الحجة على سريانية استعماله في لبنان ، فهذا مردود بأن هذه اللفظة أكثر ما تستعمل في غير مواطن السريانية يستعملها قوم من العرب الاقحاح لا يمتون الى السريان ولا الى السريانية بصلة من دم ولا لسان

فالفند لفظ عربي بمعنى « الجبل العظيم ، او قطعة منه طولاً — وزاد بعض — في وقة ، وهو الغصن » (شرح التاج)

وفي محيط المحيط : « الفند ٠٠ الغصن ومنه فند الشمع على التشبيه ٠ » فكأن العامة او بعض الخاصة شبهوا هذه الشمعة بالغصن لطولها ودقتها ، وقد يكون لجامعة الازهار بين النور والنور ٠ والنسبة اللغوية تفضل بأدنى سبب فكيف اذا تعددت الأسباب ٠ وهذا التشبيه موفق يقره البيان العربي والذوق والمجاز ٠ وقد سبق لبعض المتقدمين ان استعملوه ، فلا علينا ان نقتدي بهم وان تقر المجامع اللغوية هذه اللفظة لهذا المعنى ٠

عارف النكدي

---

(١) أما استعمال أهل طرابلس الذي أشار اليه الأستاذ فاما أن يكون خاصاً بهم وهذا مااستبعده ، واما ان يكون ما ذكره الأستاذ سهواً لبعد عهده فيه ٠

ديوان الحكمي (ابي نواس)

استفسر مني بعض الاخوان عن نسخة من شرح ديوان الحكمي لحمزة الاصفهاني ومن المؤسف اني لم أقف على نسخة من هذا الكتاب في مكتبة عراقية خاصة أو عامة على كثرة الحافي بالسؤال عنه وعن أمثاله مما يستضاء به لاجتلاء شعر الحكمي . وقد كتبت الى أحد اعلام النجف ممن يعنى بهذه الشؤون استطلع طلعه في هذا الباب فجاء في جوابه اليوم يقول: انه لم يتذكر انه اطلع على هذا الكتاب في مكتبة ما . مع ان النجف تضم خزانات غنية في المخطوطات . وفي الطليعة منها الخزانة العلوية ذات الكتب القيمة .

ولعمري اني لشديد الرغبة في الوقوف على كتاب في شرح ديوان هذا الشاعر الفذ ، لأني مولع بتصفح شعره . قوي الشغف به . و قد اعترضتني في سبيلي هذه عقاب تعسر قطعها . وجلها متأتية من ناحية التصحيف والتحريف .

ثم ان الحكمي بعيد الغور في أغراضه . دقيق الملاحظة في أهدافه . وكثيراً ما يكون للزمان والمكان والأحوال الاجتماعية القسط الأوفر في استجلاء تلك المرامي . من أمثلة ذلك قوله (ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر) فاني وجدت الكثير من حملة الأقلام يسألون عن النكتة في قوله (وقل لي هي الخمر) بعد قوله (اسقني خمراً) ويتناقلون جواباً قديماً بأنه يريد ان يملأ أذنه باسمها ليتم بذلك إشباع حواسه الخمس منها . وهذا جواب سطحي لأن الشاعر ليس في سبيل إشباع الحواس وانما هو في سبيل المجاهرة باللذائذ . وعدم الخوف من الناس في اقترافها يشير الى ذلك قوله (ولا تسقني سراً اذا أمكن الجهر الخ) والذي ظهر لي بعد انعام الفكرة ان الشاعر انما يرمي الى التعريض بأولئك المرائين الذين يشربون الخمر متسترين باسم النبيذ . والنبيذ طليق عند فقهاء العراق ، والحدود بينه وبين الخمر ليست بحصينة . فإذا قيل لأحدهم أنت تشرب الخمر قال : لا . وانما أشرب النبيذ . فالحكمي يرى مصارحة ابناء جيله على المكشوف . ويقول لساقيه : قل لي : هي الخمر . ولا تحجج باسم النبيذ وحال ابي نواس تفسر لنا هذا بأوضح مما يفسره لفظه .

واذا نحن فزعنا في هذا الشأن الى كتب الأدب لا نجد فيها ما ينقع الغلة..

ويشفي العلة لأن جلها لم تعر شعر المولدين والمحدثين التفاتاً . والتي التفت اليه لم تعن بالشرح والايضاح العناية المطلوبة . زد على ذلك طغيان تيار المسخ في النسخ . وتفاقم أمري التصحيف والتحريف ولا سيما حين خوى نجم التحقيق . وكسفت شمس التدقيق ، في القرون المظلمة الأخيرة .

هذا المبرد اقتطف من ازاهير المولدين الشيء الكثير ولكنه قلما عني بايضاح الغامض منه . اعتماداً على انه كان من الوضوح بحيث لا يحتاج الى ايضاح ولكن غبار الأيام تكاثف على الكثير من ذلك حتى استبهم أمره وأشكل .

بلغني ان أحد أشياخ الأدب في مصر كتب على الكامل تعليقات تكشف منه الغامض . وتوضح المبهم . وتتم الناقص . وأسمى تعليقاته هذه (رغبة الآمل) ولما تم لي الوقوف عليه . وجدته على غرار أصله في عدم تعهد هذا النوع من الشعر بالشرح والايضاح ، واذا تجشم الشرح فانه ربما يغرب فيأتي بالمضحك . يقول ابو نواس في خصيبيته المشهورة :

اليك رمت بالقوم هوج كأنما جماجمها تحت الرحال قبور

ويرويه المبرد في كامله هكذا :

اليك رمت بالقوم خوص كأنما جماجمها فوق الحجاج قبور

ويعد ذلك من جيد التشبيه . ثم يأتي المرصفي فلا يزيد على تفسير (الحجاج) بأنه : العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب . أما وجه التشبيه فبقي في صدر الشاعر : يروي المبرد قول الحكمي من مقطوعة هي غاية في الابداع وبراعة التصوير :

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدريها في القسي الفوارس

فللخمر مازرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس

فيقول الشيخ المرصفي ما نصه : (مازرت) : يريد ماشدت عليه أزرار جيوب الندامى من الذهب والفضة . يغالون في مهرها (وللماء الخ) : هذا تعريض برؤوس الفقهاء والأغثاث ليس لها الا الماء تتبرد به « انتهى كلامه » . مع ان ابن هانئ لم يخطر له هذا المعنى ببال عندما رسم هذه الصورة البارعة . والذي يرمي اليه ان تلك

الصور المحلاة بها هاتيك الكؤوس لم تكن لمجرد الزينة بل هي بمثابة مقياس لتحديد كمية الخمر وكمية ما يمزج بها من الماء . فالخمر تكون الى أعناق تلك الصور (وهي منزّ الجيوب ثم تمزج بالماء الى ان تغمر رؤوسها . (وهي مدار القلانس) . وقد كانوا يعنون بمقاييس الخمر وما يمزج بها عناية كبيرة .

بغداد طه الراوي

كتب المساجد في الشام

نشر الأستاذ محمد أسعد طلس كتاباً في مساجد الشام ، هو (ثمار المقاصد في ذكر المساجد) ، فله الفضل الكبير في تقديم هذه التحفة النفيسة للعالم العربي والاسلامي ، وعندي بعض الكتب المخطوطة في المساجد كتبها علماء شاميون أود اطلاع القراء الأفاضل عليها :

١ — كتاب تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد : للشيخ تقي الدين ابي بكر ابن زيد الجراعي[1] الحنبلي الامام العلامة الفقيه القاضي كان رفيق الشيخ علاء الدين المرداوي في الاشتغال على الشيخ تقي الدين قندس ، وباشر نيابة القضاء بدمشق ، وتوجه الى الديار المصرية ، فاستخلفه القاضي عز الدين الكناني في الحكم ، وباشر عنه بالمدرسة الصالحية . ومن مؤلفاته الكتاب المذكور ، و(غاية المطلب في معرفة المذهب) ، و (الألغاز الفقهية) ، و (شرح أصول ابن اللحام) ، و (تصحيح الخلاف المطلق) . وتفصيل ترجمته في غلاف الكتاب المذكور . وتوفي سنة ٨٨٣ هـ — ١٤٧٨ م ، والف كتابه في ٥ ذي القعدة سنة ٨٧٣ هـ — ١٤٦٧ م

٢ — تسهيل المقاصد لزوار المساجد : للشيخ شهاب الدين احمد بن العماد الأقفهسي المتوفى سنة ٨٠٨ هـ — ١٤٠٥ م ، وفيه مطالب علمية وتاريخية لا يستهان بها وعندي له كتاب في الحمامات وآخر في آداب الأكل ...

والآثار المذكورة في موضوع المساجد وهي مكملة لما نشره الأديب الفاضل نرجو ان يوفق آخرون لطبعها ليعمّ نفعها . وفق الله العاملين .

بغداد عباس العزاوي

---

(١) في كشف الظنون في مادة (أصول ابن اللحام) ورد بلفظ (الجراعي) .

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد التاسع عشر

الصفحة

الجزء الحادي عشر والثاني عشر | 19895 | المجلد التاسع عشر



تشرين الثاني وكانون الأول سنة ١٩٤٤ ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٦٣

التصحيف والتحريف

لضعف التدوين عند العرب في أول الإسلام وقع مع طول الزمن وكثرة الرواة ودخول العجمة على اللغة تصحيف وتحريف في بعض ألفاظ السنة والشعر والخطب وزاده كثرةً كون الأمة كانت تكتب أولاً بالخط الكوفي بدون إعجام ثم عمدت إلى هذا الخط المتعارف وهي تغفل فيه النقط أيضاً . وكان من جهلة النساخ بلاء على الكتب يتلافاه الوراقون الذين يتوخون قراءة الكتب على مؤلفيها أو على العلماء المدققين فتصدر سليمة في الجملة .

وقديماً ألف المؤلفون في تصحيح غلطات أهل كل فن ولا سيما الحديث واللغة وقد توفرت العناية بفنون الحديث وخُدم خدمة لم يُخدمها فن مثله . وللمتأخرين من الكتب المطبوعة في هذا الشأن « المشتبه في اسماء الرجال » للحافظ الذهبي و « كتاب الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط » لمحمد بن طاهر المقدسي و « تحفة ذوي الأرب في مشكل الأسماء والنسب » لابن خطيب الدهشة و « لبّ اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي » وغير ذلك من المطبوع في بلاد الغرب — ولفرط عناية القوم بالروايات الصحيحة ، وخوفهم من تسرب العبث اليها كانوا يضبطون كل كلمة لا بالشكل فقط بل بالتعيين بالحروف وبيان المعجم منها وغير المعجم . وقد عُدّ كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان من أفضل كتب الأنساب والتراجم بما ضبطه من أسماء الأعلام . وآخر من عني من أهل هذا العصر بتصحيح الأغلاط العلامة أحمد تيمور باشا رحمه الله فانه صحح غلطات « لسان العرب » لابن المكرم وغلطات

« القاموس المحيط » للفيروزابادي فأحسن إلى اللغة كما أحسن اليها العلامة الشنقيطي بتصحيحه بمعاونة الأستاذ الإمام محمد عبده كتاب المخصص لابن سيده كما أحسن هذا للأدب بتصحيحه كتاب « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجاني . ونشر الأستاذ محمود مصطفى نحو الف علم من أعلام الأناسي والمواضع في كتاب أسماه «إعجام الأعلام»

تصحيح أغلاط النساخ والرواة استغرق في كل عصر بعض أوقات المشتغلين ، ومن الأئمة الذين ردوا كل كلام إلى نصابه الصحيح في المتقدمين ابو احمد العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ ، وهو غير صاحب الصناعتين أبي هلال العسكري المتوفى بعد سنة ٣٩٥ ، وكلاهما في العلم والأدب غاية ، وفي الإجادة في التأليف المثل الأعلى . ألف أبو أحمد العسكري كتابه التصحيف والتحريف وطبعت مطبعة الظاهر في القاهرة في سنة ١٣٢٦ — ١٩٠٨ الثلث الأول منه ولا يزال الأصل محفوظاً في دار الكتب المصرية . وقد عرضت على المجلس الأعلى لدار الكتب إعادة طبع الكتاب برمته فتفضل وأجاب على مقترحي - وقد شرح المؤلف فيه « الألفاظ والاسماء المشكلة التي تتشابه في صورة الخط فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف ، مما يعرض في ألفاظ اللغة والشعر ، وفي اسماء الشعراء وأيام العرب وأسماء فرسانها ووقائعها وأماكنها وما يعرض في علم الأنساب وغيرها من الإشكال فيصحفها عامة الناس ويغلط فيها بعض الخاصة ولا يفطن لها إلا من افتن في العلوم ، ولقي العلماء والرواة والمتقدمين في صناعتهم ، المتقنين لما حفظوه ، وأخذ من أفواه الرجال ولم يعول على الكتب الصحفية » إلى أن قال : « فالاحتراس من التصحيف لا يدرك إلا بعلم غزير ، ورواية كثيرة ، وفهم كبير ، وبمعرفة مقدمات الكلام ، وما يصلح أن يأتي بعدها مما يشاكلها » . وقد ضمن كتابه هذا ما يحتاج اليه أهل الأدب وجمله أبواباً منها ما جاء في قبح التصحيف وذم المصحفين ولكن التصحيف ومن ابتلي به ونوادر من التصحيف ، وما روي من أوهام البصريين وأوهام الكوفيين وتصحيفات لقوم شتى وما صحف في الكتب المشهورة كالحماسة ، وما يشكل ويصحف من أسماء الشعراء ، وما يشكل من أيام العرب واسماء الفرسان وما يصحف في الأنساب

والأماكن الخ . وكلها نافع لمشتغلين في تقويم مناد بعض ما سقط فيه القدماء ، دالة على سبيل النجاة لتوقي المفوات ولقد وقع لي ولغيري ممن عنوا بنشر كتب السلف أمور تضحك من التصحيف والتحريف ، ما كان أولاها بالتدوين كما دون العسكري ما وقع له ولغيره من هذا القبيل في كتابه الممتع . من ذلك أني بقيت سنين أنا وأساتذتي لا نعرف ما هي « حمرايا » وكانت قرية في ظاهر دمشق ، دعا اليها الشاعر الواساني بعض أصحابه من أهل بلده فلما أكلوا وشربوا عبثوا به وبزرعه وشجره ومتاعه ومؤنته ، فنظم فيهم قصيدته البديعة المحفوظة برمتها في يتيمة الدهر للثعالبي . وسمعت بالعرض ذات يوم من أحد معارفي اسم « جمرايا » بالجيم فعرفت أنها هي القرية المقصودة ، ولا تسل عن شدة فرحي لما عرفت أن هذه النقطة الضالة من اسم جمرايا أضلتني وأصحابي أعواماً ، والله أعلم كم أضلت أناساً قبلنا . وجمرايا قرية إلى جانب قرية الهامة على نحو عشرة كيلو مترات من غربي دمشق وعليها ينطبق الوصف الذي وصفها به الواساني .

وكنت أقرأ أيام الطلب مقامات الحريري عند أحد أئمة الأدب فوصلنا في المقامة السادسة المراغية إلى قوله : « ونثرنا العجوة والنجوة من نوطهم » فقال الأستاذ النجوة بالجيم لا بالخاء ، فقلت له إني راجعتها في القاموس فرأيت فيه والبخو الرطب الرديء الواحدة بخوة . فعجب الأستاذ فقلت له ليس هناك داع للعجب ، « رمية من غير رام » و « للفكش في هذه الدنيا إصابات » . ورجعنا إلى شرح المطرزي على المقامات في طبعة بولاق سنة ١٢٧٢ هـ فإذا هي النجوة بالجيم ثم رجعنا الى شرح الشريشي على المقامات المطبوع في دار الطباعة الكبرى الأميرية سنة ١٣٠٠ هـ فإذا فيه : « ن النجوة بالجيم الرديئة هكذا كان يفسرها شيخنا أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور ، وما وجدت في كتب اللغة أن النجوة اسم للتمرة الرديئة ، وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث في كل كتاب يهتم فيه بذكر النخل والتمر فأخبرني أنه ما وجد لها ذكراً وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم في التمر الرديء لا أنها لغة عربية فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده » الى آخر ما قال :

وهذا التحريف أيضاً شغل الشراح هذا الشغل وما أكثر ما نقل النقط !

كنت أقرأ كلاماً للجاحظ وعندي عالم عربي نشأ في البادية فورد معي « وروغان الثعلب وجبن الصقر » فانتبه الأستاذ حالاً وقال : الصقر ليس بجبان بل هو معروف بالشجاعة . ولما رجعنا إلى حياة الحيوان عرفنا أن التحريف جاء من الصفر ، وصحة العبارة « أجبن من الصِّفْرِد » كزبرج وهو طائر جبان ، يقال له أبو نميح .

والناظر في المطبوعات التي تنشر اليوم من كتب الأقدمين يسجل من هذا أشياء كثيرة لا غضاضة على ناشريها إذا تصدى العارفون لإصلاحها فإن من عانى هذه الصناعة يدرك ما يلقاه الناشرون من العنت في تصحيح ما خلفته الأيام من الأصول المحرفة السقيمة فمن أصلح خمسين غلطة وغفل عن خمس غلطات ليس من العدل ان يحمل عليه ويهزأ بعمله بل بالعكس يجب الشكر له وعليه ان يشكر لمن يعرف وقته لإيقافه على ما لم يقف عليه خصوصاً ومن المسلم به ان الثقافات تختلف ونظر الناظرين يختلف فمن استوت أدواته في التاريخ قد يكون ناقصاً في اللغة ومن حفظ من اللغة جانباً قد يكون الى القصور في التاريخ والفلسفة والاجتماعيات وغيرها . ولذا كان الواجب في نشر مثل هذه الكتب ان يعهد بتصحيحها الى غير واحد من المحققين لتجيء سالمة ويرضى عنها العلماء المدققون .

مثال من ذلك ما وقع في الجزء السابع من « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لابن تغري بردي فإن المصححين بذلوا الجهد في تقويم ما لديهم من الأصول وما رجعوا اليه منها فلم يسلموا جملة من الغلط . ومنه في صفحة ٥ — ابن الملك المسعود أقسيس — وصوابه اتسيس أو أتسز أي المجرد من اللحم وهي كلمة تركية ومثله ص ٩٠ محمد المعروف بأقسيس . ص ٢٦ نشأ بقاسيون . وقاسيون جبل دمشق والصواب على ما أرى قاقون من بلاد فلسطين ص ٣٢ — المستشرق البارول رسلان . صوابه البارون دي سلان . ومثله ص ١٤١ كارمونت جانو — صوابه كرمون جانو ص ٣٩ يوسف بن قزأوغلي — صوابه قزأغلي ، أي ابن البنت أو السبط وهي تركيب تركي ٤٨٠ — قلت : وكلمة الشيخ مطاعة ، صوابه وكلمة الشمع مطاعة . ص ١٥٠ وصافيثا ، بالثاء والصواب بالتاء وكذلك في كل محل .

ووقعت عدة أعلام كتبت بالسين وهي بالشين مثل آقوش ومنكورش ص ٢٠٣ صفية خاتون ، والصواب ضيفة خاتون لأنها ولدتها أمها في دار جماعة كانت في ضيافتهم فسموها ضيفة . ص ٢٨٩ — بشقراء من ضياع برزة ، والصواب في الحاشية من ضياع زرع وهي من أرض حوران . ص ٣٠١ — حصن برزة — حصن برزيه

ووقع لناشري كتاب الأغاني على ما بذلوا من العناية البالغة في التصحيح بعض تصحيفات وتحريفات ، ومنها في الجزء السابع (ص ٣٦) إن يزيد بن عبد الملك « كان خرج الى قرين متبدياً به » وعلق الشارح أو الشراح على قرين انها موضع باليمامة يسمى قرين نجدة قتل عنده نجدة الحروري . والصحيح ان يزيد بن عبد الملك وهو خليفة ومصاب بالسل ما كان له ان يتبدى في نجد أو اليمامة ، وبين عاصمة الأمويين دمشق وأول بلاد نجد نحو خمس عشرة مرحلة ، والصحيح أنه تبدى في فدين ، وفدين من أقصى أرض حوران من عمل دمشق ، وكان معظم رجال بني أمية يسكنون في قصور لهم قريبة من دمشق . ثم إن نص الأغاني نفسه يفهم منه غير ما فهمه الشراح ، ذلك لأن أبا الفرج يقول : « إن يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى فدين متبدياً ، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو ابن عثمان» ويقول ياقوت في المعجم: « وسعيد بن خالد بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان بن أبي العاص بن أمية الأموي العثماني الفديني خرج في أيام المأمون وادعى الخلافة بعد أبي العميطر ... » وبذلك استقام اسم البلد على فدين حتماً ، ويؤيد ذلك أيضاً ان المؤرخين قالوا إن الخليفة كان يتنزه في ناحية الاردن ومثل ذلك يقال فيما ورد في ص ٢٨ من هذا الجزء أيضاً أن الوليد بن يزيد خرج يريد « فرتنى » ، وفسروها بأنها قصر بمرو الروذ ، . وما عرف أن الوليد ابن يزيد وهو خليفة ذهب الى مرو الروذ ، وهي على نحو اربعين مرحلة وأكثر من عاصمته . وهذه الكلمة أيضاً محرفة عن فدين ، وليس من المعقول أن يبعد الخليفة عن أم قراه هذا البعد الشاسع .

وورد في الجزء الثامن (ص ١٠٣) قول جميل :

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نصرى أمصر تريد

وقال الشارحون هكذا في الأمالي وفي الأصول وقد قربت نِضوي أي ناقلتي المزيلة ولعل الكلام يستقيم بنضوى أكثر من بُصرى إلا إذا ثبت ان حبيبة جميل كانت ترحل معه من الجزيرة الى الشام ومنها أراد أن يفارقها إلى مصر ·

وفي هذا الجزء أيضاً غلط الناشر بقوله إن إبراهيم بن العباس الصولي هو ابن العباس ابن الأحنف ، وإنما العباس بن الأحنف خاله وعلى ذلك يدل سياق الحديث أيضاً قال : حدثني الصولي قال حدثني القاسم بن اسماعيل قال : سمعت ابراهيم بن العباس يقول : ما رأيت كلاماً محدثاً أجزل في رقة ، ولا أصعب في سهولة ، ولا أبلغ في إيجاز ، من قول العباس بن الأحنف :

تعاليْ نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول المقام ملول

وفي ص ٣٥٣ : أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان قال : سمعت إبراهيم ابن العباس يصف العباس بن الأحنف فقال : كان والله ممن إذا تكلم لم يُحب سامعه أن يسكت ، وكان فصيحاً جميلاً ظريف اللسان لو شئت أن تقول إن كلامه كله شعر لقلت · وهذا القول لا يقوله ولد في والده · ثم إنه ما قال أحد أن في نسب العباس بن الأحنف لقب « الصولي » والصولي لقب إبراهيم بن العباس وابن الأحنف عربي معروف ·

ووقع للعلامة احمد زكي باشا رحمه الله بعض تحريفات في نشره كتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » لابن فضل الله العمري منها تشديده ميم سلمية وسين عسال وهما سَلَمْيَة وعسال بالتخفيف والفتح فقط ، وأعجم السين من سرعين وسميساط ، وأعجم الدال من بلودان وسدوم ، فقال بلوذان وسذوم ، وحرف دير الفاروس باللاذقية بالقاروس في ثلاثة مواضع وهو بالفاء ، وقال حُمة جدن وهي حُمة جَدَر ويقال لجدر أم قيس المعروفة اليوم بمكيس إحدى المدن العشر المعروفة في التوراة وقال « جسر يعقوب » والصواب جسر بنات يعقوب وسمى « العَمْق » « العمقا » وقال « دنين » قرية شرقي حوران وهي ديبين قرية معروفة الى اليوم وزعم أن الترك سموا « تزبب » تمييزاً لها عن نديبين التي في العراق (والأصح في الجزيرة) وأنهم قالوا « إربد » تمييزاً لها عن إربل بأرض الموصل والحقيقة أن

اسم إربد لم يتغير عن هذا الرسم منذ دخول العرب الى عهد الترك الى خروجهم من الديار الشامية . قال ياقوت في معجم البلدان : أرْبدُ بالفتح ثم السكون والباء الموحدة قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين الطريق المغرب . وكانت أرْبد مركزاً من مراكز حمام الزاجل وهجين الثلج ومناور النار المعروفة على عهد المماليك تصل بين مصر والشام ، وقد ورد ذكرها مرات في « زبدة كشف الممالك » لخليل ابن شاهين الظاهري المطبوع في باريز ، والتعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري المطبوع في القاهرة . ولم ترد إربل باللام قط في عهد العثمانيين فقد جاء في التقويم السنوي (سالنامة) عن سنة ١٢٩٨ هـ المطبوع بدمشق باللغة التركية بالدال اربد وكذلك في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي المطبوع في الاستانة وهكذا ينطق بها أهل ذاك الاقليم والأقاليم المجاورة

وبعد فإني كثيراً ما كنت أسمع أن ابن خلدون أجاد في مقدمة تاريخه ولم يجد في تاريخه ، وما عرفت سرّ ذلك إلا لما اقترح عليّ أن أنظر في الجزء الثالث من تاريخه ليعاد طبعه ، وكان طبع في المطبعة الأميرية ، وقديمًا كان اسم الكتاب المطبوع في هذه المطبعة مشهوراً بالدقة والعناية فماذا رأيت فيه ؟ رأيت لما توفرت على النظر فيه تصحيفات مخجلة في الأعلام وغيرها أفسدت المعنى وأضلت القارئ . ولا أغالي إذا قلت إني رأيت في كل صفحة عشر غلطات فظيعة ، دع ما سقط من الكلمات والجمل ، وأحياناً صفحات برمتها : وقد صححت مئة وخمسين صفحة ثم اعتذرت للطابع لأني لا أحب أن أصرف من حياتي حولاً كاملاً في تصحيح جزء من تاريخ ابن خلدون ، على أن تقويمه الآن ليس من المتعذر متى عرفنا المصادر التي أخذ عنها ابن خلدون ، وقد اعتمد في الأكثر على ابن جرير الطبري وابن الأثير الجزري المطبوعين في ليدن بعناية علماء المشرقيات جزاهم الله عن أدبنا ولغتنا خير جزاء ودفع عن كتبنا ما عمت به البلوى من التصحيف والتحريف .

محمد كرد علي

القرآن

بحث علمي تاريخي أثري

(٣)

٦ — القرآن وعلماء النصارى

أقبل فريق كبير من أئمة النصارى وعلمائهم ومفكريهم في بلاد المشرق منذ العصور الغابرة على دراسة القرآن . فدققوا النظر في سوره وآياته . وأمعنوا وتعمقوا في نواميسه وشرائعه، ثم كتبوا عنه الشيء الكثير أو القليل في تصانيفهم وفتاويهم الشرعية . واتخذوه دستوراً في بعض القضايا والفرائض المدنية .

فاذا سرحنا النظر في الملة النسطورية رأيناها قد ازهرت في عهد بني العباس وامتزجت بالخلفاء والامراء والمشترعين قبل سائر الملل النصرانية . ومن مشاهير النساطرة الذين درسوا القرآن وضوابطه وفرائضه في تلك الحقبة نذكر : آل بختيشوع الذين تولوا الطب في بلاط العباسيين ثلاثة قرون كاملة أعني منذ القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر للميلاد [1] . ويوحنا بن ماسويه (+ ٨٥٧ م) رئيس أعظم مدرسة ازدحم الطلاب على أبوابها في دار الخلافة [2] . ويعقوب الكندي (+ ٨٦١ م) فيلسوف العرب وسليل ملوك آل كندة [3] . وحنين بن اسحق (+ ٨٧٦ م) شيخ تراجمة الإسلام ورئيس الفلاسفة والأطباء في عهد المتوكل الخليفة العباسي [4] . وأبا عيسى يحيي بن جزلة (+ ١٠٨٠ م) الطبيب البغدادي صاحب كتاب « المنهاج » وقد أسلم في آخر أيامه ووقف كتبه لمشهد الامام ابي خنيفة [5] .

(١) طبقات الأطباء : لابن ابي اصيبعة : جزء ١ صفحة ١٣٦ (٢) الآداب السريانية : تأليف روبنس دوڤال : صفحة ٢٧٢ و٣٨٦ (٣) زبدة الصحائف في اصول المعارف : تأليف نوفل نوفل : صفحة ٥٠ « المجمع » لم يكن يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب نصرانياً وانما ذلك عبد المسيح ابن اسحق الكندي من أهل القرن الرابع للهجرة ويعقوب عاش في اوائل القرن الثالث .

(٤) مجلة المنارة : سنة ١٩٣٥ صفحة ٨٥٢ (٥) تاريخ مختصر الدول : لابن العبري صفحة ٣٣٩ .

وموفق الملك بن التلميذ (١٠٨١ – ١١٦٤ م) الملقب بسلطان الحكماء[1] خلف مؤلفات كثيرة منها كتاب اشتمل على أحاديث نبوية[2] .

وتفرّغ بعض جثالقة[3] النساطرة وأساقفتهم لإنشاء قوانين مدنية لملتهم استمدوها من أحكام القرآن وسننه . ومن أقدمهم الجاثليق خنيشوع الأعرج (٦٨٦– ٧٠١م) والجاثليق طيماثاوس الأول (٧٨٠ –٨٢٣ م) والجاثليق ايليا الأول (١٠٢٨ – ١٠٤٩م) والجاثليق ايليا الثالث المعروف بأبي الحليم (١١٧٦ — ١١٩٠) صاحب الخطب العربية المشهورة . ثم عبديشوع مطران الموصل مؤلف كتاب « تقسيم المواريث » في القرن الحادي عشر للميلاد . وعبديشوع الصوباوي (+ ١٣١٨ م) مطران نصيبين وهو مؤلف كتاب الشرع البيعيّ والمدنيّ المستعمل عند النساطرة لعهدنا هذا .

وتصدّى غير واحد من قدماء مؤرخي النساطرة لذكر القرآن وتأثيره في القبائل العربية وفي الشعوب المجاورة لها . اشهرهم يوحنا بشابا العربيّ اسقف حلوان بالعراق في القرن السابع للميلاد . ثمّ معاصره برْ فنكايا المؤرخ[4] .

ولميخائيل الكبير بطريرك السريان (١١٦٧ — ١٢٠٠ م) عدّة أحكام مدنية استخلصها من القرآن وجرى بموجبها ابناء ملته . وجاء بعده المفريان[5] ابو الفرج ابن العبريّ (+ ١٢٨٦ م) فخلف فصولاً ممتعة في الشرائع والفرائض اقتبسها من القرآن . وقد أثبت زبدتها في تاريخه المدنيين ولا سيما في مؤلفه المشهور بكتاب « الهدي » . وهو دستورٌ تمشى عليه ابناء ملته في العصور الغابرة وما برحوا يسيرون بأحكامه حتى اليوم . وخصص المؤرخ الرهاويّ السريانيّ فصولاً جمة في مؤلفه «تواريخ الأزمنة » بذكر القرآن ونواميسه واحكامه[6] . وهذا المصنف الفريد قد نشره سنة ١٩٠٠ البطريرك العلاّمة افرام رحماني في مطبعة دير الشرفة .

(١) اعلام العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي — وخريدة القصر للخزرجيّ (٢) طبقات الأطباء : لابن ابي اصيبعة : جزء ١ صفحة ٢٥٥ (٣) الجثالقة جمع جاثليق : أعلى مرتبة دينية عند النساطرة والأرمن (٤) نشر الفونس منكنا تاريخ برفنكايا عام ١٩٠٨ في الموصل (٥) المفريان رتبة دينية عند السريان وهي دون البطريرك وفوق المطروبوليت (٦) تواريخ الأزمنة : للرهاوي : صفحة ١٦٢ — ١٦٣

· وقام عند الموارنة في القرن الحادي عشر داود المطران فنقل عام ١٠٥٩ م عن السريانية الى العربية كتاب « الهدى » أو « المبادي » وهو يتضمن نواميس شتى مستمدة من القرآن ·

ونبغ في الملتين الملكية والقبطية طائفة معتبرة من الكتاب الأعلام تصدّوا لدرس القرآن · فمن الملة الملكية نذكر يعقوب بن صقلان ونفيس الدولة الدمشقي طبيب هولاكو · ولا سيما موفق الدين ابن المطران (٥٨٧ هـ) وقد أسلم في عهد صلاح الدين الأيوبي · فعلت منزلته عند هذا السلطان إلى ما يشبه منزلة الوزارة والادلال حتى على الملوك · اما الأقباط فقد اشتهر بينهم في القرن الثالث عشر للميلاد ثلاثة اخوة من آل العسال وهم : الرئيس المؤتمن وابو الفرج هبة الله والصفي ابو الفضائل ماجد وغيرهم ·

وقد اطلعنا على كتاب ثمين وضعه احد اجلاء الكهنة الشرقيين المعاصرين في « لغة القرآن » وعلاقتها باللغات السامية · فسرد كلّ ما في ذلك المصحف من من اسماء وافعال وعبارات وتراكيب واصطلاحات وقابلها بتلك اللغات · ثمّ شرحها كلها شرحاً دقيقاً وحللها تحليلاً لغوياً محضاً · واعتمد في بحثه مشاهير كتبة الإسلام كالغزالي والجلالين والزمخشري والبيضاوي وغيرهم · ولم يفته في هذا الصدد ما كتبه اهلُ المعرفة والنقد من علماء الاستشراق في ديار اوربا · ولسنا نعرف احداً قبل هذا البحاثة طرق موضوعاً مثل هذا الموضوع من علماء الشرق والغرب ·

ونضمّ الى من ذكرنا اديباً نصرانياً يقال له نعوم البحّاش الحلبيّ عاش في القرن التاسع عشر وامتاز بخطه العربيّ الرائع · ومن بديع ما نقله براعته فاتحة القرآن فإنه كتبها على حبة ارز[1] ·

واذا انتقلنا من الشرق الى الغرب رأينا رهطاً من نوابغ المستشرقين ينافسون المسلمين في درس القرآن وشرحه وتحليله · ويعتنون بتدوين تواريخه واكتناز مخطوطاته ويبكرون الى ترجمته وطبعه · من ذلك ان المستعرب باباغانيني طبع

(١) يومية نعوم البحاش : بقلم الأب فردينان توتل : صفحة ٦

القرآن في مدينة البندقية منذ القرن السادس عشر . وعُدّت طبعته هذه العربية باكورة طبعات القرآن برمتها .

ونشرت مطبعة ليدن بهولندا سنة ١٦١٧ قصة يوسف اعني السورة الثانية عشرة من سور القرآن . وهي اوّل طبعة عربية أبرزتها مطابع اوربا بالشكل الكامل[١] .

ولم يقتصر علماء الاستشراق على طبع نصوص القرآن فقط بل وضعوا تآليف ضافية وافية في تفسيره وتعداد مزاياه . وتوسع قوم منهم في البحث عن « تاريخ القرآن » كالأستاذ بركنشريسر أحد علماء المانيا[٢] . وممن طرق الموضوع ذاته المستشرق اماري الايطاليّ (١٨٠٦ — ١٨٨٩) . فانه صنف تاريخاً للقرآن شاركه فيه العلامة نولدكه وطبعه سنة ١٨٥٨ فأحرز جائزة المجمع العلمي بباريس[٣] . وعاصرهما كاتب سياميّ شهير يقال له برثلي سنت هيلار (١٨٠٥ — ١٨٩٥) فصنف كتاباً عن القرآن وعن الدين المحمديّ طبعه سنة ١٨٦٥[٤] .

وطبع المستعرب لويس ماراجي سنة ١٦٩٨ في بادوا بإيطاليا تفاسير القرآن تأليف البيضاويّ والزمخشريّ والسيوطيّ[٥] . وحذا حذوه المستشرق فليشر (١٨٠١ — ١٨٨٨) فطبع تفسير القرآن للبيضاويّ ١٨٤٦ في ليبسيك[٦] .

وخصص المستشرق بوتيه (١٨٠٠ - ١٨٧٣) بالقرآن حقبةً طويلةً من حياته فكتب فيه بحوثاً مستفيضة لم يُباره فيها كاتبٌ شرقاً وغرباً . وسرد عقائد سائر الأديان الموافقة او المخالفة له . وألمع الى تأثير القرآن في الاجتماع والحضارة والى الأشهر والجمعات التي يقدّسها والى غير ذلك[٧] .

وطبع الدكتور لويس سبرنغر (١٨١٣ — ١٨٩٣) المستشرق النمسويّ كتاب « الاتقان في علوم القرآن » تأليف جلال الدين السيوطيّ[٨] .

---

(١) المشرق: مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٨٣ (٢) المشرق : مجلد ٣٣ سنة ١٩٣٥ صفحة ١٢١
(٣) المستشرقون: بقلم نجيب العقيقي صفحة ١٢٦ (٤) الآداب العربية في القرن التاسع عشر : للأب لويس شيخو : جزء٢ صفحة ١٧٠ (٥) المشرق: مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٨٤ (٦) المستشرقون : صفحة ١٣٥ (٧) المستشرقون : صفحة ٩٣ — ٩٤ (٨) المستشرقون : صفحة ١٤٤

ووضع المستشرق رودلف دفورانك (+ ١٩٢٠) المتوفى في براغ عاصمة بوهيميا تأليفاً جديراً بالاعتبار بحث فيه الفاظ القرآن المعرّبة [١] .

وتفرّغ المستشرق المدقق اوتوبرتزل لدرس « علم قراآت القرآن » وتجويده وفهارس مخطوطاته . وواصل تلك البحوث بجهود مستمرة حتى توفق الى العثور على ستة وخمسين مخطوطاً حفظت في احدى وثلاثين خزانة اكثرها في عواصم اوربا . فوصف كل مخطوط على حدة وذكر منه اوله وأشار الى لائحة فصوله . ثم رتب فهارس تلك المخطوطات ترتيباً علمياً وصدّرها بدرس متين في « علم قراآت القرآن » ونشأته ومصادره . ونشر بحوثه الدقيقة في المانيا بين السنتين ١٩٣٣ و ١٩٣٤

ونشر العلامة نليثو (١٨٧٢ — ١٩٣٨) أشهر سور القرآن فرتبها ترتيباً تاريخياً محكماً . وعلق عليها الحواشي وأردفها بمعجم : يستعين به طلاب اللغة العربية الأوربيون . وقد سرد في كتابه هذا خلاصة البحوث الحديثة عن فقه اللغة العربية وعن أصل القرآن دون ان تفوته مقابلته بسائر اللغات السامية [٢] .

ونقل العلامة مرغليوث (١٨٥٨ — ١٩٤٠) الى لغته الانكليزية قسماً من تفسير القرآن للبيضاوي . وقد برهن في حله بعض المعاني العويصة على تضلع من اللغة العربية وعلى براعة غريبة فيها .

وممن خاض في درس الأبحاث الشرقية وتعمق فيها الأب هنري لامانس اليسوعي (١٨٦٢ — ١٩٣٧) . كتب في العرب والاسلام والخلفاء والسيرة النبوية معتمداً على القرآن [٣] .

اننا اجتزأنا بذكر اليسير من بحوث أعلام النصارى وعلماء الاستشراق عن القرآن . ولو تحرّينا احصاء كل ما دوّنوه عنه في موسوعاتهم او نشروه في مجلاتهم او اثبتوه في تصانيفهم قديماً وحديثاً لتألف من ذلك خزانة من أهم خزائن الدنيا .

(١) الآداب العربية في القرن العشرين : للأب لويس شيخو : صفحة ١٣٠ (٢) المشرق : مجلد ٣٨ سنة ١٩٤٠ صفحة ٢١٣ (٣) المشرق : مجلد ٣٥ سنة ١٩٣٧ صفحة ١٦٩ — ١٧٠

٧ — طرائف عن مصاحف القرآن

لو شئنا ان نسرد كلّ ما ورد من الطرائف والنوادر عن مصاحف القرآن لانقضى العمر دون البلوغ الى الغاية . غير اننا نسترعي القراء إذا أزمعنا ان نطرفهم به من بعض تلك النوادر فنقول :

ذكر ابن النديم في القرن الرابع للهجرة انه ارتحل الى الحديثة وهي مدينة بجوار الموصل . فرأى فيها عند رجل يقال له محمد بن الحسين مصحفاً بخط خالد ابن ابي الهياج صاحب عليّ بن ابي طالب . ورأى هناك ايضاً خطوط الإمامين الحسن والحسين[١] .

وروى سبط ابن الجوزي انه كان في جامع اصبهان قبل احتراقه سنة ٥١٥ للهجرة خمسمائة مصحف مكتوبة بخطوط بديعة مدبجة بصفائح الذهب والفضة : بينها مصحف خطه بيده أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي[٢] وهو الذي أمره الخليفة عثمان ان يجمع القرآن فشاركه في جمعه[٣] . وكان أُبيّ بن كعب حبراً من أحبار اليهود ثم أسلم .

وكتب المقريزي ان خزائن قصر الفاطميين بالقاهرة اشتملت على الفين واربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة جميلة مطعمة بذهب وفضة وغير ذلك[٤] .

ومن أثمن ما وقع عليه نظرنا في القدس الشريف عام ١٨٩٣ : مصحف بديع موشّى بالعسجد واللجين كتبه عبد الله ابن امير المسلمين ابي سعيد عثمان سلطان الجزائر . وهذا المصحف الذي يزين خزائن المسجد الأقصى مكتوب بحبر أحمر وازرق واخضر وقرمزي مُزج بالمسك والزعفران . يرتقي تاريخه الى سلخ ذي الحجة سنة ٥٤٧ للهجرة (٢٨ آذار ١١٥٣ م) . ولما سُرق هذا المصحف منذ بضعة اعوام قامت الحكومة الفلسطينية وقعدت للأمر . وبثت العيون على اللصوص في جميع الأمصار حتى عثرت سنة ١٩٣٦ على المسروق في حانوت احد تجار العاديات بالقاهرة .

---

(١) فجر الاسلام : لأحمد أمين : جزء ١ صفحة ١٩٢ ودائرة معارف القرن العشرين : مجلد ٢ صفحة ٧٠ — ٧١ (٢) مرآة الزمان : للجوزي (٣) الاعلام : لخير الدين الزركلي : صفحة ٢٨
(٤) خطط المقريزي جزء ٢ صفحة ٢٥٦

فاستولت عليه وأعادته الى مركزه في خزائن المسجد الأقصى . ونضرب صفحاً عن ذكر مصاحف ثمينة مصونة في هذا المسجد اطلعنا عليها بذاتنا يتقادم عهدها الى ايام مماليك مصر وسلاطين آل عثمان [1] .

وكان سنان باشا (١٠٠٤ هـ و ١٥٩٥ م) المهندس التركي الشهير من كبار المولعين بجمع نفائس المصاحف والمخطوطات . فقد خلف مائة وستين مصحفاً مرصعة بالدرر والجواهر . وكانت تلك المصاحف مع غيرها من الكتب الثمينة مصونة في خمس وثلاثين صندوقة مطعمة بالياقوت والمعدن [2] .

ومن طرائف ما يروى عن عبد الرحمن الخولاني الحيرازي المتوفى سنة ١٠٠٣ للهجرة أنه كان يقدس القرآن ويعظمه في أمور ما خطرت ببال انسان قبله . فانه صنف تفسيراً للقرآن جمع فيه صناعات المصاحف بأسرها وجعل ذلك القرآن إماماً يقتدى به ويعوّل عليه . ثم استقصى ما في مصحف عثمان بن عفان وضمّ اليه ما لا أثر له في غيره . وبلغ به حرصه الشديد على إجلال القرآن أن اصطنع له بيده كاغداً وحبراً ممتازين ليكون طاهراً بالاجماع [3] .

ويرى المطالع نموذجات شتى من المصاحف النفيسة في دار الكتب المصرية وفي دار الكتب الأزهرية بالقاهرة . ويشاهد مثل ذلك ايضاً في دار الكتب الظاهرية بدمشق وفي دار الكتب اللبنانية في بيروت وفي غيرها من دور الكتب وخزائن المساجد . ويتجلي ذلك خصوصاً في مكة والمدينة واليمن وبغداد والنجف والموصل وحضرموت وطهران واصبهان وتبريز وتونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش ومكناس والاسكندرية واسطنبول وبروسة وادرنة وهلمّ جرّاً . وهذه المصاحف منمقة بصنوف الاقلام العربية بدءاً من القلم الكوفي الأصلي الى القلم البغدادي فالقلم الافريقي فالأندلسي فالريحاني فالياني فالمزركش حتى القلم الديواني والقلم القاعدي في عهدنا .

---

(١) خطط الشام لمحمد كردعلي: مجلد ٦ صفحة ٢٠٠ — ٢٠١ (٢) خطط الشام : مجلد ٦ صفحة ١٩٦ (٣) خلاصة الأثر : جزء ٢ صفحة ٣٦٠

وبلغ تفنن المسلمين في كتابة القرآن وزخرفته ان نسخوه على أصغر حجوم الورق وأوسطها واكبرها . فكتبه بعضهم بحجم البندقة او بيضة الدجاجة . وكتب غيرهم بعض سوره على حبة ارزّ او حبة قمح . ونرى اليوم مصاحف لا يتجاوز حجمها سنتيمترين طولاً وسمكاً وعرضاً مطبوعةً وموضوعةً ضمن قماطر من عسجد او لجين او معدن آخر . زد عليه ان الأقدمين وشحوا فاتحة القرآن ورؤوس سوره واجزاءه واحزابه بتيناء دقيقة الصنع مختلفة الألوان .

وكان في مكتبة مدرسة الأمير جمال الدين الاستادار بالقاهرة عشرة مصاحف بديعة طولُ كلٍّ منها اربعة أو خمسة اشبار في مثلها عرضاً . وكان احدُها بخط ابن البواب (٤١٣ هـ) والآخر بخطّ ياقوت المستعصمي (٦٩٨ هـ) وباقيها بخطوط منسوبة [١] .

وفي خزانة كتبنا الخاصة مصاحف قرآنية نفيسة تفتن الأبصار بفواتحها المذهبة واشكال خطوطها المستبدعة وألوان زخارفها الرائعة : بينها مصحف نادر مكتوب بحبر اسود تتخلل سطوره ترجمة القرآن باللغة الفارسية مكتوبة باللون الأحمر . وفي خزانتنا مصحف ثان دُبّجت عناوين سوره وأجزاؤه كلها بحروف ذهبية والوان شتى واكتنفت صفحاته المستبدعة من اوله إلى آخره بإطار مطعم بالذهب . وفُصلت آياته جمعاء بنقاط ذهبية لامعة . ومما يزيد قيمة هذا المصحف الجميل الرائع انه رابع مصحف حبره ونمقه حافظ الخطاط الشهير . والى القارئ ما كتبه في آخر المصحف ضمن هالة بديعة يحيط بها غصنان مذهبان : « كتبه حافظ القران شهيد الدين الامام سرّ اقبال من تلاميذ سليمان الكاشني اللهم اغفر لي ولهم آمين سنة ثمان وثمانين ومائتين والف — المصحف الرابع » . وفي مكتبتنا كذلك مصحف ثالث طوله زهاء ثلاثة اشبار لا يقلّ عمره عن اربعمائة سنة . ووُشي جلده بنقوش هندسية عربية مذهبة دقيقة الصنعة . وتعلو فاتحة هذا المصحف الثمين رسوم مدبجة بألوان لازوردية وخضراء . وهناك مصاحف شتى نادرة تؤلف اليوم متحفاً مستطرفاً في خزائن ابنتنا جان دي‌طرازي بباريس .

(١) خطط المقريزي جزء ٤ صفحة ٢٥٦

وروى عبد الرحمن الجبرتي عن الشيخ ابراهيم بن محمد سعيد الادريسي المتوفى سنة ١١٨٧ للهجرة [1] قوله: «كان قلمه كلسانه سيالاً . وربما شرع في كتابة سورة من القرآن وهو يتلو سورة أخرى بقدرها فلا يغلط في كتابته ولا في قراءته حتى يتمهما معاً» .

وكتب بعض المسلمين تفسير القرآن كله بألفاظ مهملة اعني خالية من النقاط [2] .

واشهر من عني بمثل هذا التفسير السيد محمود حمزة الحسيني (١٢٣٦ — ١٣٠٥ ه) فانه انشأ للقرآن تفسيراً مطولاً في مجلدين عنوانه «درر الاسرار» والتزم ان تكون كلمات التفسير كلها بحروف مهملة من أولها الى آخرها . ثم ألف معجماً مهملاً سماه «الكمل الى الكلام المهمل» للاستعانة به على التفسير المشار اليه [3] .

واشتهر في عصرنا محمد علي بن بهاء الله زعيم الفرقة البهائية . فانه كتب بظفره كتابات ناتئة لا تقل جمالاً وروعة عن كتابته بالقلم . وبرز خصوصاً بما خطه بظفره على القرطاس من الآيات القرآنية والأمثال الحكمية . وتوفي شيخاً جليلاً سنة ١٣٥٥ للهجرة في «البهجة» بجوار عكا .

وفي مكتبتنا من الخطوط الناتئة قديمة وحديثة أنواع وأشكال نقشت بأظفار ناسخيها وعلى بعضها تواريخ نساختها ترتقي الى نحو مائتي سنة لعصرنا هذا .

٨ — ترجمات القرآن وطبعاتها

لسنا نعرف كتاباً عربياً أثارهم العلماء والباحثين في اربعة اقطار المسكونة كما أثارها مصحف القرآن منذ صدر الاسلام حتى اليوم . تلك حقيقة صادعة لا تفتقر الى برهان يسندها او حجة تدعمها . وهذه الهمم شملت المسلمين وغيرهم على السواء فأكبوا على تلاوته وبالغوا في دراسته . ولم يذروا آية من آياته أو لفظة من ألفاظه أو معنى من معانيه الا شرحوها وتبحروا في تأويلها ودققوا في تحليلها .

وكان السباقون في نقل القرآن الى مختلف اللغات منذ العصور الغابرة احبار

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار جزء ١ صفحة ٣٧٩ (٢) رسالة السلام : مجلة الخوري أنطون عقل في بيروت : سنة ١٥ صفحة ٧٧ (٣) تراجم مشاهير الشرق : لجرجي زيدان جزء ٢ صفحة ١٢٨

النصارى ورهبانهم وقسانهم . وقد عثر بعضهم منذ القرن الثالث عشر للميلاد في جامعة مونبليه بفرنسا على ترجمة للقرآن باللغة اللاتينية . والغريب أن ناقل هذه الترجمة راهب من رهبان النصارى مولود في جزيرة صقلية يقال له دومينيك جرمان . وقد تولى المستشرق داقيك نشر تلك الترجمة في المجلة الآسيوية بباريس[1] .

والأغرب من ذلك ان ابن الصليبي مطران ديار بكر (+ ١١٧١ م) في القرن الثاني عشر للميلاد سبق الراهب دومينيك المشار اليه فنقل الى اللسان السرياني آيات جمة من القرآن ضمها في مؤلف خاص انطوى على ثلاثين فصلاً في مائة واربع واربعين صفحة كبيرة[2] . وقد نشر عام ١٩٢٥ احد تلك الفصول الفونس منكنا (+ ١٩٣٧) نقلاً عن مخطوطة المتحف البريطاني بلندن وأردفها بترجمة انكليزية . ويتقادم عهد تلك المخطوطة السريانية الى سنة ١٧٦١ يونانية الموافقة للسنة ١٤٥٠ للميلاد .

واطلعنا نحن على ترجمة سريانية للقرآن كاملة لا تقل قدماً عن الترجمتين المذكورتين . وهي مخطوطة نادرة أفلتت من نكبة هائلة اجتاحت مدينة الرُّها وأهلها عام ١١٤٥ للميلاد يوم احتلها زنكي ملك الموصل (٥٤٣ — ٥٩١ هـ) . ويتبادر الى الظن ان مترجم تلك النسخة القرآنية العريقة هو باسيل مطران الرها الذي كان من أبرع كتاب تلك الحقبة وأبلغهم .

وممن تطرّق من رجال الدين المسيحيّ في عهدنا الى ترجمة القرآن القس دَيل راعي الكنيسة في زنجبار . فانه نقل القرآن الى اللغة السواحلية المستعملة في تلك الأرجاء ثم طبع تلك الترجمة عام ١٩٢٣ في لندن عاصمة الانكليز .

ونرجح ان كثيرين من أحبار النصارى وقسانهم سوى مَن ذكرنا نقلوا القرآن الى لغاتهم للوقوف على سنن الدين المحمدي ومعارضتها بسنن الدين المسيحي . ونعتقد ان تلك الترجمات محفوظة كلها او بعضها في خزائن الأديار او في دور الكتب شرقاً وغرباً .

وتفرّد علماء الاستشراق خصوصاً بتعمقهم في درس القرآن وترجمته وشرحه وطبعه . فنقلوه الى لغاتهم نقلاً محكماً حتى أصبح في استطاعة الأدباء غير العرب

(١) المستشرقون: صفحة ٣١ (٢) كتاب الجدل: مخطوطة مكتبة البطريركية السريانية ببيروت .

ان يقتنوه ويتصفحوه ويتفهموه . وأقدم ما عرفناه من تلك الترجمات الأوربية المختلفة ترجمة ايطالية وضعها عام ١٥٤٧ المستشرق اندريا اريفابين[1] . وتلتها ترجمات وطبعات غيرها أحصينا منها مائة وعشرين ترجمة في خمس وثلاثين لغة شرقية وغربية . وقد طبعت تلك الترجمات بتوالي الأزمان وتكرر طبع بعضها مراراً لرواج سوقها بين العلماء وأرباب البحث .

وأوفر الترجمات والطبعات عدداً هي الترجمات الانكليزية فالفرنسية فالألمانية فالايطالية . فترجمات القرآن الانكليزية مثلاً وهي احدى عشرة ترجمة بلغت طبعاتها اجمالاً ستين طبعة . منها اربع وثلاثون طبعة لترجمة جورج سيل وحدها . تليها ترجمات القرآن الفرنسية وعددها ثماني ترجمات بلغت طبعاتها اجمالاً سبعاً واربعين طبعة . منها اثنتان وعشرون طبعة لترجمة كزيميرسكي وحدها . تليها ترجمات القرآن الألمانية وعددها ثلاث عشرة ترجمة بلغت طبعاتها اجمالاً ثلاثاً وعشرين طبعة . منها تسع طبعات لترجمة المستعرب اولمان فقط . تليها ترجمات القرآن الايطالية وعددها اثنتا عشرة ترجمة طبع منها اجمالاً احدى وعشرون طبعة لا غير .

وهناك خمس ترجمات للقرآن في كل من اللغات : الفارسية والتركية والاسبانية والهولندية والارمنية والبنغالية .

تليها اربع ترجمات للقرآن في كل من اللغات الصينية والبنجابية والغوجدانية .

ثم تليها ثلاث ترجمات للقرآن في كل من اللغات : اللاتينية والروسية والاسوجية .

تليها ترجمتان في كل من اللغات : الأفغانية والبولونية والمجرية والدنيمركية والسريانية والقشتلانية والسندية .

أخيراً ترجمة واحدة للقرآن في كل من اللغات : اليونانية والبلغارية والسربية والروثانية والالبانية والبرتوغالية والهندوكية واليابانية والجاويه والاردوية والسواحلية .

تلك خلاصة اثبتناها هنا بعدما تقصينا البحث عن ترجمات القرآن وطبعاته في الموسوعات والتآليف والفهارس والمجلات العلمية الموثوق بها .

---

(١) غرائب الغرب : لمحمد كرد علي : جزء ١ صفحة ٢٦٤ — ٢٦٥

٩ – متاحف القرآن

لم يكتف علماء الاستشراق بترجمات القرآن وطبعاته على ما فصلنا بل هبوا منذ القرن المنصرم الى إحياء العلوم القرآنية وتعزيزها من جميع مناحيها . فأخذوا يستنهضون همم أهل المعرفة والنقد ليدرسوها ويستجلوا غوامضها ويعمموا نشرها في الآفاق . وقد نشطتهم الدول الأوربية الى ذلك وساعدتهم مساعدة أدبية ومادية . فأسست الجوامع الفخمة في أشهر العواصم وكبريات الحواضر . وأدرت الأرزاق لأئمة الدين وخدام العلم . ومهدت أمامهم السبل للبلوغ الى الهدف المنشود .

ولنا أصرح مثال على ذلك ما سعى اليه وحققه المجمع العلمي في بافاريا . فانه أخذ على عاتقه النهوض بجمع المخطوطات والنوادر المنطوية على نص القرآن . وعلى تاريخه وعلومه وشروحه وعلى كل ما يتعلق به . فحشد أرباب ذلك المجمع مصنفات وافرة احتوى بعضها على نسخ خطية أصلية وانطوى البعض الآخر على لوحات او صفائح فوتوغرافية نقلوها عن مصادرها . وأنشأوا من تلك المجموعات الثمينة متحفاً قرآنياً وحيداً في بابه كبير القيمة يدهش العقول ويلفت الأبصار . واستأنفوا بعد هذا ينتقون من تلك الذخائر الخطية والشمسية أجودها وأفضلها وأفيدها وينشرونه على نفقة المجمع اعلاء لشأن المعارف (١) .

الخاتمة

الى هنا خلاصة البحث عن « القرآن » ولا بد لي من الاقرار والتقرير بأنه ليس الا قطرة من بحر . لكنه فيما اعتقد بحث جديد جدير بالاعتبار فاستقيته من مناهل صافية ونقلته عن مصادر وثيقة صادقة . ولم اقصد في عملي الا تنبيه من تحدثه النفس ليطرق هذا الباب ويتبسط في درس أصوله وفروعه . و « ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (٢)

فيليب دي طرازي

(١) مجلة « الرسالة » في القاهرة : لاحمد حسن الزيات : سنة ٥ صفحة ٦٣٧

(٢) القرآن : سورة الحديد ٢٩

الحُرْقُوص

١ — حكاية تمهيدية للبحث

اقتنى مبعث الرهبان الكرمليين في بغداد، في سنة ١٨٧٤ م ، بستاناً أنيقاً ، على صدر النهر المسمى بالمسعودي . وقد طُمَّ اليوم ودُفن وكان يبلغ قدره اربعمائة وخمسون ذهباً عثمانياً ؛ وكان يومئذ هذا المبلغ عظيماً . وكان البستان يعرف بالكشفية .

وقد قيل لي : إنه كان ملكاً لشيخ من شيوخ الكشفية [1] ، المشهورة يومئذ في بغداد ، وكان قد وجد المبلغ جسيماً ، فانتهز هذه الفرصة ليبيعه ، ويشتري غيره أكبر منه ، لكن أبعد موقعاً من الأول .

وفي سنة ١٨٩٥ ، طلب اليَّ رئيس المبعث أن اتولى ادارته ، فلبيتُ طلبه ، وبقيت في ادارته نحواً من ٢٥ سنة ، أو اكثر بقليل . وكان عندنا في سنة ١٩٠٣ زراع اسمه صالح ، وله امرأة اسمها شمسة ، وابنة اسمها زهراء . وكان عمرها يومئذ (١٦) سنة . وكانت قوية البنية ، مفتولة العضل ، تساعد والديها في الشغل ، وتقاسمهما اتعابهما .

ومما كان يدل على قوتها ، انها كانت تأخذ العجل على كتفيها . فتنقله من مرعاه الى الضيعة [2] ، ولا تشعر بالتعب وبقيت سنتين وهي أقوى شخص في بستاننا .

---

(١) « الكشفية » وتسمى « الشيخية » أيضاً هي النحلة المنسوبة الى (الشيخ أحمد الاحسائي) التي نشأت سنة ١٢٤٣ هـ . في المدينة المنورة أثناء ذهابه الى الحج ، وكان قد عاش نحواً من ٩٠ سنة وقد قضى أمداً طويلاً في النجف ، من مدن العراق ، وفي إيران . وفي أوائل المائة الثالثة عشرة أظهر نحلته ، وكان على مذهب الاثني عشرية الأصولية . وله مؤلفات فيه . ثم مال الى الباطنية (وهي قسم من المتصوفة) الغلاة منهم فصار يعتقد الجزء الالهي في الأئمة . وبهذا اختلف عن الاسماعيلية . ثم أغرى علماء العراق داود باشا للوقيعة به ، من جراء تحامله على الخلفاء الراشدين ، فهرب الى الحج ومات هناك . » عن المساعد . عن الاستاذ المحامي عباس العزاوي » (٢) الضيعة يسميها العراقيون « الجباعة » والمصريون « العزبة »

ثم رأيتها ذات يوم لاتستطيع حمل الحولي على كتفيها ، فقلت لوالدها : ما بابنتك زهراء ؟ قال : لا أعلم . قلت : اسألها . فسألها . فقالت : اشعر بتعب في جسمي . ولم تقل له الحقيقة ، حياء منها . وبقيت تعاني آلاماً شديدة وتصرخ صراخاً يمنع أهل البستان من النوم .

وكانت تشعر بلذع أليم في موطن خفي من جسدها ، وبقيت تكتم مرضها والآلام تزداد فيها تبريحاً ، وهي لا تنام حتى الصباح ، وأهل البستان يتشكون من شدة صراخها وقلة نومهم . فسألها والدها مرة ثانية : ما بك يا زهراء ؟

قالت : لا أقول ما بي إلا لوالدتي . — فجاءت أمها وأخذتها على حدة ، وقالت لها ، ما بك يا زهراء ؟

قالت : — وهي خجلة — في سرتي ألم محرق ولا أستطيع ان أحتمله .

فأخبرت شمسة زوجها بالأمر ثم جاء صالح وأطلعني على جلية الأمر .

فقلت له : خذها الى طبيب ليداويها .

فقال : نحن العرب لانطلع الرجال على بناتنا ولا على نسائنا ، وان كن في خطر الموت

فقلت له خذها : الى امرأة طبيبة .

فقال : ليس لنا هنا ولا في البلد طبيبة ماهرة .

فتركها تعاني أشد الآلام حتى قضت نحبها ، وكان عمرها يومئذ (١٨) سنة وستة اشهر ، فماتت شهيدة الحياء والعفة والخفر .

ثم مات أبوها حزناً عليها ، ولكونها كانت وحيدة البيت . — ثم بعد سنتين ماتت شمسة أيضاً ، فامحى هذا البيت واندثر ، لأن الصبية لم تؤخذ الى الطبيب

ولما غسلت قبل دفنها ، لاحظت الغاسلة أن حرقوصاً ، كان قد علق بسرتها ، فامتص دمها حتى استنزفه فماتت .

هذا كل ما سمعت بهذا الخصوص ، أي بما يتعلق بأمر الحرقوص . وقد سماه (صالح) بهذا الاسم . وأما الناسلة فسمته بالطبوع . وهو يكون في مبارك البقر ومرابطها . وكم وكم من انثى ماتت لهذا السبب ، ولم تجسر على ان تقول كلمة للشكوى ، حياء وخجلاً !

٢ — حكاية ثانية

كنت أبحث كثيراً عن مثل هذه الحكاية في كتب الأقدمين ، فلم أوفق للعثور عليها في كتاب والأدباء لا يتنازلون الى ذكر مثل هذه الأمور . وعند العرب — دون غيرهم — مثل مشهور : «كل شيء مهاه ما خلا النساء وذكرهن» فكيف يحتمل الرجل ذكر ما يتعلق بأخفى ما في الأنثى ؟

ثم عثرت هذه الأيام على نظير هذه الحكاية في مجلة المجمع العلمي العربي (في السنة ١٧ : ٣٤٣، ٣٤٤) في ما ينشر فيها باسم (جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي) ولكني رأيت في نشره في المجلة من الأغلاط ما اضطرني الى جلب كتاب (الفرج بعد الشدة) من مصر ، وهو للمؤلف نفسه ، وقد وردت فيه هذه الحكاية ، في الطبعة الثانية من هذا الكتاب المطبوع في سنة ١٩٣٨ ، فأعدت النظر لأتحقق مواطن الغلط والخطإ ولم يرد عليّ إلا في هذه الأيام ، وقابلت بين النصين ، فألفيت في هذه النسخة أيضاً أغلاطاً جمة ، فأصلحت النص الواحد بالآخر ، حتى نهضت العبارة تسير على قدميها سيراً قويماً . ودونك هذه الحكاية على ما وردت في كتاب (الفرج بعد الشدة) في ٢ : ١١١ وما يليها ، منقحة على ما تبين لنا ، ونذكر أوجه الخلف الواردة في المجلة أو في الكتاب نفسه لينجلي الأمر كل الانجلاء :

حدثني أبو الفضل ، محمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب ، قال : حدثني القاضي[1] أبو بكر الجعابيّ الحافظ ، قال :

دخلت يوماً على القاضي ابي الحسين ابن القاضي أبي عمر رحمهما الله ، وهو مغموم ، حزين ، فقلت له : لا يغمّ الله القاضي ، فما الذي أراه ؟

فقال : مات يزيد المائي .

فقلت : يبقي الله قاضي القضاة أبداً . ومن يزيد المائي ، حتى اذا مات ، اغتمّ عليه قاضي القضاة هذا الغم كله ؟

---

(١) ليست في المجلة

فقال : ويحك ! أمثلك يقول هذا في رجل أوحد في صناعته قد مات ، وما ترك في حذقه أحداً قط[١] ؟ وهل تفخر البلدان[٢] إلا بكثرة رؤساء الصنائع[٣] ، وحُذّاق أهل العلوم فيها[٤] ؟ فإذا مضى رجل لا مثيل له في صناعته ، بدّل الناس فرحهم بالترح[٥] ، وهل يدل هذا إلا على نقصان العالم وانحطاط البلدان ؟

قال : ثم اقبل[٦] يعدّد فضائله ، والأشياء الطريفة التي[٧] عالجها ، والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره ، فذكر من ذلك أشياء كثيرة ، كان منها أن قال[٨] : لقد أخبرني منذ مدة طويلة ، رجل من جلة أهل هذه البلد ، أنه كان قد حدث بابنةٍ له علة[٩] فكتمت أمرها عنه ، ثم اطلع عليها ابوها ، فكتمها هو أيضاً[١٠] مدة ، ثم انتهى امر البنت الى حدّ الموت .

قال : فقلت له لا يصح ترك علاج هذا ، وكتمان اكثر من هذا[١١] .

قال : فكانت العلة ان فرج الصبية كان يضرب عليها ضرباناً عظيماً ، لا تنام منه الليل ، ولا تهدأ النهار ، وتصرخ من ذلك أعظم صراخ ، ويجري منه في خلال ذلك دمٌ يسير كماء اللحم ، وليس هناك جرح يظهر ، ولا ورم كثير مزيد .[١٢]

قال : فلما خفت الآلام[١٣] ، احضرتُ يزيد ، فشاورته ، فقال أتأذن لي في الكلام ، وتبسط عذري فيه ؟ قلت نعم :

قال : لا يمكنني ان اصف شيئاً دون ان أشاهد الموضع بعيني ، وأفتشه بيدي ، وأسائل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة .

قال : فلعظم الضرورة[١٤] ، وبلوغها حدّ التلف ، أمكنته من ذلك . فأطال مساءلتها ، وحديثها بما ليس من جنس العلة . وبعد أن جسّ الموضع من ظاهره ،

---

(١) في المجلة : « ولا خلف له ولا أحد يقاربهُ في حذقه » (٢) « وهل فخر البلد »
(٣) كون الرؤساء «الصناع» (٤) «وحذاق أهل العلم فيه» (٥) «ولا بد للناس منها»
(٦) « ثم قال بعد ذلك . وأخذ يعدّد » (٧) « والأشياء الطريفة التي عالج بها »
(٨) «لم يتماق [لم يعلق] أكثرها بحفظي . قال : وكان منها أن قال.» (٩) [علة طريفة]
(١٠) « ثم أطلعه عليها ، فكتمها هو مدة » (١١) « قال : فقلت لا يسعني كتمان هذا أكثر من هذا» (١٢) « ولا ورم كثير مزيد [كذا] » (١٣) في الكتاب والمجلة: [فلم خفت الألم] (١٤) في الكتاب : [فلعظم الصورة]

وعرف بقعة الألم ، حتى كدتُ أبطش [١] به ؛ ثم تصبرتُ ورجعت الى ما أعرفه من سترها ، فصبرتُ على مضض الى ان قال :

تأمر من يمسكها . ففعلتُ ؛ ثم أدخل يده في الموضع دخولاً شديداً ، فصاحت المرأة ، وأغمي عليها ، وانبعث [٢] الدم ، وأخرج في يده حيواناً ، أقل من الخنفساء ، فرمى به فجلست الجارية في الحال ، وقالت : يا أبت ، استرني ، فقد عوفيت .

فأخذ يزيد الحيوان بيده [٣] ؛ وخرج من المحل ، فأجلسته [٤] وقلت له : أخبرني ما هذا ؟

فقال : ان تلك المساءلة التي لم اشك في انك انكرتها ، انما كانت لأطلب دليلاً استدل [٥] به على سبب العلة ، الى ان قالت : انها في يوم من الأيام ، كانت جالسة في بيت [٦] دواب من بستان لكم ، ثم حدثت العلة بها ، من غير سبب [٧] تعرفه .

فلما كان في صفته الضربان ، تخيلت انه قد دبّ الى فرجها [٨] من القردان التي تكون على البقر ، وفي بيوته قراد ، قد تمكن من أول داخل الفرج ، وكلما امتص الدم من موضع ، ولد لها ضرباناً [٩] ، وأنه اذا شبع ، خفّ الضربان ، لانقطاع مصه ونقطت من الجرح [١٠] ، الذي يمتص منه الى خارج الفرج ، هذه النقط اليسيرة من الدم .

فقلتُ : ادخل يدي ، وأفتش ؛ فأدخلتها ، فوجدت القراد فأخرجته . وهو هذا الحيوان ، وقد تغيرت [١١] صورته من كثرة ما امتص من الدم مع طول الأيام .

قال : فتأملنا الحيوان ، فاذا هو قراد ، وبرأت المرأة [١٢] .

(١) [حتى كدت أن أثب به] (٢) [وانبث الدم] (٣) [واستترت وقالت : يا أباه ، سترني ، فقد عوفيت قال : فأخذ الحيوان في يده] (٤) [فلحقته وأجلسته وقلت له] (٥) [إنما كنت أطلب شيئاً أستدل به] (٦) [انها في يوم من الأيام جلست في بيت دولاب بقر] (كذا) (٧) [من غير معرفة من ذلك اليوم] (٨) [فخلت أنه قد دبّ الى فرجها] (٩) [فلما امتص الدم من موضعه ، ولد الضرَبان] (١٠) [نقط من الجرح الذي يمص منه] (١١) [قد كبر وتغيرت صورته] (١٢) [قال وأراني الحيوان، واذا هو قراد، قال : وبرئت الصبية] .

قال مؤلف هذا الكتاب : ولم يذكر القاضي ابو الحسن في كتابه هذا الخبر ولعله اعتقد انه مما لا يجب ادخاله فيه[1] » انتهى .

قلنا : ولم نجد الراوي ، ولا المروي عنه ذكر الاسم الخاص بهذا القراد ، أي انه لم يسمه (الحرقوص) ، بل باسم عام هو (القراد) كما رأيت .

واما انه الحرقوص بعينه ، فظاهر من كلام زراعنا (صالح) ومن الوصف الدقيق الذي وصفه به صاحب (الفرج بعد الشدة) وصاحب (الغكم) بحيث لا يبقى ثم أدنى شك كما ترى مما يأتي نقله .

٣ — الحرقوص في نظر صاحب المحكم وجماعة من اللغويين

قال في المحكم : « الحرقوص » هنَّ مثل الحصاة ، صغير أريقط بحمرة وصفرة ، ولونه الغالب عليه السواد ، يجتمع ويتلج تحت الأناسيّ وفي ارفاغهم ، ويعضهم ، ويشقّ الأسقية .

وفي التهذيب للأزهري — وهو من أعظم لغويي العرب وارسخهم قدماً في معرفة لغى القبائل على اختلاف ديارهم — ما نصه : « دويبة صغيرة تثقب الأساقي وتقرضها . » — وقال سمعت الأعراب يزعمون انها تدخل في فروج الجواري . وهي من جنس الجعلان ، إلا انها اصغر منها ، سود منقطة ببياض . قالت أعرابية :

ما لقي البيض[2] من الحرقوص   من مارد[3] لص من اللصوص
يدخل تحت الفلق[4] المرصوص   بمهر لا غالٍ ولا رخيص

أراد بلا مهر . قال الأزهري : ولا حمة لها اذا عضت ، ولكن عضتها تؤلم لا سمَّ فيه كسمّ الزنابير . »

قال ابن بريّ : معنى الرجز : ان الحرقوص يدخل في فرج الجارية البكر . قال : ولهذا يسمى « عاشق الأبكار » فهذا معنى قوله : تحت الفلق المرصوص بلا مهر . » قالوا وجمع الحرقوص : الحراقيص .

(١) فقال لي أبو الحسين القاضي : فهل ببغداد اليوم من له في الصناعة مثل هذا ، أو ما يقاربه ؟ — فكيف لا أغتم بموت من هذا بعض حذقه (٢) في نسخة : الناس (٣) في نسخة الجمهرة : فاتك
(٤) في الجمهرة : بيت دون الحلق .

٤ – الحرقوص على ما وصفه العرب غير ما ذكر

لم يتفق لغويو العرب على ان للحرقوص معنى واحداً كما تقدم بسطه ؛ وذلك لأن الكلمة الواحدة قد يكون لها معنى في قبيلة غير المعنى المعروف في القبيلة الأخرى ، وقد يكون لها معنى في بلد عربي اللسان ، ولا يكون لها ذلك المعنى عينه في البلد الآخر . ولهذا نذمّ عمل من يحصر المعنى الواحد للكلمة الواحدة ، في حين ان لها معاني شتى يختلف الواحد عن الآخر . يشهد على ذلك ما للحرقوص من المعاني المتنوعة بحسب البلاد والقبائل . ونحن ننقل عن التاج ما جاء في هذا الصدد ، لنبين للباحثين انه لا يحسن بهم أن يجعلوا معنى واحداً للفظ الواحد ، اذا كان ثمّ عدة معان ، وهم يفعلون ذلك ذهاباً وراء ابناء الغرب ، لكن لساننا يختلف عن ألسنتهم ، ومزايا لغتنا غير مزايا لغتهم . ولذا يجب علينا ان نراعي حقوق السلف في مثل هذا الموضوع . قال السيد مرتضى في تركيب (ح ر ق ص) :

[١] « الحرقوص ، بالضم ، دويبة كالبرغوث ، ربما نبت له جناحان ، فطارت نقله الجوهري .

[٢] وقيل : هي فوق البرغوث .

[٣] وقال الليث : هي دويبة مجزعة ، حمتها كحمة الزنبور ، تشبه بها السياط .

[٤] أو دويبة صغيرة كالقراد ، تلصق بالناس . عن ابن دريد . قال الشاعر :

زكة . عمار . بنو عمـــار مثل الحرافيص على الحمار

[٥] او هي أصغر من الجعل . عن ابن السكيت .

[٦] ما نقلناه في صدر الديرة الثالثة . وكل ما ورد في سائر الكتب لا يخرج عن أحد هذه الأقوال ، أو عن طائفة منها .

فالحرقوص بالمعنى الأول يقابله بالفرنسية على رأينا Larve du cousin

وبالمعنى الثاني Ascaride combrical

وبالمعنى الثالث Tenthrède ، وهو كثير الوجود في العراق ، وجزيرة العرب .

وبالمعنى الرابع هو النسانس ، والطمج والكتان (زنة رمان) وبالفرنسية Punaise

وبلسان العلم[1] Cimex . وهذا يتعرض للحمام والخفاش والحمار ولغيرها من أنواع الهوام والحشرات .

وبالمعنى الخامس معروف في الأرجاء الشمالية من العراق، واسمه الفرنسي Pentatome

وأما المعنى السادس فهو الشائع عند اغلب العرب ، وهو الذي وصفناه في هذا المقال . وبهذا المعنى ذكرنا الحكايتين .

وقد جاء الحرقوص بمعنى غير المعاني الستة التي ذكرناها هنا . فقد ورد مضافاً الى الحديد ، إذ قال السلف من أهل الكيمياء والصيدلة : « حديد الحرقوص » وهو تصحيف لقول الفصحاء منهم : « حديد الخلقوس » وهذه الكلمة يونانية من Khalkos أي نحاس . والمراد بحديد الحرقوص . النحاس المحرق الذي يسميه العراقيون : « راسخت » وهذه فارسية الأصل . قال ابن ميمون وغيره : « الروسختج هو النحاس المحرق الذي تسميه عامة المغرب : « حديد الحرقوص » انتهى

٥ – الحرقوص في تحقيق العلماء

اسم الحرقوص عند علماء الحشرات Ixodes ، والكلمة يونانية الأصل معناها : اللاصق ، والملتصق ، واللزج . وهو ضرب من العناكب ، من رتبة هوام الجرب ، ملوز الشكل ، وقد يكاد يكون مداراً ، واذا كان قتيناً ، كان مبسوط الجسم ،

(١) أنكر بعض المتفصحين قول الأدباء : « لسان العلم » زاعمين أن ليس للعلم لسان ليتخذ في الكلام . قلنا : وهذا لا شك فيه ، لكن الذين يقولون لسان العلم ، يريدون لسان أهل العلم ، كما لا يخفى على كل شاد من العربية وأحكامها . وهذا ما يسمى باب حذف المضاف وإبقاء المضاف اليه ، ومنه في سورة يوسف : [واسأل القرية] . فهل للقرية لسان حتى تجيب على السؤال ؟

وقالوا : فلان يلبس السواد والبياض ، يعنون به الأسود والأبيض، وهو على تقدير ذي السواد وذي البياض — وفي الحديث يا خيل الله اركبي ، أي يا فرسان خيل الله اركبي . —

وقال اللغويون : [ومن أمثالهم : حلفت بالسمر والقمر . ولا آتيك السمر والقمر ، ولا أفعله السمر والقمر ، ولا أكلمه السمر والقمر . أي سواد الليل وبياضه بطلوع القمر ، او ما دام ظل القمر واشراقه . يعني أبداً . وكله على تقدير محذوف . أي مدة وجود السمر والقمر . كما في قولهم : لا أكلمه القارظين ، أي مدة غيبة القارظين . [انتهى]

ومثل هذا كثير في كلامهم ولا يكاد يحصى عداً .

وينتفخ اذا امتلأ من دم الحيوان الذي يعيش عليه ، أو اذا امتلأ بيضاً ، وهو أسمر اللون الى دكنة . صلب الجلد ، مندغم الرأس بالصدر ، صغيره بالنسبة الى سائر جسمه . وله مجاسّ ذات أغمدة ، ومِمصّ قرنيّ القوام ، وله انف بارز ، قصير ، كأنه مقطوع قطعاً ، وله اكارع ذوات عقاقيف ، تمكنه من ان يتشبث بما يشاء من الأجسام ، ويكون في البلاد الحارة عالقاً بأنواع الأنبتة ، لا سيما بالرَّتم والرمث وأشباههما ويعلق بالحيوانات التي تحتك بها ، اي بالكلاب ، والخيل ، والبقر ، والقططة ، والغنم ، بل يتعرض للإنسان فيؤذيه أذية تشبه اللذع ، فيضطره الى الحك ، فيحمر المكان ، ويرم ، وينتفخ .

وهو ضروب ، منها : القَمْقام ، والعَلّ ، والطِلّح ، والبُرام ، والقُرْشوم ، والنبر (بالكسر) والضُفّ (بالضم) ، والكُرّاش (كرمان) ، والعِلْهِز (كزبرج) (منقول عن معجم لتره الطبي الفرنسي بتصرف قليل)

٦ — أسماؤه في لغتنا

يسمى [الحرقوص] : (الحرقوس) أيضاً ، بالسين . ذكره اللغويون . — ومن اسمائه (النهيك) كأمير ، فعيل بمعنى فاعل ، لأنه ينهك من يتعرض له أي يضنيه ويجهده .

ويسمى أيضاً (النُّهَيْك) كزُبير بالتصغير ، لتعظيم اذيته ، وهو تصغير تعظيم لأذية من يتشبث بلكمه .

وهو (النُّهَيْكَة) أيضاً ، بزيادة هاء في الآخر وهي للمبالغة . قال في مستدرك التاج في (ن ه ك) : و (النهيكة) : دابة سويداء مدارة ، تدخل مداخل الحراقيص »

. وسموا ولد الحرقوص : (حَبرْقَصاً) ويقال له (حبرقس) بالسين أيضاً . وقد ذكر الجاحظ في كتابه الحيوان (٦ : ١٥٥) من طبعة الساسي ، لكننا لم نجد فيها سوى أبيات شعرية ، وليس فيها فائدة علمية جديدة تزيد على ما ذكرناه .

وقد سماه كثيرون (عاشق الأبكار) لأنه يتلج في اسرارهن ، وأغلب

كبار اللغويين ذكروه في مادة حرقوص ، لا في موطن آخر[1] .

وهناك ضرب من الحرقوص اسمه (حَرْقصى) ، كَجَبْرَكى [أي بفتح الأول والثاني وإسكان الثالث وفتح الرابع يليه الف مقصورة] قاله ابن دريد وابوزيد . والواحد حَرَقْصاة ، بالهاء عن ابن عباد .

وثم أيضاً (الحُرْقصاء) كقرفصاء . نقلها ابن سيده . ولم يحلها . وقيل : هي الحَرَقصى الذي ذكره ابن دريد وابوزيد . ونحن نوافق على ذلك والكلمة تعريب Argas ، مبنى ومعنى ، أو يكاد .

٧ — رأي المستشرقين

من أقدم المستشرقين ايطالي اسمه (انطونيو جيجيو) المتوفى سنة ١٦٣٢ م . ويعقوب غوليوس ، وهو هولندي ، وتوفي سنة ١٦٦٧ . وقد اتفق كلاهما على ان الحرقوص (وضبطا الكلمة خطأً بفتح الأول) : ضرب من الهوام يشبه البرغوث ، وقد ينبت له جناحان فيطير . ولم يتمكنا من معرفة اسمه العلمي

ثم جاء الألماني جورج غليوم فريتغ المتوفى سنة ١٨٦١ ، فقال في معجمه العربي

(١) ومن أسمائه [النبر] بنون مكسورة يليها باء موحدة تحتية ساكنة ، يليها راء قالوا : هي دويبة أصغر من القراد ، تلسع فيتنبر موضع لسعتها ويرم . وقيل هو الحرقوص . وقال الأزهري : ولا حمة لها اذا عضت ، ولكن عضتها تؤلم ألماً لا سم فيه كسم الزنابير] اه

وكذلك قال الدميري وهذا كلامه :

(النبر ، بالكسر : دويبة شبيهة بالقراد لكنها أصغر منه اذا دبت على البعير تورم مدبها والجمع نبار وأنبار ..) وليست بذبابة ، كما توهم أحدهم ، والنبر بلسان العلماء أي بلسان أهل العلم أو بلسان العلماء) Ixodes camelorum وهو قراد صغير أكثر ما يتعرض للإبل ، وسماه آخرون : Cimex camelorum والمعنى واحد وان اختلف اللفظان ، لكنه ليس بذباب كما ذهب اليه أحدهم ، فقال عليه : (ذباب كذا يتطفل على الغنم والابل والبقر والخيل فيتولد منه النغف (كذا) والنبر لا يلسع (كذا) والجميع يقولون إنه يلسع وانما يبيض تحت الجلد والمشهور أن النبر يبقي بيضه في بطنه ، ويخرج منه نغف ؛ اما في الجلد أو في مجاري الأنف ، أو في المعدة . ولما كان النغف لا يلسع قالوا عنه (كذا) أي قالوا عليه دويبة إذا دبت على البعير تورم جلده وانتفخ ، وربما يكون ذلك سبب هلاكه ، انتهى . قالوا : واسمه بالانكليزية Botfly والحال أن Botfly هو النعرة لا النبر . والوهم يسير ان شاء الله اذ الفرق هو بين النون والعين من جهة ، والنون والباء من جهة أخرى . فتأمل .

اللاتيني ما معناه : «الحرقوص ويجمع على حراقيص : ضرب من الهوام يشبه البرغوث ، وقد ينبت له بعض الأحيان جناحان ويتمرض للناس . »

« وقال آخرون : (هو حشرة مجزعة بأحمر واصفر . وذهب جماعة الى أنه أكبر من البرغوث ويلسع لسعًا مؤلمًا ، وله جناحان . — وثمّ فريق ذهب الى أنه البرغوث » انتهى كلام الألماني .

فأنت ترى ان فريتغ أطول نفسًا من غيره وامتع تعريفًا منهم ؛ لكنه لم يذكر لنا اسمها العلمي . وهؤلاء اللغويون الثلاثة صنفوا معاجمهم بالعربية واللاتينية . وقد عربنا كلامهم هنا نقلاً عن دواوينهم .

واما (قزميرسكي) فكان مستشرقًا بولونيًا ، ذهب الى فرنسة ، واتخذها وطنًا له بعد وطنه الأول ، ومات فيها في نحو سنة ١٨٧٠ ، ووضع معجماً ضخماً ، طبع مرة في باريس ثم في مصر ، وما هو بالحقيقة : إلا نقل معجم فريتغ الى الفرنسية مع بعض زيادات طفيفة . وقد قال في الحرقوص ما معنـاه : « حشرة مجنحة » ولم يزد على هذا القدر الزهيد .

وفي الآخر ، جاء اللغوي الانكليزي (لين Lane) ووضع معجماً عربيًا انكليزيًا ، سماه (مدّ القاموس) وهو من أحسن المعاجم الى حرف الراء ، لكنه توفي بعد ذلك وأكمله غيره إكمالاً سيئًا ، لأن المسودة لم تكن كاملة بيده بعد وفاة مؤلفه . وقد نقل (لين) المعاجم العربية الى الانكليزية نقلاً متقنًا دقيقًا بل في غاية الدقة ، كل ما جاء من الكلام على الحرقوص في الصحاح ، والأساس والقاموس ، والتاج ، لكنه لم يعرف اسمه العلمي ، ولذا لم يذكره لنا . ولما كان الكلام المذكور منقولاً في ما دوّناه نحن هنا ، لا حاجة لنا إلى إعادته ولا نتعب القارئ بالوقوف عليه ثانية على غير طائل .

٨ — رأي علمائنا المعاصرين

ظنّ أحدهم ان الحرقوص هو (ام اربع واربعين) ، وذكر من اسمائها (أم سبع وسبعين) ، و (الحريش) ، و (العقربان) ، و (دخال الأذن) ، و (دخالة الأذن) ،

و (الدُّخال) كرُمان ، و(الدُّخَّال) : بضم الدال المهملة ، وفتح اللام الأولى ، و (أُلحرقص) كهدهد ، بلسان أهل السودان ، و (أبو مقص) . فهذا كلّه رأي قائل لا قوام له . بل نقول: كان السكوت أولى من هذا الخلط .

قال : ان اسمه بالانكليزية Earwig واسمه العلمي Centipede وفي موطن آخر من كتابه ، قال اسمه العلمي المشهور : Forficula Auricularis .

أما الدكتور محمد شرف بك فقد أصاب بعض الاصابة حين قال في مادة : Ixodes « اكسودس — حشرة الطلح من نوع حيوانات الجرب : جنس الطِلح من القراد . » فنعترض على هذه الألفاظ : انه كان في غنى من استعماله : اكسودس ، ولا حاجة به الى قوله « حشرة » وكان حسبه ان يقول : حرقوص والجنس هو حرقوصيات . وأما الطلح . وكذلك الطليح ، فليس من الغلط .

٩ — نظرة مجملة في الحرقوص .

اتضح بما بسطناه الى هنا ، ان للحرقوص عدة معان ، وكل معنى خاص بقبيلة دون القبيلة الأخرى ، أو ببلدٍ عربيٍّ دون بلدٍ آخر ؛ وان لم يبين اللغويون هذا الأمر . ومثل هذا كثير النظائر في لغتنا . فان للعجوز مثلاً أكثر من ستين معنى . وقد نظم الشيخ يوسف بن عمران الحلبي قصيدة مدح بها قاضياً ، جمع فيها جميع معاني (العجوز) ، وختم كل بيت بكلمة (عجوز) ؛ إلا ان معانيها تختلف باختلاف مواقعها في كل بيت من تلك الأبيات . وربما جمع في البيت الواحد ذكر العجوز مرتين أو ثلاثاً ، بل ربما أربعاً ، ولها في كل مرة معنى يختلف عن معنى اللفظ الذي سبقه . وعدد الأبيات ستون . وقد ذكرها الشارح في ديوانه في مادة (ع ج ز) .

ولم تنفرد العربية بهذه المزية ، ففي اللغات الغربية أشباه ونظائر لا تحصى . وكفاك بحثاً ان تنظر في معجم انكليزي لتحقق بنفسك ما ننبهك عليه . وكذلك يقال في الألمانية والفرنسية والايطالية .

ولهذا نقبح ونرذل رأي من يحصر لفظ (الحرقوص) في معنى واحد ، ويلح على ان لا يكون له إلا معنى واحد . فكيف لو قلت له معنيان ، أو ثلاثة ، و سبعة ، او أكثر ؟ !

١٠ — أصل كلمة (الحرقوص)

قد يكون أصل (الحرقوص) عربياً محضاً ، منحوتاً من (الحرق) . و (القرص) ، لأن قرص بعض أنواعه محرق كل الاحراق ، وشديد الايلام . او ان الحرق هنا بمعنى (الخرق) ، بالخاء المعجمة لخرقه المكان الذي يمص منه الدم ، على ان هناك من يقول : ان الكلمة يونانية الأصل ، لأن اليونانيين عنوا بتدوين اسماء الحشرات والطيور والحيوانات والنباتات منذ أقدم الأزمنة ، وتركوا لنا تصانيف في هذه المباحث ، لا تزال الأسس الثابتة والمكينة لها الى عهدنا هذا .

فالحرقوص قد يكون من اليونانية Euchroeus أو Euchrée أي الحسن اللون ، أيا كان ذلك اللون . وحسن الألوان تتبع الأشخاص : فقد قيل : لا جدل في الأذواق ولا في الألوان Degustibus et coloribus non disputandum

١١ — الخلاصة

جاءت الحرقوص بمعان مختلفة عديدة ، وكل معنى خاص بقوم دون قوم من العرب ، وبقبيلة دون قبيلة ، أو ببلد دون بلد من ديارهم ، فلا يحسن بالقارئ ان يحصرها جميعها بقوم واحد ، أو بمعنى واحد ، فهي موزعة على طوائف من القبائل ، ويجب ان تحترم ، ويعطى كل ذي حق حقه . وهكذا لا يقع خبط ولا خلط ، فتسلم بذلك لغى القبائل ، وتسلم الألفاظ من تعاكس المعاني ، وبذلك أيضاً يسلم اللسان من المفاسد والتشاكس ، لكن اشتهر (الحرقوص) بالحشرة التي تسمى بلسان العلم Ixode . وهذا خلاصة هذه المقالة الطويلة المملة .

(بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي

دير الفاروس

بجانب اللاذقية

من الغريب ، أن هذا الدير لم يذكره الشابشتي في كتاب « الديارات » ، ولا البكري في « معجم ما استعجم » ، ولا ياقوت الحموي في « معجم البلدان » !

ودير الفاروس ، من أقدم الديارات في الشرق ، فإن تأسيسه يرقى إلى صدر النصرانية . وأقدم ما انتهى إلينا من أخباره يعود الى سنة ١٨١ للميلاد ، فقد ذكر الرحالة الانكليزي ولبول (F. Walpole) في رحلته الشرقية [1] أنه وقف في مدينة اللاذقية على نسخة خطية من الكتاب المقدس ، مكتوبة بخط مليح ، ومحافظ عليها أحسن محافظة ، بالرغم من مرّ العصور عليها . ولقد كتب هذه النسخة ثيودُسيوس الأسقف اليوناني ، سنة ٤٩٢ يونانية (= ١٨١ م) فهي إذاً من مخطوطات المائة الثانية للميلاد . ثم قال : إنه في سنة ١٧٢٧ يونانية (= ١٤١٦ م) وَجد الأسقف نقفور (Nicephorus) أن صفحة العنوان من هذه المخطوطة أصبحت لعتقها غير مقروءة ، فأعاد كتابتها طبقاً لما هي عليه في الأصل ، ثم أثبت ختمه فيها دلالةً على صدق « التاريخ » الوارد في الصفحة التي أصابها البلى . وهذه النسخة الغابرة العهد ، كتبت لكنيسة « فاروس » وهي كنيسة كانت تعرف باسم « القديس جرجس [2] » حينما نهبها الترك ، وبات من الصعب اليوم معرفة أخربتها في خارج المدينة .

ومما ذكره ولبول أيضاً ، أنه وجد هناك نسخة عربية من الكتاب المقدس ، كتبت لكنيسة الفاروس سنة ٧٩٣ يونانية (= ٤٨٢ م) . كما أنه رأى هنالك نسخة خطية من

(1) The Ansayrii, and the Assassins, with Travels in the Fur- -ther East, in 1850—51, including a Visit to Nineveh. (Vol. 3, London, 1851; pp. 83—86)

(٢) لا يمكن أن تكون هذه الكنيسة ، منذ بدء تأسيسها ، قد سميت باسم [القديس جرجس] لأن هذا مات نحو سنة ٣٠٤ م . في حين أن خبر المخطوطة أعلاه كان في سنة ١٨١ م . وهي الى ذلك ليست سنة تأسيس الكنيسة كما لا يخفى .

تفسير الكتاب المقدس ، فيها ورقة حوت نبذة تاريخية جزيلة الفائدة ، نقلها الى الانكليزية في كتابه المذكور . ومما ورد فيها أنه لم يتبقَّ للنصارى في مدينة اللاذقية ، وذلك سنة ٦٦٧ للهجرة (= ١٢٩٦ م) غير عشر كنائس ، وقد ذكرها بأسمائها ، مع عدد قسوس كلٍّ منها في ذلك التاريخ . ومن بين تلك الكنائس العشر ، كنيسة الفاروس (El Farous) قال انَّ فيها ستة قسوس .

فهذا الخبر الأخير ، يرتقي الى المائة السابعة للهجرة .

وأقدم ما وقفنا عليه في المراجع العربية ، في صفة هذا الدير ، ما ذكره شمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الرَّبوة (المتوفى سنة ٧٢٧ هـ) . قال ما هذا نصه :

« وبها [أي باللاذقية] دير الفاروس ، من أعجب البناء في الدبور ، وله يوم في السنة [1] تجتمع النصارى اليه [2] » اهـ .

وقد نقل المستشرق لسترنج (Guy le Strange) قول شيخ الربوة في هذا الدير الى الانكليزية ، في كتابه فلسطين في عهد الإسلام [3] .

وممن ذكر هذا الدير ، البلدانيُّ المؤرخ أبو الفداء (المتوفى سنة ٧٣٢ هـ) ، في عرض كلامه على اللاذقية فقال إنها « بلدة ذات صهاريج ، وهي على ساحل البحر ، وبها ميناء مفضلة على غيرها . وبها ديرٌ مسكونٌ يعرف بالفاروس ، حسن البناء » [4] .

وقد تصحف اسمُ هذا الدير في « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العمري (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) الى دير القاروس [5] ، قال بصدده :

« دير القاروس : على جانب اللاذقية ، من شمالها ، وهو في أرضٍ مستوية ، وبناؤه مربع ، وهو حسن البقعة . وفيه يقول ابو عليّ حسن بن علي الغزي :

---

(١) كانت كنيسة هذا الدير في عهد شيخ الربوة ، تعرف بكنيسة القديس جرجس . ولهذا القديس عيدٌ يقع في ٢٣ نيسان من كل سنة . وعندنا أن اليوم الذي تجتمع النصارى اليه ، هو يوم عيده .
(٢) نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر (ص ٢٠٩ طبعة مهرن (Mehren) في بطرسبرج ، سنة ١٨٦٠ . (٣) Palestine under the Moslems (1890 ; p . 491) .
(٤) تقويم البلدان (ص ٢٥٧ طبعة رينو Reinaud ودي سلان De Slane في باريس ، سنة ١٨٤٠) . (٥) بالقاف . والصواب انه بالفاء على ما يجيء بنا .

لم أنس في القاروس يوماً أبيضا مثل الجبين يزينه فرعُ الدُجى

في ظل هيكله المشيد وقد بدا للعين معقود السكينة أبلجا

واللاذقية دونه في شاطئٍ بلوره قد زين الفيروزجا

ولديّ من رهبانه مُتشمس أضحى لفرط جماله متبرجا

أحوى أغنّ اذا تردد صوته في مسمع رد احتجاج ذوي الحجى

لا شيء ألطف من شمائله إذا حثّ الشمولَ ولفظه قد لجلجا

فله. ولليوم الذي قضيته معه بكائي لا لربع قد شجا[1] انتهى

ولكن للناشر المغفور له احمد زكي باشا، تعليقاً على هذا الدير لا يستقيم والحقيقة. فقد قال في الحاشية بأسفل تلك الصفحة: «أنظر فتوح البلدان للبلاذري. ص ٣٥٧». وهذه الحاشية توهم أنّ دير القاروس قد ذكره البلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩ ﻫ). ولكن عند الرجوع الى الصفحة المذكورة من كتاب البلاذري، وجدنا عجباً، واليك قوله بالحرف الواحد:

«وحدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال: قاد ابو موسى الأشعري نهر الأبلّة من موضع الدّجانة الى البصرة، وكان شربُ الناس قبل ذلك من مكانٍ يقال له (دير قاووس)، فوّهته في دجلة فوق الأبلّة بأربعة فراسخ[2]»

فما أعظم الفرق بين الموطنين، وشتان ما بين الأبلة واللاذقية. ونظنّ ان الذي دفع زكياً باشا إلى هذا الوهم، هو انه في مراجعته «فتوح البلدان»، اكتفى بتدوين اسماء الديارات الواردة في «فهرست الأمكنة» المثبت بآخر الكتاب، ليشير اليها في تعليقاته على «مسالك الأبصار» دون الرجوع الى المتن والتثبت من صحة انطباقه على ما يريد.

وقد نقل الأستاذ محمد كرد علي بك، من مسالك الأبصار ما ورد بصدد هذا الدير[3]، في كتابه الموسوم «خطط الشام» فورد هناك — تبعاً للأصل المنقول عنه — «دير القاروس» بالقاف.

(١) مسالك الأبصار (١: ٣٣٦ بتحقيق أحمد زكي باشا). (٢) فتوح البلدان للبلاذري (ص ٣٥٧ طبعة دي غويه). (٣) خطط الشام (٦: ٣٤—٣٥).

وممن وصف هذا الدير أيضاً الرحالة الذائع الصيت ابن بطوطة (المتوفى سنة ٧٧٧ هـ) قال في رحلته : « وبخارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروص ، وهو أعظم دير بالشام ومصر ، يسكنه الرهبان ، ويقصده النصارى من الآفاق . وكلّ من نزل به من المسلمين فالنصارى يضيفونه . وطعامهم الخبز والجبن والزيتون والخلّ والكَبَر[1] » .

إنّ ما ذكره ابن بطوطة في هذا الوصف ، نقله لسترنج الى الانكليزية في كتابه المشار اليه في أوائل بحثنا (ص ٢٩٢) وكذلك فعل الأستاذ حبيب زيات ، ولكنه سماه « دير القاروص » بالقاف ، وآخره صاد مهملة[2] .

ويقول العلاّمة الآثاري دوسّو (René Dussaud) في كتاب جليل له[3] ، إن بقايا هذا الدير (Deir el - Farous) يمكن ان يُبحث عنها في أخربة « تلّ فاروس » (Tell Farous) الواقع بين اللاذقية وقرية بسنادا ، وتبعد إحداهما عن الأخرى ميلين ونصف الميل . وقد أثبت دوسو موقع هذا التلّ في خريطته التاسعة الملحقة بكتابه المذكور .

وقد ذكر دوسو في الحاشية ٣ من الصفحة ذاتها : انّ كلمة فاروس (Farous) وردت بلفظ فاڤوس (Favous) في : Revue Or. Lat., IX p. 38, note 4 .

اما لفظة « فاروس » فكلمة دخيلة ، لم نعثر على تفسير لها في المعاجم العربية المختلفة التي بين يدينا ، فهي مما يُستدرك عليها . بل لقد أغفل ذكرها كل من دوزي (Dozy) في « تكملة المعاجم العربية » ، وفنيان (Fagnan) في معجمه « زيادات على المعاجم العربية » .

وقد وقفنا في كتاب « العنوان » ، وهو تاريخ عام ، لأغابيوس [محبوب] بن قسطنطين المنبجي ، (من أهل المائة العاشرة للميلاد) على ما يلي: « فاروس الاسكندرية: وهو البرج والمنظرة الذي في داخل البحر »[4] . فهل عُرف دير الفاروس بهذا

(١) تحفة النظار (١ : ١٨٢ — ١٨٣ طبع باريس) . (٢) الديارات النصرانية في الاسلام (ص ٥٩ — ٦٠) . (٣) Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale (Paris , 1927 ; p. 415) . (٤) كتاب العنوان (ص ١٢ طبعة ڤازيلييف Vasiliev . في الباترولوجية الشرقية لغرافن ونو . باريس ١٩٠٨) .

الاسم لوجود برج او منظرة فيه ؟ ذلك بعد ان مرّ بنا انه كان بجانب اللاذقية ، وان اللاذقية كانت من أشهر الموانئ على البحر المتوسط ؟

أما اصل لفظة « فاروس » فمأخوذة من اسم جزيرة فاروس (Pharos) ، وهي جزيرة صغيرة في ميناء الاسكندرية ، أقام فيها بطليوس فيلادلفس وهو الثاني من بطالسة مصر (٢٨٥ — ٢٤٧ ق · م) مناراً شهيراً ·

وفي معجم ويستر الكبير ، ان لفظة فاروس مأخوذة من اللاتينية واليونانية ، بمعنى الفنار أو المنار[1] ·

* * *

يؤخذ من ذلك كله ، انّ اسم هذا الدير ورد في المراجع التاريخية والبلدانية بأوضاع مختلفة ، وهي : دير الفاروس ، ودير الفاروص ، ودير القاروس ، ودير القاروص ، ودير الفاثوص · وعندنا انّ التسمية الأولى هي الصحيحة التي يجب ان يؤخذ بها ·

أما إلى أية فرقة نصرانية كان يُنسب هذا الدير ، ومَن مؤسسه ، وفي أي سنة كان ذلك ، وما مجمل أخباره ، ومتى تمّ خرابه ؟ فلم نقف على شيء منها فيما بين يدينا من مراجع ·

(بغداد) كوركيس عواد

(١) Webster's New International Dictionary of the English Language (2nd ed.. London, 1934 ; p. 1837, col. 3).

حديقة الورود

في أخبار أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود

اسم كتاب، ألف الجزء الأول منه الشيخ عبد الفتاح آل الشواف، جمع فيه أخبار شيخه، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، صاحب «روح المعاني» في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» وأتمّ الجزء الثاني منه نجل المترجم السيد نعمان خير الدين الآلوسي، صاحب كتاب: «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» و «غالية المواعظ» أما الجزء الأول فيشتمل على (٣٨٣) صفحة طول الصفحة (٢٠) سنتياً وعرضها (١٥) سنتياً وتشتمل الصفحة منه على تسعة عشر سطراً، بخط جلي جميل جداً. وقد استنسخ هذا الجزء السيد أحمد شاكر، نجل أبي الثناء السيد محمود في صفر سنة ١٢٩٦ هـ، أي بعد وفاة مؤلفه بنحو من أربع وثلاثين سنة.

وأما الجزء الثاني فيشتمل على (٢٨٥) صفحة على غرار صفحات الجزء الأول إلا أنه دونه في جودة الخط، وفوقه في جمال الأسلوب وحسن التبويب والترتيب.

وقد تم نسخ هذا الجزء في ذي القعدة سنة ١٢٩٦ هـ. وهي السنة التي تم فيها تأليف هذا الجزء. ومن هذا يُعلم ان هذه النسخة انما هي مبيضة لمسودّة الأصل.

والنسخة بجزئيها محفوظة في خزانة صديقنا السيد محمد درويش الآلوسي حفيد أبي الثناء، مدرس مدرسة السيد سلطان علي في بغداد.

وأسرة الشواف التي ينتمي إليها مؤلف الجزء الأول من هذا الكتاب من الأسر الكريمة في بغداد.

اشتهر من بين رجالها طائفة من أعلام الأدب، من أشهرهم الشيخ عبد العزيز الشواف أحد أشياخ السيد محمود الآلوسي. والشيخ طه الشواف — مفتي البصرة الأسبق — وكانت له قدم راسخة في العلوم الشرعية والآداب العربية.

وقد وقفت له على نظم أصيل يذكر بشعر الفحول من شعراء الصدر الأول.

والشيخ عبد الفتاح ، إنما يمت الى هذه الأسرة من ناحية الخئولة ، أما أبوه (واسمه سعيد بن يوسف) فقد قيل لي إن اصله من نجد . وإنما عرف الشيخ عبد الفتاح وأخوه الشيخ عبد السلام بالانتساب إلى اخوالهما لمكانة شهرتها في العلم .

والشيخ عبد الفتاح احد تلاميذ أبي الثناء ، الذين لازموه وانتفعوا به . وكتابه هذا يدل انه كان ممن تعاطى الأدب . وشعره دون نثره في الجودة .

ومن امثلة شعره قوله من قصيدة طويلة رفعها الى شيخه الشهاب بعد غياب طويل ، مطلعها :

إلام أراني عنك في الدهر مبعدا ويمسي خلي منك في الدهر مسعدا
وحتى متى هذا التجنب والقلى وقد غار طرفي والتصبر أنجدا

ومنها :

ملاذي شهاب الدين ذو الحلم والوفا وزب الحجا والصفح عمن قد اعتدى
هو العلم الفرد الذي فاق مفخراً وطاب نجاراً في الأنام ومحتدا

ومنها :

غدا من كتاب الله اذ رام كشفه لأسراره (روح المعاني) مجردا
هو البحر في فيض النوال لمجتدٍ وغيث مربع للذي كان اجهدا
له حسن خط لو رآه ابن مقلة لود له انسانه يجعل الفدا

أما مثال نثره فسيمر بك قريباً . وكانت وفاته في شوال سنة ١٢٦٢ بالهيفة : ومن هذا يظهر انه توفي قبل وفاة شيخه بنحو من ثماني سنوات وأن ابا الثناء عهد باتمامه إلى ولده السيد نعمان خير الدين المذكور آنفاً .

وقد حشد الشيخ عبد الفتاح في الجزء الأول من هذا الكتاب — الكثير من أخبار ابي الثناء فبسط نسبه ، وذكر مقر أسرته في القديم والحديث ، ومشايخه ، وبعض اجازاته ، وتلاميذه ، وإجازات بعضهم . وبعض تآليفه ، والمراسلات التي ادرت بينه وبين فضلاء عصره في دار السلام وفي حواضر الاسلام . وفي ضمن ذلك : الأسئلة التي كانت ترد عليه والأجوبة التي تصدر عنه . والمناصب التي تدرج فيها

والأوسمة التي أحرزها . بل تبسط في أمور ليست بذات شأن ، مثل التقاريظ الكثيرة لكل تأليف من تآليفه والتهاني بولادة كل ولد من أولاده وكل منصب من مناصبه . وبكل رتبة حصل عليها ، وبشراء دار له وبإنشاء الشاذروان فيها . بل هناك تهانئ بشأن بعض الهدايا التي وصلت الى يده مثل التهانئ بكتاب الميزان للشعراني الذي أهداه إياه والي بغداد حينذاك . وبالسبورة التي اهداه اياها بعض افاضل الموصل .

على ان الكتاب ينطوي على اخبار مهمة يندر وجودها في غيره . وعلى مقطوعات شعرية ، ورسائل ادبية لم اقف عليها في ما عداه . وهي تمثل لنا ناحية من نواحي الأدب في العصر الثالث عشر الهجري .

فمن امثلة الأخبار وصفه الطاعون الجارف الذي منيت به بغداد في زمانه فأباد معظم اهلها .

وإلى القارئ نصّ ذلك الوصف :

« ... حدثت حادثة الطاعون ، التي اجرت من العيون العيون ، واضرمت في القلوب نار الشجون ، حيث جرد الدهر إذ ذاك خيول النوائب . وسنّ مواضيه لقرع الكتائب . وانتهب الأعمار فيا له من ناهب . وانتشر جمع الثريا فعاد الرجال بنات نعش . وتتابعت أهوال لو داناها ابن الطود لانهش . حتى بلغ السيل الزبى . وتفرق الكرام ايدي سبا . وبلغ الشظاظ الوركين . وجاوز الحزام الطبيين .

مصائب لو حلت بأكناف يذبل تدكدك ، او بالبحر اصبح غائضا

وذلك في السنة السادسة والأربعين ، بعد المائتين وألف هـ وكان الطعن حينئذ خفيفاً خفياً جداً ثم كثر في شوال لخمس خلون منه . فلم يبق للخلائق حينئذ رشداً . ولكنهم بعدُ بين مكذب ومصدق ، وآمن ومرتعب ، ثم انتشر وتحققه الناس آخر الشهر ، ففر غالبهم الى كل قطر . وزادت في تلك السنة دجلة زيادة لم تقع سابقاً في غير الطوفان . وتهدمت بسببها البيوت والجدران . وكسرت السداد ، واحاط الماء ببغداد . ومن كثرة المياه في جوانب البلد ، واحتضانه اياها كالوالد العطوف للولد ، صار الرائي لا يرى غير الماء او السماء ، ولم يرج غير هجوم البلاء . ووقع

السور ، وتهدم من الجانبين نحو خمسة آلاف بل اكثر من الدور ، وبلغ حد من مات في كل يوم من ايام هذا الطاعون عشرة آلاف . او اكثر ظناً وتخميناً ، والا فقد فُقد المحصون ، ودفن الناس الجنائز في المساجد والبيوت حتى ملئوها . فلما كثر الموت جداً تركوا دفنها وملوها . فبقي الأموات مطروحين في الاسواق والطرقات . ومن بقي من الناس اذ ذاك لقي من معاناة الشدائد والمصائب . ومقاساة المحن والنوائب . ما يشيب النواصي ، ويزيل الرواسي . وبعد ان هان الأمر في الجملة ، أُلقيتْ الموتى في دجلة يُجرّون من ارجلهم ويُخرجون اهون ما يكون من منازلهم وكثير منه تنفصل رجله عند ذلك الجر ، ثم تلقى اوصاله المتفرقة في لجة ذلك البحر وذهبت اموال العالم بين الهدم والسرق والغرق والحرق . والحاصل انه اعترى بغداد وساكنيها في ذلك الطاعون ، من مزيد الانكاد والشجون ، ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، فانا لله وانا اليه راجعون . واستقام الأمر على تلك المحجة ، الى اول ذي الحجة . فهان جداً ، بعد ان اهان حراً وعبداً . فالحمد لله تعالى والفضل له على ما قضاه على خلقه وانزله ... »

وهذا الوصف يدلك على أسلوب المؤلف في إنشاء كتابه الذي لايخرج أكثره عن هذا النمط : من الأساجيع المرضوصة ، والعبارات المرصوفة ، التي لا تخلو من التكرار الممل والتنطع الذي لا طائل تحته .

والى القارئ رسالة من إنشاء الشيخ محمد أمين المعروف بابن عابدين ، صاحب «رد المحتار على الدر المختار» المتوفى سنة ١٢٥٧ ﻫ — بعث بها إلى الشهاب الآلوسي جواباً عن رسالة كان الآلوسي قد كتبها اليه يطلب منه نسخة من حاشيته على الدر المختار ، ننقلها برمتها ليطلع القارئ الكريم على أسلوب علماء ذلك الزمان في مراسلاتهم الخاصة . وهو أسلوب تغلب عليه الصناعة البديعية ولا سيما الاسجاع والتوريات والجناس والطباق وما اليها . واليك الرسالة :

« بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن اوصل تحفة المطالب وبدائع صنائعها لطالب الرغائب وانعم بهداية

العقول وعناية الوصول، الى معراج الدراية بغاية البيان · ونيل المواهب من منن الرحمن · فظهر بفتح القدير على العاجز الفقير رد المحتار، لتنوير الأبصار واستخراج الدرّ المختار ، من البحر الرائق ، وبتبيين الحقائق من كنز الدقائق · وكشف خزائن الأسرار محلى بدرر البحار · وغرر الأفكار يمن ادلال من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى في المشهد الأعلى · والمهد الأغلى صلى الله عليه صلاةً كان لهـا اهلاً وسلم سلامًا هو به أولى · وعلى آله معدن كل كرم وجود ، واصحابه الذين اعتز بهم الوجود ما سلّت السحائب صوارم بروقها فوق رؤوس الأشجار وكست النسائم بزرّد خفوقها متون الأنهار ·

وبعدُ ، فأهدي سلامًا يهزأ بفتيت المسك الأذفر ، وتحايا يفوق عبيرها نكهة العنبر ، الى فارس ميدان البلاغة الذي لم يبلغ احد في حلبات السبق بلاغهُ ، مجمع البحرين وملتقى النيرين ، خلاصة اهل التنقيح والتوضيح ومغني اللبيب عن التصريح ، بالتلويح ، البحر العباب ، والحاوي لمنهج الصواب · روضة الآداب ، وبهجة الآراب ، سيدي الامام الأوحد ، والعلم المفرد ، محمود الأفعال ، ممدوح الأقوال ، لا زالت رماح اقلامه تأسر كل معنى انيق ، فتحرر كل لفظ رقيق ، وعساكر افهامه تجول في مهامه كل عويص ، وتيار كل غويص ، لتكسر جيوش المشكلات ، وتفتح حصون الخفيات ، ولا برحت اقلام الفتيا مورقة ببنـانه مثمرة بكل حكم صحيح يجنى ببيانه هذا وقد ورد الكتاب ياقوتي المباني · جوهري الألفاظ والمعاني · فلله در انامل ذرت عنبر مداده · على صفحات قرطاسه ودرُّ فطنة أطلعت من مشكاة بلاغتها نور نبراسه · ففي مختصره مطول المدح وفي تلخيصه ما يغني عن الحاشية والشرح حيث اشتمل على صفات منشيه الباهرة · لكنه رآها في غيرها ظاهرة · وقد أنبأ عن تشوّف جنابه السامي ، وتشوق فضله النامي · إلى استكتاب الحاشية التي هي قطرة من بحره · لتنال شرفًا برفعة قدره وأنى لها بكفء كريم مثله تزف اليه ، ويخاطب جليل تعرض لديه بين يديه فهي مقيمة في الخدر تنتظر صدور الأمر فتخرج من حجابها ، وتكشف عن نقابها وتفتخر على إترابها وتتباهى

على طلابها . وتحمد مولاها على ما أولاها ، والسلام الذي تأرجت نفحاته ، تعم ساحتكم ورحمة الله وبركاته . »

وهاك مثالاً من التهنئات التي كان يتلقاها أبو الثناء من شعراء عصره . وأدباء مصره في المناسبات المختلفة .

كتب اليه الشيخ أمين العمري مهنئاً اياه بانشاء مكتبة في داره :

تأمل هذه أم الكتاب ... بدت للعين مسفرة النقاب

أعد نظراً الى معنى حلاها ... ففيها منتهى العجب العجاب

ولا ترنو لغانية سواها ... فما حسن الغواني والكعاب

حوت في طيها روح المعاني ... لتنشر كل معنى مستطاب

وقد اثبت السيد نعمان — في الجزء الثاني — ما جدّ من الأحداث في السنين الثماني التي تلت وفاة الشواف ، وأعاد الكثير من الفصول التي أوردها في الجزء الأول مضيفاً اليها ما أهمله وباسطاً ما أجمله فأعاد ذكر النسب مبسوطاً وتوسع في ذكر المكاتبات التي دارت بين والده وبين علماء عصره — كما توسع في ذكر الاجازات التي أجازه بها بعض الأشياخ ، وذكر ثبتاً كاملاً بمؤلفاته ، وأضاف الى كل ذلك انتقاله الى جوار ربه والمراثي التي رثاه بها شعراء عصره وهي كثيرة واسلوبها تقليدي بحت .

وعلى الجملة فإن هذا الكتاب بجزأيه هو أشبه بمجموع منه بكتاب مرتب الأبواب منسق الفصول ، على انه مجموع مشتمل على كثير من المنثور والمنظوم الذي يندر وجوده في غيره ويصلح أن يكون صورة واضحة للحالة الأدبية في مدينة السلام في العصر الثالث عشر الهجري ، ولا يستغني مؤرخو الأدب العربي لهذا العصر عن الرجوع الى أمثاله .

وقد استخلص السيد نعمان خير الدين نجل الشهاب الألوسي — عليه الرحمة — الزُبدة منه وأودعها صدر الطبعة الأولى من روح المعاني .

(بغداد) ... طه الراوي

شمس الدين ابن الجزري وتاريخه

(حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه)

قال الشاعر:

لولا جرير والفرزدق لم يكن ذكر جميل من بني مروان
وملوك غسان تفانوا غيرما قد قاله حسان في غسان

وأقول: لولا التاريخ لطويت أعمالنا في هذه الحياة، وزالت مآثرنا، ولعدنا نلتمس الآثار الصامتة، ولا نتبين الا علاقة ضئيلة، نستنطق بها جماداً لا يبوح بما في نفوسنا، ولا يعرب عن مكنونات سرنا. فالاشارة لا تميط اللثام عن عقائدنا ومجتمعنا وآدابنا، ودرجة ارتباطنا بالحوادث. فلولاه لتقوّل كثيرون بما شاؤا. وجلّ ما هنالك أننا نتطلب من التاريخ أن لا يميل مع الأهواء بل يدوّن الحوادث كما هي، فلا يحل الألغاز أو الطلاسم المغلقة بل يعين ميول الحياة واضطرابها، وما أصابها من تهييج، فنلتمس بغيتنا منه. وكفاه مكانة انه يدوّن ما نعمل، فيقوم بمهمة المصور، فكان موضع اهتمام الأكابر والأصاغر وبه نستوحي جلية الماضي.

وان قومنا انجبوا مؤرخين أعاظم، ساروا بهذا التاريخ خير سيرة في تصوير الحياة. ومن مشاهيرهم مترجمنا. كان عظيماً في تاريخه صارماً في لهجته، عدلاً في بيانه ولا يهمه ان اغفلت الأيام ذكره مدة.

١ ـ حياته:

هو العدل شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ابي بكر ابراهيم الدمشقي، اشتهر بين مؤرخي الشام المعروفين اشتهاراً فائقاً، وعرف بالتاريخ. وقد سبق ان ترجمته في مجلة (العالم الاسلامي) البغدادية. وقد اثنى عليه العلماء، واطروه إطراءاً زائداً، واخص بالذكر منهم البرزالي، فانه كتب ترجمته بقلمه، وعين مكانته العلمية والتاريخية، وجاءت في آخر تاريخ ابن الجزري. وهذا نصّ ترجمته :

« هو الشيخ العالم ، الصدر ، العدل ، الرضى الكبير . شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ العدل الصالح مجد الدين ابي اسحاق ابراهيم بن ابي بكر بن ابراهيم ابن عبد العزيز الجزري ثم الدمشقي . توفي ليلة الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ٧٣٩ هـ بجنينة التهم[1] ظاهر دمشق ، وصلي عليه صلاة يوم الاثنين ؟ بجامع جراح ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، ومولده يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ٦٥٨ هـ بدمشق ، وكان من خيار الناس ؛ كثير المروءة ، مواظباً على الذكر والدعاء والتلاوة ، والأعمال الصالحة ، وكان من كبار العدول ، قام يشهد على الحكام مدة تقارب ستين سنة ، وكان اذا انفرد بشهادة اذن له الحكام في الاعلام بها ، ويكتفون بأخباره لوثوقهم به ، وطلب منه ان يشهد في قيم الأملاك لخبرته وديانته فامتنع من ذلك ، وتورع عنه ، ولم يدخل في ولاية ولا وظيفة . وسمع الحديث من جماعة منهم فخر الدين ابن البخاري ، وتقي الدين بن الواسطي ، وعز الدين الفاروثي ، وغيرهم من شيوخ دمشق ، ودخل القاهرة والاسكندرية وسمع من المشايخ شرف الدين الدمياطي ، وشهاب الدين الأبرقوهي ، والشريف تاج الدين العراقي ، وغيرهم من شيوخ الديار المصرية . وروى عنهم وحدث وسمع من الطلبة ، وكتب في الأحاديث . وكان محباً لفن التاريخ . جمع هذا الكتاب (اشار اليه والترجمة كتبت في آخره) وتعب عليه ، وذكر فيه اشياء حسنة لا توجد في تاريخ غيره . وحج الى بيت الله الحرام . وكان كثير البر والتصدق ، وعليه رسوم لجماعة من الفقراء . وفيه مودة كثيرة ونصح وشفقة على خلق الله عز وجل في قضاء حاجة من يقصده . وكان يتولى خدمة اهله وبيته بنفسه ، ويقصد راحتهم ، ومصلحتهم ، وكبرت سنه وهو على هذا الحال . وكان باراً بأولاده وأهله ومات والده وترك عنده اخوة صغاراً فرباهم وأحسن اليهم ، وقام بأمرهم أتم قيام برفق وإحسان وتواضع وكلمة طيبة . ثم نشأ له أولاد ففعل بهم مثل ذلك . وكان له اعتقاد عظيم في الفقراء والصلحاء ، وله منهم نصيب وافر . وكان لا يفتر من ذكر الله عز وجل قاعداً وقائماً وماشياً . وكان عنده معرفة بقطعة

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب السهم (المجمع)

جيدة من الطب والأدوية والمنافع . يزور المرضى ويصف لهم ما ينفعهم، ويشفق عليهم ويعدهم ويدعو لهم، ويتضرع الى الله تعالى، ويجهد في الدعاء لمن دعوا له بنصح وشفقة، واذا مات ميت ممن يعرفه حضر جنازته، وان لم يتفق له الحضور مشى الى قبره وصلى عليه، وتلا على قبره ما يسر الله تعالى من القرآن العظيم، ودعا له . وقد كتب أخبار الوفاة صلة لأجل ذلك . وله محاسن كثيرة وسير جميلة . رحمه الله وغفر له بمنه وكرمه . » اه

وهذه الترجمة كافية لمعرفة ابن الجزري وفيها من السعة ما ليس في غيرها . وفيها تصحيح لما جاء في (الدرر الكامنة فقد ذكر انه جمع تاريخاً مشهوراً، ونقل عن الذهبي انه كان حسن المذاكرة، سليم الباطن، صدوقاً في نفسه . لكن في تاريخه عجائب وغرائب[1]) ... اه .

ولم يعين وجه الغرابة ولا ما دعاه الى التعجب، والبرزالي أعرف به، وهو مرجع مؤرخين كثيرين، ورأيته ينقل عن أكابر علماء بغداد وأفاضلها، وقال في الشذرت : «جمع تاريخاً كبيراً، وذكر فيه اشياء حسنة لا توجد في غيره . » اه[2]

وجاءت ترجمته في تواريخ عديدة منها (التنبيه والايقاظ في ذيول تذكرة الحفاظ)[3] .

وقال ابن كثير :

« .. محمد بن ابراهيم الجوزي (صوابها الجزري) . جمع تاريخاً حافلاً كتب فيه اشياء يستفيد منها الحافظ كالمزي والذهبي والبرزالي : يكتبون عنه، ويعتمدون على نقله . وكان شيخاً قد جاوز الثمانين وثقل سمعه، وضعف خطه . وهو والد الشيخ ناصر الدين محمد واخوه مجد الدين . »[4] اه

وذكرت ترجمته باختصار في ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني الدمشقي ص ٣٢ .

وفي العبر للذهبي : « – في سنة ٧٣٩ هـ مات شمس الدين – الجزري الدمشقي صاحب التاريخ الكبير في وسط السنة وله ٨١ سنة، وله دين . وكان ساكناً وقوراً . » اه

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٠١ . (٢) الشذرات ج ٦ ص ١٢٢ . (٣) التنبيه والايقاظ في ذيول تذكرة الحفاظ ص ٩ . (٤) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٨٦ .

٢ — مؤلفاته :

جاء انه كتب في الحديث ... وكان محبًا لفن التاريخ .. ولا يعرف له غير تاريخه .. وكثرة المؤلفات لا تدل على قدرة ، وكان يظهر علمه ، ومقدار تتبعه في تاريخه ..

٣ — تاريخه :

وهذا يسمى (حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه) على ما قاله الحافظ الشمس ابن طولون حيث نقل عنه في المجلد الأول من الفهرست الأوسط له . قال ابن حجر : جمع تاريخًا مشهوراً وله شعر وسط ، وخرج له البرزالي مشيخة ... والقطب اليونيني كثير النقل عن تاريخه في ذيله على مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . [هامش ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني الدمشقي ص ٢٢ ..] وهو الذي يستحق التدقيق ، ونسبته دائرة المعارف الاسلامية للبرزالي غلطًا .. وهو من مؤلفاته . ومنه نسخة مخطوطة في خزانة كوپريلي ، وكان منشأ التوهم من مرتب فهرس هذه الخزانة ، فوقع في ذلك بروكلن المستشرق المعروف ، وقبله كان قد وقع صاحب تاريخ (التين اردو) ، فانه جعل تاريخ البرزالي احد مراجعه في (تاريخ المغول في روسية) ، ويقصد به تاريخ ابن الجزري . وطبع هذا الكتاب مترجمًا الى التركية من الأستاذ الجليل اسماعيل حقي الازميري سنة ١٩٤١ م وقد سبق ان وصفته في محيط المعارف الاسلامية التركية وصفًا مسهبًا .

راجعت فهرس الخزانة فأحببت الاطلاع على هذه النسخة التي ذكرت باسم البرزالي المؤرخ لما له من المكانة المعتبرة ، فوجدتها تبتدئ من سنة ٧٢٦ هـ وتنتهي بسنة ٧٣٨ هـ ، وهي قديمة منقولة من نسخة المؤلف بخط عبد الله بن احمد بن يوسف البيري أصلاً ، الدمشقي مولداً الشافعي مذهبًا كتبها سنة ٧٣٩ هـ — ١٣٣٨ م . ورقمها في خزانة الكوپريلي ١٠٣٧ .

وأول هذه النسخة « قال البرزالي .. » فأوهمت أنها له . وبعد مطالعتها لم يبق ريب في انها لابن الجزري ، وينقل احياناً كثيرة عن البرزالي ويصرح باسمه وهو القاسم بن محمد البرزالي ، وكانت بينهما مودة ومحبة اكيدة ، وان البرزالي

— كما مرّ من إيراد ترجمته — له خبرة تامه بأحواله وما كان عليه من صلاح وتقوى، ورغبة في التاريخ، كما أن ابن الجزري ينقل عن البرزالي أحياناً، ويقول: كما أقول ذكر فهو من تعليق الشيخ الحافظ علم الدين البرزالي فسح الله في مدته .. لئلا يضيع تعبه ..» اهـ، فلم يبق إشكال في انه للجزري.

وقال السخاوي: «للعدل .. ابن الجزري (تاريخ كبير)، شهير بخطه في المحمودية، فيه عجائب وغرائب» إهـ[1]. ولعل الأيام تكشف عن وجودها ..

٤ — أجزاء تاريخه:

وان التاريخ المذكور أعلاه مجلد واحد ولا شك أنه احد اجزائه، والكتاب متعدد الأجزاء، وكانت ولا تزال التدقيقات عنه ناقصة في الغرب والشرق الا ان سوق الغرب راج فيه العلم، وصارت تجلب اليه كل بضاعة، وعندنا وقفت الحركة العلمية. وان كنا أعرف بتاريخنا، ولكننا اقتصرنا على مناقب الخلفاء والسلاطين ولم يعد احد يبالي بالنواحي العلمية والأدبية، ولا بالثقافة العامة، وتاريخ الأمة وما جاورها من أمم ..

قال المرحوم أحمد تيمور باشا في (كتاب اليزيدية):

«وعندنا من تاريخ ابن الجزري جزء مصوّر بالشمسي فيه من سنة ٦٨٩ هـ الى سنة ٦٩٩ هـ» اهـ.

وأما المجلد الذي عثرت عليه فهو من سنة ٧٢٦ هـ — الى سنة ٧٣٨ هـ كما مرّ. ومن ثمّ نرى النقص بادياً .. وفي هذا رأيته يتوسع في بعض الحوادث، ويعد صفحة كاشفة عن أيام المغول في العراق وعن علماء بغداد، ومنهم أبو الخير الدهلي العالم المعروف ..

وجاء في لغة العرب المجلد السابع منها جزء ٢ ص ١٨١ أن الاستاذ حبيب الزيات طبع جزءاً منه نقله من نسخة باريس، طبعه بمطبعة المحامي في زحلة (لبنان) في ٤٣ بقطع الثمن. وسماه: (حوادث الزمان وأنبائه، ووفيات الأعيان من أبنائه) لشمس الدين محمد بن ابراهيم الجزري الدمشقي ...

ولا شك أن الأيام ستجلو عن باقي اجزائه ..

---

(١) الاعلان بالتوبيخ ص ١٦٨.

٥ — المختار من تاريخ الجزري :

ثم اني عثرت أيضاً على نسخة مخطوطة من كتاب (المختار من تاريخ الجزري) . وهي من اختيار الذهبي ، وبخطه ، وعندي نسختها المصورة ، وفيها نصوص مهمة عظيمة الفائدة لا يستغنى عنها . وهذا المختار أصله في خزانة الكوبريلي برقم ١١٤٧ قال الذهبي : وهذه نبذة فوائد من تاريخ المولى شمس الدين . وتبتدئ من بقية سنة ٥٩٣ هـ ، وامتدت ، فوقفت عند سنة ٦٩٨ هـ ، جعله كالتتمة لما تقدم من المذيل على الروضتين ..

٦ — وصف العنب في تاريخ ابن الجزري :

قال المؤلف

« اتفق ان الشيخ الفلاني من مشايخ حماة — أنسيت اسمه — سافر من حماة الى دمشق ، أقام بها مدة وعاد ، فسأله أصحابه عنها فقال :

— رأيت أهلها كأنهم فرغوا من الحساب ، وتسيبوا في الجنة ، يأكلون ويشربون ، ويسرحون فيها .

وكان ابن عنين قد نفاه السلطان صلاح الدين وعاد الى دمشق زمن العادل فكان قد وصل الى (خان بالق) ، ومنه الى الهند واليمن ، ووصل الى مصر ، ومنها الى دمشق سأله المعظم عن عجائب ما رآه في البلاد التي سافر اليها فقال :

كل ما في الدينا مفرق هو في بلدك مجموع موجود ، ويفضل عليهم بالأحمرين والأبيضين قال وما هما ؟ قال :

العنب الداراني ، والعنب العاصمي ، والأبيضين القنبريس والثلج . ونظم في غربته هذين البيتين وهما :

وقائل ان في الأسفار فائدة · يوسعن في الرزق ذا مال وذا خلق

وقد مضيت الى أقصى الذي كفروا(؟) · وجئت أرعن والشلاق في عنقي

تتمة أخبار الأعناب

وجاء في هامش التاريخ تحت العنوان المذكور وأظنه من الأصل :

« وأول ما أدخل الى دمشق (العنب الداراني) . وهو أحمر اللون ، مدوّر ، حلو ، شبه السكر ، يبقى دور شهر وحده . ثم يتبعه (البرزي) . ابيض ، اصابعي ومدور . ويتبعهما بقية الأعناب خمسة ألوان أو ستة . وأمير العنب (العاصمي) ... وأبيض مدور يسمى (قصيفا) حلو كبار ، و (بيض الحمام) ... والزبيب نحو خمسة او ستة ألوان : الدربلي ، والجوازمي ، والأسود ، والصغار بلاحب ، وغير ذلك . » اهـ[1] .

وهناك تفصيلات في الاحصاء ، والبيع في مصر وبغداد لم أستوعب ذكرها بل وقفت عند هذا . والكتاب موجود .

ويطول بنا البحث في هذا الأثر الجليل ، وما احتوى من نفائس .. وكان غالب المؤرخين في عصره متصلين به فلا محل للاسترسال بأكثر من هذا .

وكل ما نقوله ان هذا العصر (الثامن الهجري) كان طافحاً بأعاظم المؤرخين ممـا خلد أجلّ الذكريات ، وأنفس الآثار . اكتفي بهذا الآن . والله وليّ الأمر .

(بغداد) عباس العزاوي

---

(١) في ترجمة الأنام ذكر العنب في ص ٢٢٣ طبعة السلفية بمصر سنة ١٣٦١ هـ

رسالة الطرق

— ٥ —

حرف الزاي

الزَّقب الطريق : والزَّقب الطرق الضيقة واحدتها زَقبة وقيل الواحد والجمع سواء وطريق زَقب ضيق قال ابو ذؤيب :

وَمَتْلَفٍ مثلِ فَرْقِ الرأس تَخْلُجه   مَطارِبٌ زَقَبٌ أميالها فِيحُ [1]

زقب بدل من مطارب وهي الطرق الضيقة كما سيأتي ويروي زُقُب بالضم وسيأتي هذا البيت في مطربة وقال اللحياني طريقٌ زَقَب جعله صفة فزقب على هذا القول صفة لمطارب وان كان لفظه لفظ الواحد ٠

الزقاق كغراب السكة يذكر ويؤنث وقيل هو الطريق الضيق دون السكة نافذاً كان أم غير نافذ والجمع ازقة كغراب واغربة وزُقّان كحُوار وحوران قال هدبة بن خشرم العذري :

فلم ترعيني مثل سرب رأيته   خرجن علينا من زقاق ابن واقف [2]

وفي الحديث الشريف « من مَنَح مِنحة ابن او هدى زُقاقاً » ٠ الزقاق الطريق يريد من دل الضال أو الأعمى على طريقه وقيل أراد من تصدق بزُقاق من النخل وهي السكة منها ٠ والأول اشبه لأن هدى من الهداية لا من الهدية ٠

الزَّقيلة كسفينة السكة الضيقة وكذلك يوصف به الطريق الضيق ويقال رجع على زَكَره أي الطريق الذي جاء منه ٠

الزَّنَقَة محركة السكة الضيقة وقال الليث هو ميل في جدار أو سكة او ناحية او عرقوب ولا يكون فيه التواء كالمدخل والالتواء اسم لذلك بلا فعل وقال ابن عباد الزنقة في الأودية المضيق ٠

---

(١) المتلف القفر سمي بذلك لأنه يتلف سالكه في الأكثر كما سموا الصحراء بيداء لأنها تبيد سالكها ٠ وتخلجه : تجذبه هذه الطرق الى هذه وهذه الى هذه والزَّقب الضيقة ومثل فرق الرأس في ضيقه والميل المسافة من العلم الى العلم وفيح واسعة ٠   (٢) السرب هنا القطيع من النساء وزقاق ابن واقف بالمدينة وبقية الأبيات في معجم البلدان ٠

الزَّحوق كصبور فج الجبل .

ويقال طريق أَزْوَر أي معوج .

زاغ عن الطريق يزوغ زَوْغًا وزيغًا عدل والياء أفصح

زاغ عن الطريق يزيغ زَيغًا عدل وأزاغه عن الطريق أماله .

حرف السين المهملة

المسبأ كمقعد الطريق في الجبل

أَسابيّ الطريق شركه وفي لسان العرب شوكه والأول اصح جمع إسباءة والأَسابيّ الطرق من الدم وأسابي الدماء طرائقها الواحدة أُسبيَّة أو إسباءة قال سلامة بن جندل يذكر الخيل :

والعاديات أسابيُّ الدماء بها كأنَّ أعناقها أنصابُ ترجيب (١)

ويروى اسابيُّ الديات . وقوله انصاب يحتمل ان يريد به جمع النصب الذي كانوا يعبدونه ويرجبون له العتائر ويحتمل ان يريد به ما نصب من العود والنخلة الرُّجبيَّة

ويقال استبق الصراط اي جاوزه وتركه حتى ضل

السبيل كأمير الطريق وما وضح منه وقيل الطريق الذي فيه سهولة يذكر ويؤنث كالطريق فتقول سبيل أعظم وسبيل عظمى كما تقول طريق اعظم وطريق عظمى والتأنيث فيهما اغلب وقد جاء في القرآن الكريم مؤنثًا في قوله تعالى : «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة» . عبر به عن المحجة

(١) عدت الفرس تعدو أسضرت فهي عادية ويقال للخيل المغيرة عادية وأسابيّ الدماء طرائقها وانصاب جمع نصب كعنق وهو حجر كان ينصب ويعبد من دون الله وقال ابن سيدة الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهلّ عليها ويذبح لغير الله والترجيب التعظيم ومنه ذبح النسائك في رجب . والترجيب ان تدعم الشجرة اذا كثر حملها ببناء تحتها أو أن تسند بخشبة ذات شعبتين لئلا تتكسر أغصانها ورجب النخلة ونخلة رُجَبية بني تحتها رُجبة ويحتمل هذا البيت أن يكون شبه أعناق الخيل بالنخل المرجب وأن يكون شبه أعناقها بالحجارة التي تذبح عليها النسائك وقال أبو عبيد يفسر هذا البيت تفسيران أحدهما أن يكون شبه انتصاب أعناقها بجدار ترجيب النخل والآخر أن يكون أراد الدماء التي تراق في رجب وظاهر البيت يدل على أنه يريد تشبيه أعناقها بالأنصاب التي يذبح عليها في كثرة الدماء على نحو ما قاله زهير في وصف الصقر الذي تبع القطاة :

نزل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتر دمَّى رأسه النسك

المنصب الحجر الذي يعتر عليه أي يذبح في رجب شبه الصقر بالمنصب المدمى لكثرة ما يصيد .

وجاء مذكراً في قوله تعالى : « وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا »

وبهذا يتبين لك ان قول عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني في كتابه (الألفاظ الكتابية) ص ٢١ الطريق يذكر ويؤنث والسبيل مؤنثة على كل حال · غير صحيح والجمع سُبُل · وجمع القلة لسبيل اذا ذكرت أسبلة كرغيف وارغفة واذا أُنثت أسْبُل · وفي حديث سمرة فإذا الأرض عند أسْبُله أي طرقه والسابلة من الطرق المسلوكة يقال سبيل سابلة اي مسلوكة والسابلة : أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم جمع سابل وهو السالك على السبيل ويجمع أيضاً على سوابل · واسبلت الطريق كثرت سابلتها · وابن السبيل ابن الطريق المسافر الكثير السفر سمي ابناً لها لملازمته اياها وقيل هو الذي قطع عليه الطريق ويريد الرجوع الى بلده ولا يجد ما يتبلغ به وابن السبيل الغريب الذي اتى به الطريق قال الراعي :

على أكوارهن بنو سبيل قليـل نومهم إلا غرارا [1]

وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سلك به طريق التقرب الى الله تعالى باداء الفرائض والنوافل وانواع التطوع واذا اطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه

وكل ما أمر الله به من الخير فهو من سبل الله اي من الطرق الى الله وكل سبيل اريد به الله تعالى وهو بر فهو داخل في سبيل الله ·

المساتل : الطرق الضيقة لأن الناس يتساتلون فيها اي يتتابعون واحداً بعد واحد · واحدها مَسْتَل كمقعد

السجح بجيم بعدها حاء · وبضم السين وسكون الجيم وبضمها · سجح الطريق محجته لسهولتها · ويقال خل له عن سُجُح الطريق اي وسطه وسَننه وبنوا بيوتهم على سُجُح واحد وسُجْحة واحدة أي قدر واحد ويقال من طلب بالحق ومشى في سجحه أوصله الله الى نجحه

وفي تهذيب الألفاظ يقال تنح عن سَنن الطريق وسُنُن الطريق وسُنَنه وسُجْحه وسُجُحه ولَقَمه ولَقَمه وكَثَبه ونَكَمه وميدانه ودَرَره ومعناه عن متن الطريق ·

---

(١) أكوار جمع كور وهو الرحل بأداته والغرار كـكتاب القليل من النوم ·

المسخَنْفِر الطريق المستقيم واسخنفر الطريق استقام

السُّدُّ الحاجز جمعه اسداد : ويقال ضربت عليه الأرض بالأسداد جمع سد أى سدّت عليه الطرق وعميت عليه مذاهبه والسُّدّ ذهاب البصر وهو منه قال الأسود بن يعفر النهشلي :

ومن الحوادث لا ابالك أنني ضربت عليّ الأرض بالأسداد

وفلان مسدّد ملازم للطريق المستقيم وفي صفة متعلم القرآن. يغفر لأبويه اذا كانا مسددين أي لازمي الطريقة المستقيمة

السرب بفتح السين وكسرها مع سكون الراء فيهما الطريق قال ذو الرمة يصف الحمار والأتن :

خَلى لها سرب اولاها وهيجها من خلفها لاحق الصقلين همهيم (١)

قال شمر اكثر الرواية بالفتح والسرب بفتحتين الطريق والمسلك في خفية وطريق سرب يتتابع الناس فيه قال أبوخراش :

طريقها سَرَب بالناس دُعبوب

وتسربوا فيه تتابعوا والسُّرْبة المذهب والطريقة وكل طريقة سربة

السراط ككتاب السبيل الواضح وإنما سي بذلك لأن الذاهب فيه يغيب غيبة الطعام المسترط . أو كأنه يسترط المارة لكثرة سلوكهم لاحبه ويقال بالزاي والصاد . والصاد أعلى وان كانت السين هي الأصل لمكان المضارعة وفي البيضاوي والسراط من قلب السين صاداً ليطابق الطاء في الاطباق وفي المخصص فأما ما حكاه الأصمعي من قراءة بعضهم الزراط بالزاي المخلصة فخطأ انما سمع به المضارعة فتوهمها زاياً . وحكى قطرب الصراد بالدال المهملة على المضارعة أيضاً

سَرَاة الطريق متنه ومعظمه والجمع سَرَوات ومنه الحديث : « ليس للنساء سروات الطريق أي لا يتوسطنها ولكن يمشين في الجوانب »

وطريق واضح السفاسق وهي الآثار قال :

(١) خلى ترك . هيجها أثارها . الصقل الخاصرة ولاحق الصقلين ضامر وقال حمار همهيم بكسر الهاءين وسكون الميم بينهما يهمهم في صوته أي يردد النهيق في صوته .

اذا الطريق وضحت سفاسقه ولم ينم حتى الصباح واسقه

واسقه الذي يريد أن يجمع سير ليله

السَيْفَل الطريق كذا ذكره في جواهر الألفاظ ولم أجده لغيره ولعله محرف عن سَغبل يقال شيء سغبل أي يسير

ويقال سافهت الناقة الطريق اذا خفت في سيرها قال :

أحدو مطيات وقوما نُعَّسا مسافهات مُعمَلا مُوَعَّسا[1]

وفي الأساس والناقة تسافه الطريق اذا أقبلت عليه بسير شديد

السِكَّة الطريق المستوي قال الشماخ :

حنَّت على سكة الساري فجاوبها حمامة من حمام ذات اطواق[2]

أي على طريق الساري وبه سميت سِكك البريد قال الفرزدق :

فما رد السلام شيوخ قوم مررت بهم على سكك البريد

والسكة الزقاق وقيل هي أوسع من الزقاق سميت بذلك لاصطفاف الدور فيها على التشبيه بالسكة من النخل وهي السطر المصطف • وطريق سُكّ ضيق منسد والسُّكاكة مشددة أبناء السبيل

الأسلوب الطريق المستوي قيل ومنه أخذ في اساليب القول أي ضروب منه والحق ان الأسلوب بمعنى الفن ومنه أخذ فلان في أساليب من القول اي افانين منه

والأسلوب الطريق تأخذ فيه • والطريق والوجه والمذهب يقال أنتم في أسلوب سوء وكل طريق ممتد فهو أسلوب وجمعه أساليب •

المُسلَحِبّ الطريق البين الممتد وطريق مسلحب ممتد والمسلحب المستقيم مثل المتلئب

المَنْلوعة: الطريق لأنها مشقوقة والسَلْم الشق في الجلد والرأس والجبل وغيره قال مليح

---

(١) أحدوا : اسوق نعسا جمع ناعس وأراد بالمعمل الوعس الطريق الموطوء (٢) حنت حنين الناقة صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها وحنينها تزاعها الى ولدها من غير صوت • الساري السائر ليلا والماضي والأصل في الجواب رد الكلام والمجاوبة المحاورة والمراد هنا ان الحمامة ناحت لما سمعت حنين الناقة فكأنها جاوبتها وأطواق جمع طوق وهو في الأصل ما استدار بالشيء وحمامة مطوقة في عنقها طوق •

وهن على مسلوعة زيم الخصي   تنير وتغشاها هما ليج طُلَّح[1]

ودليل مِسْلَمٌ يشق الفلاة

السَّليف كأمير الطريق

السَّليقة كسفينة تأثير الاقدام والحوافر في الطريق وتلك الآثار تسمى السلائق والسليق من الطريق جانبه وهما سليقان . والسَّلَق الواسع من الطرقات والسليقة المحجة الظاهرة

المسلك : الطريق والجمع مسالك . سلك الطريق كقعد ذهب فيه ويتعدى بنفسه فيقال سلكت زيدا الطريق وبالباء فيقال سلكت به الطريق وبالهمزة فيقال أسلكت فلاناً الطريق وأسلكته عليه قال ساعدة بن العجلان

وهم منعوا الطريق وأسلكوهم   على شماء مهواها بعيد[2]

ويقال اسلكته فيه قال عبد مناف بن ربع الهذلي :

حتى اذا اسلكوهم في قُتائدة   شلاً كما تطرد الجمالة الشُرُدا[3]

ويقال طريق مسلوك .

السَّمْت الطريق يقال الزم هذا السمت قال خطام المجاشعي :

ومَهْمَهَين قَذَفَين مَرْتين   قطعته بالسمت لا بالسَّمْتين[4]

(١) مسلوعة طريق زيم متفرق تنير تفيء وتنضح تغشاها تأتيها أو تعلوها والهماليج جمع هملاج كمفتاح البرذون . والحسن السير في سرعة وبخترة الذكر والأنثى سواء والطلح الاعياء والمتوط من السفر وقال أبو زيد اذا أضره الكلال والاعياء قيل طلح كمنع وابل طُلَّح هزلها السير وجهدها .

(٢) شماء مرتفعة والمهوى ما بين الجبلين ونحو ذلك . واسم مكان من هوى إذا هبط أو سقط .

(٣) أي أسلكوهم في طريق في قتائدة وهي ثنية معروفة أو عقبة والشل الطرد والجمالة أصحاب الجمال والشرد بضمتين جمع شرود وهو النافر ويروى الشردا بفتحتين جمع شارد كخدم وخادم . وجواب إذا في البيت محذوف دل عليه قوله شلا كأنه قال شلوهم شلا .

(٤) المهمه المفازة البعيدة أو الفلاة بعينها لا ماء بها ولا أنيس . قذف بعيدة ومرت لا نبات فيها وقيل المرت الأرض التي لا كلأ بها وان مطرت هكذا رواها في اللسان في سمت وقال معناه قطعته على طريق واحد لا على طريقين . وقال : قطعته ولم يقل قطعتها لأنه عنى البلد وروى في مرت هكذا .

(ومهمهين قذفين مرتين   ظهراهما مثل ظهور الترسين   جبتها بالنعت لا بالنعتين)

جبتها قطعتها والنعت الفرس الذي يكون غاية في العتق .

وسمت الطريق قصده ومحجته

والسمت السير على الطريق بالظن وقيل هو السير بالحدس والظن على غير طريق
قال الشاعر: ليس بها ربعٌ لسمت السامت

وفي نسخة بها زَيْغ

وطريق مسمدِرٌ طويل مستقيم

سماط الطريق جانبه يقال خذوا في سماطي الطريق أي جانبه

ويقال خل عن سُنح الطريق وسُجحه أي وسطه ومتنه

السنيمة كسفينة الطريقة في الجبل جمعها سنائع

السُنُك المحاج اللينة كذا في اللسان وفي القاموس البينة قال الشارح وهكذا في العباب .

سَنن الطريق وسُنَنه وسِنَنه وسُنُنه نهجه ويقال خدعك سنن الطريق وسُنَّته وترك فلان لك سنن الطريق بتثليث السين أي جهته ومتنه والسُنَّة الطريق المستوي وفي نظام الغريب السنة والسنن والمسنّ الطريق .

قال شمر السنة في الأصل سنة الطريق وهو طريق سنه أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم وسن فلان طريقاً من الخير يسنه اذا ابتدأ امراً من البر لم يعرفه قومه فاستسنوا به وسلكوه وهو سنين . وسنَّ الله للناس سُنة أي بين طريقاً . وسنّ الطريق سَنّاً وسنناً فالسنّ المصدر والسنن الاسم بمعنى المسنون ويقال سَنن الطريق وسُننه محجته .

والمستسنّ بكسر السين الثانية وفتحها الطريق المسلوك والمسنسن بفتح السين الثانية وكسرها الطريق المسلوك . وفي التهذيب طريق يسلك .

ويقال طريق مسور فيه والقياس مسير

ويقال خذوا في هذا السوط وهو طريق دقيق بين شرفين وفي هذه السياط والأسواط ويروى بالشين أيضاً وهو مجاز .

المُسَيَّح كمعظم من الطريق المبين شَرَكه وانما سمي كثرة شركه شبه بالقباء المسبح وهو الذي فيه جدد واحدة بيضاء وأخرى ليست بشديدة السواد .

محمد سليم الجندي

مخطوطات ومطبوعات

(رسالة الملائكة . أوج التحري . تعريف القدماء)

أرأيت السيل بعد مضيه وانقطاع مدده كيف يترك وراءه ربما مرعاً للمنتجعين ونزلاً كريماً للمجدبين كذلك المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري فإنه ترك فينا بعد انقضائه آثاراً أدبية لابي العلاء وفي ابي العلاء وعن ابي العلاء لا تحصى فوائدها ولا تنفد فرائدها ولا تنتهي عجائبها .

ومن أنفس تلك الآثار وأعلاها قيمة الثلاثة التي عنونا بها الكلام : مصنف أصدره المجمع العلمي القائم بالمهرجان . وآخر أصدره المعهد الافرنسي بدمشق وثالث أصدرته وزارة المعارف المصرية .

(رسالة الملائكة) ظفر بها المجمع العلمي في بعض مكتبات دمشق القديمة واتفق موعد مهرجان ابي العلاء فرأى ان ينشرها على الجمهور بهذه المناسبة فعهد الى احد اعضائه الأستاذ سليم الجندي بتصحيحها والتعليق عليها ففعل وطبعها المجمع على نفقته في مطبعة الترقي بدمشق فبلغت مع فهارسها ٣٠٠ صفحة بالقطع المتوسط غير ان العجلة في تصحيحها وطبعها ومبادرة أيام المهرجان بإصدارها وتوزيعها أوقع فيها ما كان ينبغي ان لا يقع وهذا ما اعتذر عنه مصححها الفاضل بقوله في المقدمة القيمة التي صدرها بها : (وقد تألب عليّ في هذا العمل ضيق الوقت الذي حدد لانجازه وفقدان مرجع الجأ اليه للمقابلة والتصحيح وانفرادي بالعمل وكثرة اعمالي الخاصة فاضطررت الى الايجاز في بعض المواطن وإلى إهمال القول في بعض آخر وإلى إغفال تراجم بعض الرجال وربما تكرر القول في غير موضع ولم تسلم الرسالة من الهفوات التي تقتضيها العجلة اهـ) ثم وقع في طبعها أغلاط كثيرة تتبعها المصحح الفاضل ونظم بها جدولاً بلغ نحواً من ثلاثة عشر عموداً فكان في هذا الجدول سد لحاجة الحريص وتوفية لرغبة المطالع . ومن أراد التوسع في معرفة أخبار رسالة الملائكة ومختلف اطوارها فليرجع الى مقدمتها المذكورة بقلم المصحح

والى مقال آخر كان كتبه هو عنها ونشره في مجلة المجمع (ص ٤٨ من الجزء [١ و ٢] من المجلد ١٩ ٠ وفي ص ١٢٢ من الجزء [٣ و ٤ من المجلد المذكور] ٠ وأراني مسوقاً الى التعليق على هذه الرسالة بما يأتي :

ان عشاق الكتب المتتبعين لنوادرها كانوا ظفروا من هذه الرسالة بنسخ طبعوها ونشروها في الشرق والغرب باسم (رسالة الملائكة) مع ان ما طبعوه ونشروه انما هو مقدمة الرسالة لا الرسالة كلها ٠ وذلك ان ابا القاسم علي بن محمد كتب الى ابي العلاء يستفتيه في مسائل في اللغة العربية وغريب كلماتها ومعظمها من علم الصرف تبلغ نحو ١٦ مسألة أجابه عنها في هذه الرسالة بعد ان قدم لها مقدمة لا علاقة لها بتلك المسائل لكنه اخترع لها موضوعاً آخر وافرغه في قالب حوار بينه وبين طائفة من الملائكة ويدور موضوع الحوار حول كلمات لغوية غير الكلمات التي سأله عنها ابو القاسم : فكأن النساخ او الأدباء منهم اذا ظفروا بالرسالة كلها اجتزأوا عنها بمقدمتها لما فيها من هذا الحوار الملائكي المبتدع ٠ وهكذا وجد من مقدمة الرسالة عدة نسخ ٠ وكادت تفنى او تفقد هي نفسها لو لا ما وفق اليه المجمع العلمي وأظفره القدر بها كلها أي بمقدمتها مع اسئلة ابي القاسم وجواب ابي العلاء عليها ٠ غير ان الاسئلة نفسها قد فقد منها ثلاثة هي ١٤ و ١٥ و ١٦ وقد طبعت نسخة المجمع من دون هذه الأسئلة فعسى ان القدر الذي اسعفنا بالرسالة كلها لا يضن علينا بخاتمتها وقد فهم القارئ ان الرسالة سميت بالملائكة تسمية للكل باسم البعض وانها كلها حتى مقدمتها مغمورة بمباحث لفظية ودقائق في علم الصرف لغوية لا يتسع لها الا صدر المتعمق في علم اللغة وخاصة علم الصرف فمن سمع بهذه الرسالة يستهويه اسمها حتى اذا ظفر بها وتصفحها لم يسمع منها تسبيح ملائكة وانما سمع عزيفاً لجن نسمع (اين الشظاظان) [يا أيها الخذوذان] [عجوز شهربة] [ناقة جلنفعة] [آثار سفنسنة] [وقانون بالشغزنة] الخ الخ ٠ أما شكل الحوار الذي وقع بين ابي العلاء والملائكة فهو ان ابا العلاء اراد ان يصور لسائله ابي القاسم نقصه وعجزه عن الجواب عن الأسئلة المذكورة فسما به خياله الى ان يقول ما ملخصه : انني كبرت

عن العمل وحانت وفاتي فهل أتوقع ان ادفع عني عزرائيل بتفسير ما استغلق من ألفاظ اللغة فأبادهه باللفظ الذي يدل عليه وهو (الملك) أيكون اصله ملأك او مألك الخ الخ فيعجبه قولي ويلهو عني هنيهة ثم يهمّ بي فأعود الى البحث بلباقة فيصغي إليّ حتى اذا استشهدت بشعر لعمر بن أبي ربيعة قال ومن ابن ابي ربيعة هذا ؟ وما هذه الأباطيل ؟ ان كان لك عمل صالح فأنت السعيد والا فاخسأ وراءك قال فأريد ان اشغله عني ببحث كلمة (عزرائيل) وما هو أصلها فيقول هيهات ليس الأمر إليّ : إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون · ثم يقبض الملك روحه · فيرى نفسه في القبر بين يدي منكر ونكير فيبغتهما بالسؤال عن اشتقاق اسميهما فيقولان هات حجتك (يعني على عقيدة الاسلام) ودع الزخرف· فتقرّبت اليهما بقولي : كان ينبغي ان تعرفا وزن جبريل وميكائيل · فلم يصغيا إليّ وازدادا غلظة وكأنه عاد فاستدرجهما حتى اعطيا رأياً في تصريف اسم (موسى) فقال لهما (لله انتما لم اكن أحسب ان الملائكة تنطق بمثل هذا الكلام وتعرف احكام العربية) ثم خاف وقد أشارا اليه بالأرزبّة (وهي عصا من حديد) فقال لما تثبّتا رحمكما الله كيف تصغران الأرزّبة قالا تصغيرها كذا وجمعها كذا · فإن قالا لي ما كذا أقول كذا · وقد تكرر النقاش بينه وبين منكر ونكير على هذه الصورة التي استغرقت نحو اربع صفحات مما يوهم ان هذين الملكين كانا على حصة موفورة من معرفة علم الصرف · ثم تخيّل ان القيامة قد قامت وانه على أبواب جهنم وانه يتودّد الى مالك خازن النار فذكر له اختلاف العلماء في أصل معنى الزبانية واشتقاقها فعبّس مالك في وجهه · اما هو فلم يخجل ولم يرعو بل سأله رأيه في أصل كلمات (غسلين) و (جهنم) و (سقر) فضاق صدر [مالك] وقال له [ما أجهلك واقل تمييزك ما جلست انا هنا للتصريف وانما جلست لعقاب الكفرة القاسطين] فانتقل الى مناقشة الملكين الآخرين وهما [السائق والشهيد] في مخاطبة الاثنين بضمير المفرد · ثم لما رأى نفسه واحداً استصحب معه جماعة من [خمّان الأدباء] أي سفلتهم وأراذلهم فوقفوا معه على باب الجنة . وبدل ان ينادوا رضوان خازنها بقولهم

[يا رضوان] رخموا فقال بعضهم [يا رضوَ] بفتح الواو وقال آخرون [يا رضوُ] بضمها . فاستنكر ذلك منهم فاعتذروا له بأنهم في دار الدنيا هكذا يتكلمون فسألهم ما حاجتهم قالوا توسط لنا لدى أهل الجنة فنعلمهم اشتقاق كلمات [كمثرى: سفرجل] [سندس] [طوبى] [الحور العين] [استبرق] و [عبقري] وقالوا له إن كان كبار أهل الجنة يعرفون هذا فان صغارهم وولدانهم يجهلونه فأدخلنا الجنة نعلمهم . فيبتسم رضوان ويقول [ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون] فانصرفوا رحمكم الله فقد اكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه وانما كانت هذه الأشياء أباطيل زخرفت في الدار الفانية فذهبت مع الباطل . فيقولون إذن نادِ لنا بعض علمائنا الذين في الجنة نخاطبه في امر . قال ومن تريدون ؟ فيقولون الخليل بن احمد فيشرف عليهم الخليل . ويقول لهم ماذا تريدون قالوا تعليم ولدان الجنة علم العربية فيجيبهم بأن الله جعل من يسكن الجنة ناطقاً بلغة يعرب بن قحطان وانما افتقر الناس في الدنيا الى تعلم العربية لأن العربية الأولى أصابها تغيير أما الآن فقد رفع عن أهل الجنة كل الخطأ والوهم . فاذهبوا راشدين فيذهبون وهم مخفقون فيما طلبوه .

هذه خلاصة مقدمة رسالة الملائكة وقد استغرقت ٥٥ صفحة من الرسالة المطبوعة التي مجموع صفحاتها نحو ٣٠٠ صفحة كما قلنا وباقي الرسالة يتضمن الأجوبة على اسئلة ابي القاسم وكل مباحثها على النمط السابق في المقدمة . لغة وصرف كثير ونحو قليل

وقد يتخلل حزون هذه الأبحاث الصرفية أقوال لأبي العلاء يجد فيها القارئ سهولة بحث . ومتعة نفس . مثال ذلك قوله (في ص ٢٢٦ سطر ٧) : « وقد يقع في الكتب ألفاظ مستغلقة فمنها ما يكون تعذر فهمه من قِبَل عبارة واضع الكتاب لأنه يكون متسوراً [1] على ما بَعُد من الألفاظ وعلى ذلك جاءت عبارة سيبويه في بعض المواضع . ومنها ما يستبهم لأن صاحب الكتاب يكون قاصداً لإبهامه ويقال إن النحويين المتقدمين فعلوا مثل ذلك ليفتقروا اليهم في إيضاح المشكلات .

(١) أي مشتملاً على معرفة ما بعد وغمض من ألفاظ اللغة ويحتمل أن يكون معنى (متسوراً) مشرفاً ومطلعاً

ومن الفاظ الكتب ما يستعجم لتصحيف يقع فيه : فإن الحرف ربما زاغ عن هيأته فأتعب الناظر وشغل قلب المفكر وربما كان الكلام قد سقط منه شيء فيكون الإخلال به أعظم ومعناه أبعد من الإبانة » اه ·

وهنا موضع التساؤل او التعجب من ابي العلاء في وضعه طائفة من مصنفاته في شكل قصة وحوار خيالي بين اشخاص أو بين الطير والحيوان أحياناً · فمن تصفح اسماء الكتب التي صنفها علماء عاشوا في زمن ابي العلاء وقبله وبعده لم يجد فيها ما يجده في مصنفاته هو من هذا الوضع الخيالي أو التمثيلي او القصصي : فبين مصنفاته [أدب العصفورين] [خطب الخيل] [رسالة الضبعين] [رسالة على لسان ملك الموت] [سجع الحمائم] [الصاهل والشاحج] [كتاب القائف] قالوا : انه على مثال كليلة ودمنة · وهذه رسالة [الملائكة] كما وصفناها للقارئ ورسالة [الغفران] وهي اوسع في الخيال وامتع من رسالة الملائكة · وله كتاب باسم [تظلم السور] وهو يشعر بأن سور القرآن تتشاكى وتتظلم من بعض الشيء · هذه المصنفات مما وضعه ابو العلاء تدل بأن له ميلاً خاصاً أو ذوقاً خاصاً في فن القصة لم نعهده لغيره من علمائنا الذين عاشوا في زمنه ومثل بيئته · فمن ورث هذا الميل وكيف تسرب الى نفسه ؟ نعم ان شروط فن القصة في آثاره هذه لم تتوفر بتمامها لكنّ نواتها قد وجدت في طبع ابي العلاء وغريزته قطعاً · يخطر لي ان هذا الميل تسرب اليه من الفرس فان لأبي العلاء — كما يظهر من ترجمته — زواراً وخلطاء وتلاميذ منهم · اشهرهم الخطيب التبريزي ويظهر ان المعرة كانت الى عهد قريب منزلاً للحجاج والرواد الايرانيين يقصدونها لموقعها من طريقهم ولأثر في جامعها من آثار سيدنا الحسين ومن أشهر من زار المعرة في زمن أبي العلاء من الفرس ناصر خسرو الرحالة الفارسي وقد وصفها ووصف ابا العلاء في رحلته التي سماها (سفرنامه) فلا جرم ان يكون — ابو العلاء وهو الذكي الألمعي والثقف اللقف — عرف من هؤلاء المعاشرين شيئاً ولو قليلاً من أدب الفرس وتخيلات أدبائهم وقصصهم في مصنفاتهم وما ننس لا ننس كليلة ودمنة وشاهنامة الفردوسي · ومن كان في ذكاء ابي العلاء

لا يعوزه لاجل التأثر والاقتداء والتحدي اكثر من هذا القليل حتى يفيض ذهنه بالكثير مما كان على نمطه ومضروباً على غراره • ويمكن ان تعد مقامات البديع الهمذاني من جملة الآثار التي تأثر بمضمونها ابو العلاء : فهي — وان كانت عربية في مولدها — فارسية في محتدها: إذ ان البديع فارسي العرق كان يقيم بهرات ومات فيها وكان معاصراً لأبي العلاء جمعهما ربيع الشباب وعاش المعري بعده اكثر من نصف قرن • •

وأراني قد تطفلت في التعرض لهذا الموضوع اعني بيان السبب في جعل ابي العلاء يكتب بعض مصنفاته مفرغاً في قالب القصة المتخيلة بينما غيره من أقرانه لم يرو عنهم شيء من هذا القبيل • ولعل غيرنا كتب في هذا الموضوع ووفاه حقه • ولو اطلعنا عليه • لاجتزأنا به • ولم نكتب ما كتبنا •

(أوج التحري عن حيثية ابي العلاء المعري) قلنا ان هذا المصنف أصدره المعهد الافرنسي بدمشق بمناسبة المهرجان أيضاً وقد عهد المعهد الى الاستاذ ابراهيم الكيلاني بالوقوف على تصحيحه والتعليق عليه وكان الأستاذ عثر على مخطوطته في دار الكتب الظاهرية وهي من النوادر التي لا وجود لها ولا لأمثالها إلا في تلك الدار • وقد طبع الكتاب في مطبعة الترقي بدمشق في ١٦٠ صفحة بالقطع المتوسط • ونشر في أوله مقدمتان هما غاية في الامتاع والفائدة والتعريف بالكتاب ومؤلفه : إحداهما بقلم الأستاذ سليم الجندي عضو المجمع العلمي والأخرى بقلم مصححه الأستاذ الكيلاني وألحق بالكتاب فهارس مختلفة تزيد في فائدته وتقريبها من يد المتناول • كما أخذت بالتصوير الفوتوغرافي صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة لتدل عليها وعلى نوع خطها وقطع صفحاتها • وقد قيل في آخرها ما نصه (تم الكتاب في آخر أول شهر من سنة ١٠٥٣ هـ) وفي الكتاب خرم لا ينقص من قيمته أما مؤلفه فهو يوسف البديعي الدمشقي وكانت وفاته سنة ١٠٧٣ هـ وليس له ترجمة الا في خلاصة الأثر للمحبي وهي مقتضبة جداً لا تفي بحاجة المتتبع الحريص وقال عنه المحبي : انه خرج من دمشق في صباه وحل بحلب وكانت له فيها شهرة واسعة وولي قضاء الموصل • وله مصنفات اشهرها (الصبح المنبي في حيثية المتنبي) • ولم يأت البديعي بجديد من اخبار ابي العلاء

غير. ما قاله المترجمون له والمصنفون فيه عدا نماذج من كتاب (الأيك والغصون) المفقود والمجهول الموضوع حتى عرّفتنا به هذه النموذجات التي ذكرها البديعي وقد استغرقت عدة صفحات فعلم منها ان الكتاب كتاب حكم ووعظ سردت فقراته سرداً متتالياً كقوله: (المخمصة للفحل وجاء. لا يستثيرن غضبك هجاء. افرح بالحسنة اذا صنعتها. واندم على صلاتك متى أضعتها. في كل نفس أعجوبة. والحقائق عن البشر محجوبة. إذا لاقيت جارك فحيّه. وان نزح به الزمن عن حيّه الخ الخ وفي الكتاب أيضاً نماذج من مصنف لأبي العلاء مفقود اسمه [ديوان الألغاز] ولم يشر اليه احد الا البديعي ومهما يكن للمؤلف البديعي من هنات يؤاخذ بها فان له حسنات ومزايا يحمد عليها وقد استوفى بيان ذلك كله في المقدمة المصحح الفاضل الذي ترى آثار جهوده في كل جانب من جوانب ذلك الكتاب ولا سيما في التعليقات الممتعة التي علّقها عليه فله الشكر على مابذل من العناية في إبراز هذا الأثر النفيس وشكر آخر لا يقل عن الشكر الأول للسيد هنري لاوست مدير المعهد الافرنسي وعضو مجمعنا العلمي العامل على طبع الكتاب ونشره وبذل العناية في أمره. بقيت لي كلمة لا بدّ منها وكنت قلت مثلها في مؤلف دمشقي آخر معاصر للمؤلف البديعي وهو الشيخ محمد الدرا شارح سقط الزند وقد سمى شرحه [ضوء الفند] وكلمة [الفند] بمعنى الشمع دخيلة في اللغة ملوزة في نسبها وعجبت من مثله كيف يسمي شرحه وهو كتاب أدب جمع فصاحة العرب بلفظ غير عريق في العروبة ومن العجيب ان أحداً من علماء دمشق وأدبائها لم ينتقد الدرا في هذا التسمية ولو فعلوا لما قام البديعي في العصر نفسه يسمي كتابيه [أوج التحري عن حيثية ابي العلاء المعري] [والصبح المنبي في حيثية المتنبي] فما هذه (الحيثية) التي هام بها البديعي واستحلاها حتى كررها في المصنفين. ويظهر ان كلمة حيثية ليست خاصة بلهجتنا الشامية بل هي شائعة ومألوفة منذ ذلك العهد: تقول اليوم فلان صاحب حيثية وتريد بالحيثية المكانة والاعتبار في نفوس الناس وهي نسبة الى [حيث] وحيث ظرف

مكان تقول [اجلس حيث جلس زيد] اي في مكان جلس فيه وقد الحقوا بحيث ياء النسب وتاء المصدرية وهذا كما يقال في مكان مكانة ٠ وربما كان هذا الاستعمال خاصاً بنا معشر الشاميين لكننا نسمع المصريين يقولون [حيثيات الحكم] : يريدون الأسباب التي جعلت الحاكم يحكم في القضية ويكررون في وثائق حكمهم كلمة [وحيث كذا وحيث كذا] ولا نعلم ان كان المصريون في لهجتهم يستعملون كلمة الحيثية بمعنى المكانة ٠ وفي الجملة فان في تسمية البديعي لكتابيه باسمين فيهما كلمة [الحيثية] موضعاً للمؤاخذة ٠

(تعريف القدماء بأبي العلاء) وهذا الكتاب أصدرته وزارة المعارف المصرية بمناسبة مهرجان ابي العلاء ونشرت فيه آثاره نشراً علمياً منظماً وهي عازمة على إخراج سلسلة كتب تتعلق بالتعريف بأبي العلاء وهذا السفر الذي بين أيدينا في ٦٠٠ صفحة بالقطع الكبير والحقت به فهارس في زهاء مئة صفحة وقد طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة بعد ان جمعه وحققه لجنة من رجال وزارة المعارف العمومية بإشراف الدكتور طه حسين بك فيعلم مما ذكرنا ان هذا الكتاب قد احتفل به أيما احتفال وان الحكومة المصرية قد اولت مهرجاننا جميلها بإصداره كما خدمت أدب ابي العلاء خاصةً والأدب العربي عامةً خدمة باقية بقاء الدهر ولا يحيط علماً وإعجاباً بكتاب [التعريف] الا من احاط به مطالعةً او تصفحاً لمضامينه على الأقل فهو [دائرة معارف] خاصة بكل ما يتعلق بأبي العلاء واذا كانت الوزارة المصرية عازمة على نشر سفر أو اسفار وراء هذا السفر الأول حق لنا ان نقول مثلما قال ذلك الفاضل الذي اطلع على الجزء الأول من الأجزاء المئة من كتاب [الأيك والغصون] للمعري — نقول : لا نعلم ما ذا يعوز الوزارة المشار اليها ان تجمعه من أخبار ابي العلاء بعد هذا السفر ٠ وقد نشر في أوله مقدمة ماتعة في أسلوبها ٠ ممتعة في مضامينها بقلم الدكتور طه حسين بك جاء في خاتمتها ما نصه [أما بعد فإننا لا نرى هذا السفر على خطرة الا مقدمة يسيرة لعمل خطير سيتبع بعضه بعضاً ومصر سعيدة مغتبطة لأنها ستتقدم بهذا السفر الى الذين سيحيون ذكرى ابي العلاء في سورية وهي أشد

سعادة واغتباطاً لأنها ستمضي في هذا الجهد حتى تنشر كل ما يمكن نشره من آثار الشاعر الفيلسوف العظيم ونحن سعداء مغتبطون لأننا اتحنا لمصر بما بذلنا من جهد ان تؤدي للأدب العربي وللثقافة الاسلامية بعض ما عليها من دين]

أما ما تضمنه هذا السفر من الآثار المتعلقة بأبي العلاء فهي :

[١] ما كتب له من التراجم في المصنفات المختلفة مرتباً ترتيباً زمنياً

[٢] شذرات تعرضت لذكره وشيء من خبره منقولة من سائر المصنفات في المواضيع المختلفة

[٣] « التبري من معرة المعري » وهي ارجوزة للسيوطي سرد فيها اسماء الكلب السبعين وقد بنى نظمها على ما جاء من قول ابي العلاء [الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً]

[٤] ابو العلاء في الأدب المغربي

[٥] ابو العلاء في الأدب الفارسي

[٦] النحاة وابو العلاء

[٧] كتاب الانصاف والتحري لابن العديم . وقد نشر برمته مصححاً ومعلقاً عليه

[٨] معرة النعمان وما كتبه الجغرافيون وأصحاب الرحلات عنها .

و اذ قد تعمد جامعو الكتاب ان ينشروا النصوص بحذافيرها من دون حذف شيء منها فأخبار ابي العلاء فيها تجيء مكررة بالطبع ولو حذف منها ما تكرر فيها لما بقي في الكف من هذا السفر الا نحو نصفه . ومع هذا ففي الاعادة إفادة ولا نظن الذكي من قراء السفر الا ويخرج منه بعد قراءته مستظهراً له . متفقهاً فيه . وكفى بذلك رسوخاً في الأدب وملكته . وأثمن شيء في هذا السفر نصوص لم يسبق نشرها قبل الآن بل هي منسية لم تقع عليها عين : نص للقفطي . وثان في مرآة الزمان . وثالث في مسالك الأبصار . ورابع في عقد الجمان . وانا لنكرر الشكر لوزارة المعارف المصرية على اتحاف العالم العربي وثقافته الأدبية بهذا السفر والأسفار المنتظرة الأخرى .

المغربي

مبادئ في السياسة المصرية

تأليف الأستاذ محمد علي علوبة باشا طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
(سنة ١٣٦١ — ١٩٤٢) ص ٣١٨

مؤلف هذا الكتاب من أكبر رجال القضاء والإدارة في مصر مشهور بعنايته بالعالم الاسلامي وهو من أول من نادى بجمع كلمة العرب وكتابه هذا من أنفع ما صدر في العهد الأخير في تعليم المصريين ما يلزمهم ودلالتهم على ما ينهض بهم ويكفي أنه زبدة علم رجل عانى أكثر المسائل التي خاض عبابها بنفسه فهو كتاب عملي مثل كتاب (على هامش السياسة) للدكتور حافظ عفيفي باشا .

جمل كتاب علوبة باشا كل ما يجعل من مصر دولة عظيمة ومن المصريين أمة ناهضة مرفهة لا يجور غنيها على فقيرها ولا قويها على ضعيفها ولا ينعم في أرضها فريق صغير ويشقى فيها الملايين . والكتاب لا يدرك فائدته الا من يطالعه مطالعة امعان مرة بعد مرة ونحن نكتفي هنا بالاشارة الى بعض فصوله التي كتبها المؤلف برشاقة يندر أن يكتب مثلها . فقد تكلم في أسباب ضعف ثروة مصر ووسائل انهاضها وفي مجالها الحيوي الشرعي والهجرة والجنسية المصرية وفي الصناعة والتجارة وفي أزمة المتعطلين وتطور الصناعة والشركات . وبحث في ديون الأفراد وتحديد الملكية العقارية وفي السياحة واللغة القومية وشركات الاحتكار . وقال في فوائد القروض (ص ٧٣) « ان خوفي على مستقبل الاسلام والمسلمين واعتقادي أن دين الله يسر كله واننا أدري بأحوال زماننا ، كل هذا يدفعني الى الجهر بأن واجب المسلمين أمام الضرورات الحاضرة القاسية وهذا التزاحم الشديد أن يدفعوا غائلة المرابين وان دينهم يأمرهم الآن بالتعامل افراداً وجماعات بالفوائد القانونية درءاً للمفاسد وسداً للذرائع قبل أن نندم حيث لا ينفع الندم » .

ومما أفاض فيه بذوق وخبرة الكلام على النظام النيابي والأحزاب السياسية والنظام الاداري والتعليم على اختلاف درجاته وتوحيد الثقافة . ألمّ في هذا الباب بعامة الفروع ولا عجب فهو ابن بجدتها (تولى وزارة المعارف ووزارة الأوقاف زمناً)

وجمة فيما يقول . ولم نوافقه على رأيه عند الكلام عن الموسوعة (الانسيكلوبيذيا) أو دائرة المعارف او المعلمة فقال : اذا كانت الحاجة ملحة في وضع المعاجم العربية على النمط الحديث « ص ٢١٤ » (لا أرى الحاجة ماسة الى ما يقول به البعض من التفكير في موسوعة عربية تجمع بين دفتيها جميع المعلومات الانسانية مدنية وعلمية وفقهية ورياضية وكيمائية ... ذلك لأن الموسوعة بهذا الوضع تتطلب نفقات طائلة ووقتاً طويلاً والعلوم متجددة متقدمة) على ان مصر يجب عليها من الآن القيام بمثل هذا المشروع المفيد للأمة العربية جمعاء فاذا كان النقص يبدو فيه بما يتوالى من تقدم العلم السريع فان الطبعات الثانية تجيء أمتع بالطبيعة . أما النفقات اللازمة فلا تعد شيئاً بالقياس الى ثروة مصر واسرافها في إنفاق المال ثم ان جميع البلاد العربية تساهم في إنشاء هذه الموسوعة ونشرها بحسب طاقتها والأمر متوقف على الشروع والشروع ملزم وكتاب كهذا أفيد لمصر من كثير من المطبوعات التافهة والاخصائيون الذين سيضعون أساس هذا العمل الخطير غير قلائل في مصر وغير مصر .

وتكلم في حالة مصر الاجتماعية من مثل مستوى المعيشة والحفاء والتسول والتشرد والصحة وانتشار الأمية واضطراب التشريع والزواج والطلاق والأزياء والأوسمة والقاب الشرف والبدع ومظاهر الأفراح والأتراح والأغاني والموسيقى وفوضى الاحسان . وعرض للدفاع الوطني والخدمة العسكرية والرياضة البدنية واستقلال الحبشة وواحة جغبوب وفلسطين . ثم انتقل الى الوقف وتاريخه وشروط الواقفين وتنظيم الوقف الأهلي الجديد والوقف الخيري الجديد وتنظيم الأوقاف القديمة وهذا من أمتع الفصول وختم هذا الكتاب النفيس « في مصر والبلاد العربية » . وتشاءم من ضم الأقطار العربية الى مصر وجمجم في هذا الباب وقال ان درجة نمو البلاد العربية الثقافي مختلفة وانها معترفة لمصر بالزعامة السياسية والثقافية والروحية وغير ذلك (ص ٣١٥) الا ان المؤلف يريد ان تكون الروابط بين مصر وشقيقاتها

كتلك الروابط التي تجمع مثلاً بين انكلترا والأمم التي تتكلم اللغة الانكليزية وان تستقل كل أمة (والأولى كل شعب) من الأمم العربية باستقلالها السياسي والجغرافي استقلالاً تاماً كاملاً ٠

هذا أقل ما يقال في وصف هذا السفر الممتع وللمؤلف منة على مصر بتأليفه هذا ضمنه عصارة علمه الواسع وتجاربه الوفيرة جزاه الله عن بلاده وكل بلد عربي أفضل جزاء ٠

محمد كرد علي

مطالعات عباس محمود العقاد

تظهر قدرة الأستاذ العقاد في « مطالعاته » اذا هجم على شاعر من الشعراء يرضى عن خلقه وعن فلسفته في الحياة وعن فنه ، فيتغلغل الى خفايا هذا الخلق وهذه الحياة وهذا الفن ويكشف الغطاء عن أسرارها ثم يصور هذه الأسرار في أوضح الصور وأقواها ، فلست ترى في رضاه عن هذا الشاعر الا اصالة في الرأي وسلامة في الذوق وانصافاً في الحكم وبراعة في التعليل ووضوحاً في التعبير على نحو ما فعل في فصوله الدقيقة في المتنبي فلقد صوره في حقيقة صورته وأدرك جوهر خلقه وطبعه وأحس بأعماق شعوره فاستخرج من هذا كله صورة شاعر بلحمه ودمه وروحه ، شاعر ناطق كأنك تسمع همس شعوره وترى مجال نفسه وتلمس أثر عظمته ٠

ولكن الويل ثم الويل اذا هجم على فكر من الأفكار في الأدب لم يرض عنه أو لم ينكشف له وجه صوابه على حقيقته ، فانه لا يلبث ان يمسخ وجه هذا الفكر وان يعرض عليك بعد هذا المسخ صورة وجه تنقبض عنه العين فلا تجرؤ على النظر اليه على نحو ما فعل في فصله : الأدب كما يفهمه الجيل ٠

.. نبه في هذا الفصل على اجتناب خطأ شائع لا ينفع الواقعين فيه اطلاع ولا ادمان نظر ، وليس يتأتى درس صالح لأي باب من أبواب الأدب قبل الخلاص

من آفته وانتزاع كل أثر عالق بالذهن من آثاره ، ما هو هذا الخطأ : النظر الى الأدب كأنه وسيلة « للتلهي والتسلية » .

ليست المصيبة في التنبيه على خطأ شائع وانما المصيبة في تفسير حقيقة هذا الفكر الشائع على الوجه الذي أراده الأستاذ العقاد ، فقد رأى ان اعتبار الأدب ملهاة وتسلية انما هو العلة في كل ما يعرض للآداب من آفات الاسفاف الى الأغراض الوضيعة والغلو والعبث وتشويه المعاني والكلف المفرط بمحسنات الصناعة وغيرها من ضروب التزييف .

فأرى ان أنقل في هذا المقام جملة من قول الذين يجدون في الأدب مسرة لعل نقل هذا القول يغني عن الرد على الأستاذ العقاد .

يرى الأستاذ « لانسون » ان الأدب انما هو رياضة وذوق ومسرة ، والأدب لا يعلمه المرء علماً ولا يدرسه دراسة وانما يمارسه ويحرثه ويحبه ، ان الرياضيين الذين يلهيهم الأدب والذين يذهبون الى المسارح أو يقرأون الكتب على سبيل التسلي والمسرة انما هم أقرب الى الصواب من هؤلاء الأدباء الذين لا يقرأون الكتب قراءة ولكنهم يجردونها تجريداً ويظنون انهم يصيبون الاصابة كلها اذا جعلوها أبواباً ، لقد خلق الأدب لينشئ مسرة لنا ، ولكنها مسرة عقلية تروض قوانا العقلية فتخرج القوى من هذه الرياضة أقوى سلطاناً وأمرن طبيعة وأغنى مادة ، وعلى هذه الصورة يكون الأدب ثقاف الباطن ، هذه حقيقة فعله . وأضاف الى قوله هذا ما يلي : اني لا اكاد أفهم كيف يدرسون الأدب لشيء آخر غير الثقافة ولسبب آخر غير وجود المسرة في دراسته .

فالاستاذ « لانسون » وقد كان مدير دار المعلمين العليا في فرانسة ، يرى ان الأدب انما هو مسرة ، ولما قال قوله هذا لم يقع في خلده انه يأتي يوم يعتبرن فيه ان مسرة الأدب معناها الاسفاف الى الأغراض الوضيعة وعلى الرغم من هذا فقد تحفظ فصور عمل الأدب فقال : بالأدب تستفيض في الجماعات المذاهب الفلسفية الكبرى التي ترقي هذه الجماعات وتغير أوضاعها ، الأدب هو الذي يتعهد النفوس

التي أثقلتها تكاليف الحياة وأغرقتها مشاغل المادة ، فيحملها على الاعتناء بالمسائل السامية التي تستولي على الحياة وتجعل لها معنىً أو غاية .

فاذا كان الأدب هذا فعله في الجماعات فأظن انه بعيد عن الإسفاف الى الأغراض الوضيعة التي أشار اليها الاستاذ العقاد .

ومن الذين يرون ان الأدب انما هو مسرة «اناتول فرانس» فقد قال : يحق للعلم ان يطلب الينا ان يجتهد ذهننا ويتعب فكرنا ، ولكن الفن ليس له هذا الحق ، شأن الفن أن يلذك ويسرك ، ليس له غير هذا الشأن .

قال «أناتول فرانس» هذا القول والذين قرأوا فصوله ورواياته يعرفونه حق المعرفة بعده عن تشويه المعاني وعن فرط الكلف بمحسنات الصناعة وغيرها من ضروب التزييف فان قاعدته في الفن مشهوره : البساطة ولا شيء غير البساطة .

فالذين وجدوا مسرّة في الأدب لم تخطر ببالهم الأمور التي تصورها الاستاذ العقاد ولما قالوا قولهم لم يذهب فكرهم الا الى أمر واحد ، فقد أرادوا ان يكون الأدب بعيداً عن مصاعب العلم وتعقيدات الفلسفة أرادوه بعيداً عن هذا كله حتى يستطيع بفضل بساطة صيغه ان ينشر هذا العلم وهذه الفلسفة في الجماعات فتذوق الجماعات لذة العلم والفلسفة دون شيء من المشقة والجهد ، أو من التعقيد والإبهام ، هذه حقيقة فكرة المسرّة في الأدب .

شفيق جبري

مراجعات في الأدب والفنون

عباس محمود العقـاد

عنوان الكتاب يدل على موضوعاته ، لقد خاض الاستاذ العقاد في كتابه هذا في مباحث من الفن والأدب شتى ، واني أعتقد ان هذه المباحث كتبها من زمن غير قريب ، وإن كان المؤلف لم يذكر في آخر المقدمة تأريخ التأليف ، ولو كتبها اليوم لتلطف في بعض مواطنها ، لو كتبها اليوم لما كنت اعتقد انه

يقول في جماعة من شعراء عصره نسبت اليهم العظمة والخلود ان العالم الذي يعيشون فيه انما هو عالم الحمير : عالم العلف والمذود والقيد واللجام والأتان ! ..

لو كتب الأستاذ العقاد مراجعاته اليوم لما سئم من حياة الشاعر ابن هرمة ولما قال في هذا المسكين ان مسافة عمره من المولد الى الممات طويلة ، ومعنى هذا انه ليته بعد أن ولدته أمه خسفت به الأرض ولم يمش !

لا يرى الأستاذ لكلام ابن هرمة براعة وصناعة ، فهو حر في ذوقه ، ولكن تشبيه شعراء عصره بالحمير ، أو التبرم بحياة بعض الشعراء المتقدمين ، كل هذا لم يعد أمره أمر ذوق حر أو غير حر ، اني أجد في هذا الطراز من النقد شيئاً من اليأس يغمر قلب الأستاذ العقاد ، وشيئاً من السوداء يملأ نفسه ، فعالم الشعراء وان كان الاستاذ العقاد لا يرى انهم يستحقون العظمة والخلود أرفع من عالم الحمير وابن هرمة وان كان الاستاذ لا يرى لكلامه براعة وصناعة له حق في الحياة على كل حال .

ولقد لازم هذا اليأس وهذه السوداء قلب الاستاذ العقاد في غير هذه المواطن ، ففي رده على بعض آراء « أناتول فرانس » يرى ان هذه الآراء انما هي من أسخف السخف ، والى القارئ أسخف السخف الذي أشار اليه الاستاذ العقاد .

من رأي « أناتول فرانس » ان الفن الحسن لا يكون الا في السهولة ، ولقد بنى على هذه الأصول في كتاباته كلها ، ولكن الاستاذ العقاد وسع رأي « أناتول » في الفن ، ومدّه الى الحياة كلها ، وعلى هذه الصورة أخرج « أناتول » عن الأفق الفني الذي حصر فيه رأيه ، وصوّر فلسفته الفنية في صورة هزلية وقال :

« إن من اسخف السخف أن يقال أن مسرات الشعر والكتابة والفنون عامة لا تحتاج إلى التأمل والانتباه وانها مطالبة بأن تعرض نفسها على الناظرين ليلتفتوا اليها حين يشاؤن بلا جهد ولا استعداد » .

اني اقتبس من كتب « أناتول فرانس » من عشرين سنة ، ما ينبغي للاذ الفن في نظره أن تكون متعبة للذهن ، ومعنى هذا ان الكاتب يجب عليه ان يعرض في معرض آرائه من القول يسهل فهمه ، وأي اعتراض على هذا الرأي ، فان

« أناتول فرانس » سواء أكان يخوض في أمور الحياة البسيطة أم كان يخوض في أمور الفلسفة او الاجتماع أو الاقتصاد او اشباه هذه المذاهب انه لا يعرض علينا أفكاره الا في معرض سهل ، لقد قرأ كثيراً ولخص ما قرأه وبسط ما لخصه في نمط من القول السهل ، وكما تكون السهولة في تصوير أمور الحياة البسيطة فكذلك تكون السهولة في تصوير الأمور الرفيعة مثل الكلام عن الأخلاق او على الطبائع او على الاجتماع وغير ذلك ، فالكاتب البارع الذي درس هذه الأمور وفهمها حق الفهم لا يجد مشقة في صبها في قالب سهل ، حتى لا يتعب ذهن القارئ أو يجهد فكره ، أفلا تكون البلاغة الا في التعقيد والإبهام والغموض ، أفيكون أبلغ الكتاب أكثرهم استلزاماً لإعمال الفكرة في فهم كتاباتهم ، على ان الواقع قد دلنا على ان الذين خلدوا في أدبنا انما هم الكتاب أو الشعراء الذين سهل فنهم ، وكانت موضوعاتهم على الرغم من هذه السهولة أرفع الموضوعات في الاخلاق والطبائع والاجتماع ، منهم ابن المقفع ومنهم الجاحظ نفسه على شدة رسوخه في اللغة ، فالاستاذ العقاد اما انه أساء فهم كلام « أناتول فرانس » وهذا ما لا أعتقده ، واما انه أوله على وجه يناسب مذهبه في الفن .

لقد أتى الأستاذ العقاد في خلال رده على « أناتول فرانس » على ذكر المتنبيّ والبحتري فقال : ان المتنبيّ مثلاً صعب على من ينتهل البحتري ، اني أحمد الله على ذكره المتنبيّ في مثل هذا المقام ، فالمتنبيّ أكثر الشعراء تعقيداً وابهاماً في بعض شعره ، وأبياته المشتملة على ظلمة التعقيد غير قليلة ، ولو لم يكن في شعره الا هذا التعقيد الذي يتعب الذهن ويجهده لكان في عصرنا هذا نسياً منسياً ، وانما خلد المتنبيّ لسهولته ، وأريد بالسهولة في هذا المقام سهولة أبياته التي سارت في الحكمة والأمثال ، فلو لم ينطق المتنبيّ بلسان كل واحد منا لما خلد ، ولو كان نطق بلسان كل واحد منا وكانت أبياته في الحكمة والأمثال تضطرنا الى جهد الذهن في فهمها لما كان له هذا النصيب من الخلود ، أنه تغلغل الى صميم الحياة واستخرج منها حكمته وأمثاله ، أفكانت هذه الحكمة وهذه الأمثال من المعاني العامة التي يترفع عنها الخاصة ، كلا ، ثم كلا ، انها من أرفع المعاني ، وانها على الرغم من

رفعة شأنها مصورة في أسهل الصور ، وهذا ما جعلها خالدة ، وهذا ما جعل صاحبها في الخالدين ، فالفن لا يكون حسناً إلا اذا كان سهلاً .

من يومين دفع اليّ كتاب الأستاذ العقاد : « تذكار جيتي » لأقول كلمة فيه في هذه المجلة ، واذكر اني وجدت فيه غير ما يجده بعض الناس ، اني وجدت فيه صفاء في الأسلوب ، فهل حطت سهولة فنه من قدره أو من قدر موضوعه ، ان هذه السهولة قد رفعت من قدر الكتاب ورفعت من موضوعه ، والغالب على ظني ان هذا الكتاب كتب بعد ان سلم الأستاذ العقاد من ظلمة اليأس والسويداء .

ش . ج

مجمع الأحياء

عباس محمود العقاد

كتب الأستاذ عباس محمود العقاد رسالته : مجمع الأحياء ، ليوضح نضال الأهواء والمبادئ وليبلغ كنه الحكمة التي تبدأ منها وتعود اليها أعمال الناس ومساعيهم في هذه الحياة ، فالخير والشر في رأي الأستاذ لا ينفصلان وأشرف ما يعرفه الناس من الحق غيرتهم على ما يعتقدون انه الحق ، وقد توسع في مقدمته في شرح أمثال هذه المعاني ، غير ان الأستاذ خرج بعد المقدمة الفلسفية الى فلسفة ممزوجة بالشعر حتى تخف أفكاره على الأذهان ويسهل دخولها على النفوس ، فتصور اجتماعاً للأحياء في غاب في قلب افريقية ، خطب في هذا الاجتماع : الحياة واليمامة والثعلب والقرد والأسد والمرأة والانسان والذئب والطبيعة ، وبين كل حي من هذه الأحياء وجهة نظره في الحياة ، فالواجب الأول والأخير على كل حي في نظر الأسد ان يكون قوياً والأخلاق في نظر القرد انما هي قوة فوق القوة ، ومصالحنا الخاصة في نظر الثعلب أظهر لحواسنا واقرب الى اهوائنا من المصالح العامة الى آخر ما نطق به كل حي من الأحياء في هذا الاجتماع .

لقد كان الأستاذ بارعاً كل البارع في عبارته الأخيرة في الرسالة فبعد ان فرغت الطبيعة من خطابها في مجتمع الأحياء ما كادت تلفظ الكلمة الأخيرة حتى وثب الأسد على الثور وقبض النمر على الأيل وعدا الثعلب وراء الأرنب ووجأ الذئب عنق الشاة والتهم الهر الفأر وجذب الانسان سلاحه يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، والقدر يضحك والحياة تصرخ ، وكلهم ذاهبون على رؤوسهم يصيحون : اسمعوا صوت الطبيعة ، اسمعوا صوت الطبيعة ! .

أجل ! هذه الحياة في صورتها الكاملة فما استطاعت فلسفة او دين او عالم اخلاق ان يخرج بالبشر من أفقهم الحيواني الذي ألفوه من عصور الكهوف والغيران الى أفق اكمل ، ففي الساعة التي تتباين فيها مصالح الأفراد او مصالح الأمم تضيع كل فلسفة وكل دين وكل خلق ، ويظهر الأفراد وتظهر الأمم في حقائق مظاهرها ، في مظاهر عصور الكهوف والغيران ، فيقدمون على أمور اقل ما يقال فيها انها ليست من البشرية في شيء والحروب التي تعاقب البشر عليها اكبر دليل على هذا الأمر الواقع فمذ خلق البشر الى ان يظهر بشر آخرون في تركيب غير تركيبنا وفي غرائز غير غرائزنا يجذب الانسان سلاحه ويضرب ذات اليمين وذات الشمال ، هكذا الحياة وهكذا الطبيعة ، والذين يريدون الحياة خالصة من كل شر ومن كل ألم ومن كل هم يعيشون بعيدين عن الحياة وعن غرائزها فلا نستطيع ان نفهم الحياة حق الفهم الا اذا تصورناها جامعة بين الخير والشر مؤلفة بين الألم واللذة مناسقة بين الحزن والفرح ، اما الفلسفات واما الأديان واما اقوال علماء الأخلاق فما استطاعت حتى هذه الدقيقة ان تقضي على الشر والألم والحزن واظن ان القضاء على هذه الأمور يطول بنا انتظاره .

ش . ج

العرب : تاريخ مقتضب للأميركيين (بالانكليزية)

The Arabs : a short history for Americans

مطبعة جامعة پرنستون ١٩٦٣ ، ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط

الدكتور فيليب حتي (أستاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الأميركية سابقاً وأستاذ هذا الفن في جامعة پرنستون في أمريكا حالياً ومؤلف كتاب (العرب) ذلك السفر الخالد الذي يتفرد في العالم بحث تاريخ العرب منذ وجدوا حتى وقتنا الحاضر بحثاً علمياً دقيقاً ويتميز بالتعمق والصحة والتجرد والتسلسل والشمول وصوت العرب الدوي في أمريكا في الدفاع عن العرب وحقوق العرب ومميزات العرب ومدنية العرب وحق العرب فى فلسطين) علم من أعلام التاريخ في الدنيا وفطحل من فطاحل العلم في امريكا وابن بار للعروبة وصديق مخلص للإسلام .

رأى الدكتور حاجة الامريكيين تشتد ، ولا سيما بعد اشتراكهم في الحرب الحاضرة وخوضهم معارك افريقيا الشمالية ، الى معرفة تاريخ العرب وحاضرهم وأمانيهم فعمد بالاشتراك مع السيد (بايرون دكستر) Mr . Byron Dexter الى اختصار كتابه (العرب) ووضعه في قالب جذاب وأسلوب سهل يمكن للمواطن الأميركي قراءته والاطلاع على تاريخ المسلمين بنواحيه المختلفة من سياسية الى حربية الى اجتماعية الى علمية الى فنية ، الى غيرها من النواحي فتحدث عن العرب قبل الاسلام كما تحدث عن محمد ، رسول الله ، وعن القرآن والدين الاسلامي وعن انتشار الاسلام وعن الخلفاء وعن فتح الأندلس وعن الحياة الاجتماعية وعن امجاد بغداد وعن العلوم والآداب والفنون وعن قرطبة جوهرة العالم وعن أثر مدنية العرب في مدنية الغرب وعن الحروب الصليبية وعن آمال العرب في حاضرهم .

وتظهر في الكتاب بمجموعه قوة ايمان الدكتور حتي القومي وحبه للاسلام ودقة أبحاثه العلمية وقوة حججه وصراحته واخلاصه للمثل الانسانية العليا ويختم الدكتور حتي كتابه بقوله : « العربي الذي ساهم في الماضي بقسط وافر في اغناء العالم علمياً . يستطيع اذن مرة أخرى ان يحتل مكانه في موكب الأمم الديموقراطية المتطلعة الى المستقبل وليس هذا فحسب ولكنه يستطيع ، إذا أعطي الفرصة المناسبة ، ان يساهم من جديد والى حدود أبعد في رقي الانسانية » .

فاخر عاقل

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة

كتاب يقع فى ٤٤ص بقطع كبير مع كلمة الناشر السيد عزة العطار ومقدمة الأستاذ محمد زاهد الكوثري . وفي أول صفحة منه انه تأليف : محمد بن مالك ابن ابي الفضائل الحمادي اليماني من فقهاء السنة في اليمن في أواسط المائة الخامسة للهجرة .

ألف هذا الكتاب لفضح اسرار الباطنية واخبار القرامطة . يتكلم عن أصل مذهبهم وأخبار دعاتهم وانتشارهم في العالم الاسلامي وخاصة اتباع الصليحي القائم باليمن — المترجم في تاريخ ابن خلكان ١/٤٥٩ — ويقول انه كان يسمع عنهم أخباراً لا يصدقها واخيراً رأى ان يدخل مذهبهم ويتحقق جلية أمرهم . وفي (ص ٤٣) ما يفيد انه كان يجتمع بالصليحي فيقول : لقد سمعته مراراً واسفاراً ويذكر المؤلف عن الصليحي واتباعه ابطالهم الطهارة والصلاة والحج والزكاة واباحتهم الاشتراك في النساء . ومما يلفت النظر ان الداخل لمذهبهم يترقى خمس درجات بدفع عن كل درجة اثني عشر ديناراً (ولا يخفى ان هذا ليس في وسع كل انسان) وآخر هذه الدرجات معرفة الاشتراك في المرأة .

ويحرص المؤلف كل الحرص على أن يصدق فيما ينقله عنهم فيقول (ص ١٦) هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالهم والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى عليّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم و كفرهم وجهلهم .

ومن طريف ما تضمنه هذا الكتاب كتاب ارسله ابوطاهر الجنابي جواباً على كتاب للمقتدر بالله العباسي (ص ٣٤ و ٣٥) ومنه نعلم مبلغ نقمة القرامطة على المجتمع العباسي واخلاقه وتقاليده وان ثورة القرامطة كانت نتيجة تخمة المجتمع العباسي بالترف والاستقراطية والاقطاعية فهي ثورة من طبقة العمال والفلاحين ترمي الى هدم جميع الأوضاع الاجتماعية في ذلك العصر حتى الدين . وهي تشبه من جهات عديدة ثورة الشيوعيين في روسيا على قيصرهم . وليس لفظ قرمط اسم شخص كما ادعاه المؤرخون وانما هو وصف معناه الأحمر [1] وكانت القرامطة تدعى

(١) في القاموس القرموط كعصفور : الأحمر من ثمر الغضا كالرمان

المحمرة [1] وشعارهم الحمرة . ولا تزال حتى اليوم منطقة الأهواز في الخليج الفارسي تدعى المحمرة لنزول جيوشهم فيها فالقرامطة معناها المقاتلون الحمر كما يدعى الجيش الشيوعي اليوم بالجيش الأحمر . و كذلك لفظة الدروز معناها طبقة العمال ففي القاموس : وأولاد درزة : السفلة والخياطون والحاكة . وفي هذا برهان على ان ليس للفرق الباطنية عقائد دينية كما يتتبع ذلك الباحثون وجميع الجهود المبذولة من المستشرقين والشرقيين لم تأت بنتيجة واضحة عن عقائدهم الدينية . لأن اصل مذهبهم هو مقاومة فكرة الارستقراطية وحصر الثروة بأيدي الارستقراطيين وهدم الأديان التي يتخذها الارستقراطيون سلاحاً ومبرراً لمبدأ تكوين طبقة الأشراف كالقرشيين وطبقة السفلة كالخياطين والحاكة الذين لا يحق لهم التزوج من طبقة الأشراف، ولذلك فليس من المعقول ان تأتي الباطنية بعقائد دينية جديدة واذا ظهر انا ما يصح ان يسمى عقيدة فانما هي شكوك وتأويلات اضطروا لها لأجل هدم العقائد القديمة لا لتكون عقيدة جديدة . ولو تتبعنا الفرق الباطنية لوجدناها خالية الذهن من العقائد الدينية اللهم الا انتسابها الى الاسلام والا عقائد سطحية قليلة لا ترتكز على أساس صحيح . وهذا نص بعض كتاب زعيم القرامطة الى الخليفة العباسي : فأما ما ذكرت من قتل الحجاج واخراب الأمصار واحراق المساجد .... خبرني أيها المحتج لهم والمناظر عنهم في أي آية من كتاب الله او اي خبر عن رسول الله اباحة شرب الخمور، وضرب الطنبور، وعزف القيان، ومعانقة الغلمان، وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام، واحتووها من وجوه الحرام .

واما ما ذكرت من احراق مساجد الأبرار، فأي مساجد احق بالخراب من مساجد اذا توسطتها سمعت فيها الكذب على الله ورسوله بأسانيد عن مشايخ فجرة بما اجمعوا عليه من الضلالة وابتدعوا من الجهالة . واما تخويفك لي بالله وامرك بمراقبته فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك — اترى اني اجهل بالله منك — وصرفك

---

(١) في البداية والنهاية لابن كثير ٦٣/١١ : ويقال لهم المحمرة نسبة الى صبغ الحمرة شعاراً اصطنعاه لبني العباس ومخالفة لهم .

اموال المسلمين للصفاعنة والصراطين ومنعها عن مستحقها ؟ يدعى على المنابر للصبيان ، ويخطب للخصيان . آلله اذن لكم ام على الله تفترون ، انك لتقلد بعض خدمك شيئاً من امرك فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى ، فأي الأمرين اقرب للتقوى ؟ او ما علمت انه من انقاد اليه نفر من عشيرته ، وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم .

هذا خلاصة ما جاء في هذا كتاب ابي طاهر الجناني . وقد ورد في ص ٣٥ س ٩ (من تسميتك بالمغيث بالله) والصواب بالمقتدر بالله لأنه هو الذي كان في عصر ابي طاهر ويدل على ذلك ما جاء بعده : اي جيش صدمك فاقتدرت عليه . واننا لنشكر للأستاذ الكوثري جهده وحبذا لو لجأ التجار الناشرون للكتب الى امثاله من العلماء لينظروا فيها ويعلقوا عليها فتكون مطبوعاتهم موضع ثقة العلماء والباحثين .

محمد احمد دهمان

تراجم مشايخ الشيخ أبي المواهب الحنبلي

وصفها : من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، تقع في ٦٠ صفحة بأبعاد ٢٢×١٦ سنتيمتراً ، خطها مقروء ، على اسم المترجم اشارة حمراء وعلى هامشها تعليقات قيمة ، عدد أسطرها يختلف بين ٢٥ و ٣٤ سطراً .

ترجمة ابي المواهب: هو ابو المواهب محمد بن عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي ابن ابراهيم بن عمر بن محمد مفتي الحنابلة وشيخ القراء والمحدثين بدمشق ، ولد بدمشق سنة ١٠٤٤ هـ ونشأ بها في كنف والده فقرأ القرآن الكريم وحفظه وجوده وقرأ الشاطبية وشروحها والطيبة والدرة وأخذ العلم عن طائفة كبيرة من شيوخ دمشق ومصر والحجاز وغيرها . وجلس للتدريس والاقراء فانتفع به خلق وتوفي سنة ١١٢٦ هـ ودفن بتربة مرج الدحداح بدمشق .

شيوخ أبي المواهب : قال أبو المواهب : وقد التمس بعض المحبين الموفقين من هذا المذنب الحقير الفقير الكسير المسرف على نفسه الراجي رحمة ربه ولطفه في الدنيا والآخرة وما بينهما وحين يوضع في رمسه ان أذكر له تراجم مشايخي وما قرأته عليهم وما أخذته عنهم دراية ورواية بأي نوع من أنواع الاجازة فأجبته لذلك سائلاً من الله التوفيق والرحمة . ثم شرع ابو المواهب في ترجمة المشايخ الآتية :

والده عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي بن ابراهيم بن عمر ابن محمد الحنبلي الأزهري الدمشقي المحدث المقرئ الأثري الشهير بابن البدر ثم بابن فقيه فصة [1] ، محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن محمد الخباز المعروف بالبطنيني الدمشقي الفقيه الشافعي المحدث ، منصور بن علي السطوحي المحلي نزيل مصر ثم القدس ثم دمشق الشافعي ، محمد بن بركات بن مفرج الشهير بالكواقي الحمصي الدمشقي الشافعي العالم الصالح ، ابراهيم بن منصور المعروف بالفتال الدمشقي البارع في علم الكلام والمعاني والبيان والمنطق وغيرها ، محمد بن أحمد بن علي الخلوتي الفقيه الحنبلي والعالم المحقق ، محمد بن بدر الدين البعلي الأصل الدمشقي الحنبلي الذي انتهت اليه رئاسة العلم بالصالحية ، محمد بن احمد بن محمد العمري المعروف بابن عبد الهادي الدمشقي العالم بالعقائد والتصوف ، محمد بن محمد بن احمد الميثاوي الدمشقي الشافعي العالم في جميع العلوم الشرعية والعربية والأصول والعقائد والمنطق ، محمد بن كمال الدين ابن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة نقيب الأشراف في الشام ورئيس وقته علماً وجاهاً ، رمضان بن موسى بن احمد المعروف بابن عطيف الدمشقي الفقيه الحنفي الأديب الراوية للشعر وأيام العرب وأخبار الملوك ، رجب بن حسين بن علوان الحموي الأصل الدمشقي الميداني الشافعي الفرضي والبارع في العلوم الرياضية كالحساب والفلك والهيئة والموسيقى ، محمد بن احمد بن محمد بن حسين بن سليمان المعروف بالاسطواني الدمشقي الفقيه الحنفي الواعظ الاخباري ، محمد بن تاج الدين بن احمد المحاسني الدمشقي الحنبلي الخطيب العالم الورع ، محمد البابلي القاهري الأزهري أحد الأعلام في الحديث والفقه وأحفظ اهل عصره للمتون والشروح وأعرفهم بجرحها وصحيحها وسقطها ورجالها ،

(١) بفاء مكسورة وصاد مهملة قرية ببعلبك وان أحد أجداده كان يتوجه ويخطب فيها فاشتهر بها .

اسماعيل بن عبد الغني بن اسماعيل بن احمد بن ابراهيم النابلسي الأصل دمشقي المولد العلامة الامام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ والأدب وصاحب المصنفات الكثيرة ، نجم الدين محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي الشافعي شيخ الاسلام ومؤلف الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ولطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر ونظم الأجرومية وشرح القطر لابن هشام وغيرها ، محمد بن سليمان الفاسي المغربي نزيل مكة المحدث القارئ ، عبد السلام بن ابراهيم بن ابراهيم المصري المالكي الحافظ شيخ المالكية في وقته بالقاهرة ، علي بن ابراهيم بن علي القبردي الدمشقي الصالحي الشافعي المحيط بالعلوم الشرعية العالم بالحكمة والمنطق والهيئة والحساب والجبر والمقابلة والارتماطيقي والخط والموسيقى والمساحة والتفسير واسماء الرجال والتاريخ وأيام العرب واشعارهم وغيرها ، سلطان بن احمد بن سلامة بن اسماعيل الأزهري المصري الشافعي الحافظ القارئ ، علي الشبراملسي الشافعي القاهري العالم المحقق ، محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد علان ابن عبد الملك بن علي المفسر المحدث المقرئ صاحب المؤلفات الكثيرة منها ضياء السبيل الى معالم التنزيل ونظم عقيدة النسفي ونظم مختصر المنار وغيرها ، محمد نجم الدين الفرضي المحدث الفقيه ، محمود الكردي نزيل دمشق العالم المحقق ، رمضان بن عبد الحق العكاري بن عبد الحق الدمشقي الفقيه الحنفي الأصولي المحدث ، ايوب بن احمد الخلوتي الحنفي ، عيسى بن محمد بن احمد بن عامر جار الله المغربي نزيل المدينة المنورة ثم مكة امام الحرمين الشريفين ، يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى الجزائري المالكي المحدث المفسر الأصولي المتكلم ، غرس الدين بن محمد بن احمد بن محمد بن غرس الدين ابن محمد بن احمد بن غرس الدين الأنصاري الفقيه الشافعي المحدث الأديب مؤلف كشف الالتباس فيما خفي على كثير من الناس من الأحاديث الموضوعة ، أحمد ابن محمد بن يونس القشاشي العالم الكبير ، خير الدين بن احمد بن نور الدين الأيوبي الفاروقي الرملي المفسر المحدث الفقيه اللغوي ومحمد بن قاسم بن اسماعيل البقري المصري الأزهري .

عمر رضا كحالة

آراء وانباء

بيان رئيس المجمع في جلسة الافتتاح

المعقودة في ٣٠ تشرين الأول سنة ٩٤٤ . بعد العطلة الصيفية

سادتي الأفاضل :

في هذه الجلسة ينتهي المجمع من عطلته الصيفية ويستقبل سنته المجمعية (تشرين الأول ٩٤٤ - حزيران ٩٤٥) ويبدأ أعماله متكلاً على الله وعلى سعي أعضائه الكرام ومؤازرتهم ، راجياً ان يبلغ من اغراضه في هذه السنة اكثر مما ادرك في السنة الماضية ، فينجز ما كان شرع به من الأعمال ، ويتناول ماينوي معالجته .

ولئن كانت العطلة الصيفية مدة راحة واستجمام للمجمع ، فلقد امتازت هذه العطلة بكثرة العمل المتواصل مدة اشهر الصيف كلها . فهيئت بها اسباب المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ، وعقد كما تعلمون في الخامس والعشرين من شهر ايلول ، وشهده من اعلام العلم والأدب نيف واربعون عالماً وأديباً ، واستمر اسبوعاً اشتركت بالاحتفاء به جميع البلاد السورية ، وأقيمت فيه ست حفلات خطابية افتتح أولاها فخامة رئيس الجمهورية بنفسه ، وكان من قبل رحب بمشروع عقده واعاره أوفر نصيب من عنايته وعطفه ، كما احتفت الحكومة به وساعدت على تحقيقه ، حتى كان أعظم حادث أدبي في تاريخ الآداب العربية .

هذه الجمهرة العظيمة من العلماء والأدباء احتفت بها دمشق والمحافظات السورية ، فأقيم في دمشق ثلاث حفلات خطابية شهدها مئات من علية القوم ومثقفيهم رجالاً ونساء ، وحفلة في المعرة على قبر أبي العلاء أظهر فيها معالي السيد حكمت الحراكي من ضروب الكرم والحفاوة ما يعجز شكره اللسان والقلم ، وحفلة في حلب ، وحفلة في اللاذقية ، فضلاً عن مظاهر الحفاوة والمبالغة في كرم الضيافة في المحافظات التي لم يعقد بها حفلات خطابية كحمص وحماة ، وبذلك زار الضيوف قسماً عظيماً من البلاد السورية وكانوا حيثما مروا ووقفوا وحلوا موضع الاكرام والتجلة . وظهرت

البلاد بحلة بديعة من البشر والبشاشة ، وأقامت الدليل على تقدير أهلها للعلم والادب ورجالها . ولقد تلي في المهرجان من حر القول نثراً وشعراً ما تقر به عين الأدب دع عنك ما بعث به من لم يتيسر لهم الحضور .

وانه لمن دواعي الفخر والغبطة ان ينجز المجمع طبع الف نسخة من رسالة الملائكة لأبي العلاء ويتحف بها ضيوف المهرجان بعد ان حققها وخرجها وعلق عليها وشرح مواطن الغموض فيها زميلكم العلامة الأستاذ سليم الجندي وهي النسخة الوحيدة في العالم ، وما طبع من قبل انما هو مقدمة الرسالة ليس غير ، وكأن الدهر جاد بها هدية للمعري في مهرجانه ، بعد ان ضن بها قروناً عديدة .

هذا ما قام به المجمع في العطلة الصيفية . أما ما ينوى عمله في سنته هذه فأجمله لكم على سبيل الاقتراح ، حتى اذا وافقتم عليه مضى المجمع في تنفيذه .

١ — احداث أربع لجان من أعضاء المجمع العاملين ، تيسيراً للأعمال العلمية ، واستفادة من ثمرة الاختصاص وهذه اللجان هي : اللجنة اللغوية ، اللجنة الأدبية ، اللجنة التاريخية ، اللجنة العلمية ، وبذلك تتولى كل لجنة تهيئة ما يعود اليها من الموضوعات ثم تعرضها على هيئة المجمع العامة للمناقشة والفصل ..

٢ — جري المجمع في الماضي على جعل محاضراته العامة أسبوعية ، لقلة المحاضرات التي كانت تلقى خارج المجمع ، فكان يتساهل في بعض المحاضرات التي لا تتقيد بأغراضه . فأما وقد تعددت النوادي الأدبية والجمعيات الثقافية وأصبحت المحاضرات فيها مألوفة ، فنرى ان تكون محاضرات المجمع بعد الآن متقيدة بأغراضه المنصوص عليها في نظامه ، وان يتحرى في تجويدها وجعلها من البحوث العلمية الدقيقة ، ولجعل ذلك ممكناً نرى ان تكون محاضرات المجمع العامة في كل اسبوعين مرة مدة موسم المحاضرات .

٣ — خلا عدد من كراسي اعضاء المجمع المراسلين بوفاتهم رحمهم الله . فنرى ان تملأ هذه الكراسي في هذه السنة . ويبذل الجهد في انتقاء الأكفياء ممن توفرت بهم الشروط المذكورة في انتخاب الأعضاء .

٤ — تعلمون ان الخطب والبحوث والقصائد التي تليت في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري من خيرة ما جادت به قرائح اعلام الأدب المعاصرين ، وهي بجملتها أوسع مجموعة عن ابي العلاء في كثير من نواحيه ، فضلاً عما فيها من الجمال والسحر . وجمعها في كتاب واحد وتمثيلها للطبع تخليداً لهذا المهرجان الذي عقده المجمع ، وذكرى بر الخلف بالسلف ، وصورة عن الأدب المعاصر تفيض بالاحسان والامتاع للأجيال الآتية ، لذلك نرى ان يتولى المجمع جمع مواد هذا الكتاب وطبعه في هذه السنة ، وتقدر صفحاته بأربعمائة وقد تبلغ خمسمائة .

٥ — ذكرت لكم في بيان جلسة الختام في شهر حزيران الماضي شيئاً عن دار الكتب الظاهرية والآن اذكر لكم ان جزأ من فهرس مخطوطاتها قد تهيأ للطبع وها كم نبذة يسيرة عنه ، يقدر فهرس دار الكتب بثمانية مجلدات وقد اعد الآن منها مجلد قسم التاريخ الذي يبلغ عدد كتبه ستمائة مخطوط وصفت على سبيل البسط والشمول في تعريف الكتاب ووصفه وخصائصه وتعريف مؤلفه وما الى ذلك من شؤون التفصيل وقد اعد الورق لطبع هذا الجزء ونرجو ان يكون الشروع قريباً . وتقدر صفحاته بأربعمائة صفحة من قطع مجلة المجمع .

هذا ما سنأخذ بطبعه في هذه السنة ان شاء الله عدا الكتب الثلاثة التي سبقت الاشارة اليها في بيان حزيران وهي تاريخ الحكماء وديوان ابن عنين والرسالة الجامعة . ونرجو ان تكون أعمالنا اكثر من أقوالنا بتوفيق الله تعالى .

قبر معاوية بن أبي سفيان

قرأت في هذه المجلة (م ١٩ ص ٤٣٤) مقالة في قبر معاوية بن أبي سفيان مؤسس أعظم دولة عربية . وكنت أعتقد ان ضريحه في حارة النقاشات . والبحث في هذا الشأن كثير ينحصر في ثلاثة آراء : الرأي الأول ان الضريح في الحائط القبلي من جامع دمشق هو بحث ضعيف قليل الإسناد سواء بالنقل أو بالواقع لأن العرب ما اعتادت دفن موتاها في الحيطان حتى ولا الروم كانت تفعل ذلك وعند وفاة معاوية كان الجامع القبلي بيد النصارى من أهل دمشق والقسم الشرقي فقط بيد المسلمين ولذلك لا يعقل اتباع هذه الرواية . الرأي الثاني : يقول بالدفن قرب الجامع أو ما بين مساكن الأمويين التي كانت جنوباً وشرقاً جنوبياً وأشهر هذه المساكن الدار الخضراء أو ما بين حارة النقاشات وحمام القاري والشارع المستقيم أو مأذنة الشحم الآن . والمتواتر ان منازل أمراء المسلمين وحكامهم في ذلك الزمان كانت في تلك البقعة وبهذا القسم يوجد الآن ضريحان الواحد لمعاوية الصغير والثاني لمعاوية الكبير ، هذا حسب الروايات المتواترة على ألسن العامة . والبرهان على وجود ضريح معاوية الكبير في هذا القسم ضعيف ولم يعتمد عليه كثيراً . والرأي الثالث : القول ان ضريح معاوية هو في مقبرة الباب الصغير وهذا الوارد في أخبار كثيرة وهو ما اتجه نحو القول به الأمير جعفر الحسني وأنا ارغب في تصديقه من وجهة نظرية ولكنني عملي وذلك لأن عندنا الآن جميع الوسائل الآلية التي تمكننا من السير في هذا الموضوع الى آخره ولذلك اؤيد اقتراح الكاتب البحاثة وتشييد ضريح فخم يليق بمكانة هذا الملك العظيم ولكنني أزيد هذا وهو المقصود من مقالي الآن :

منذ نحو مائة عام كان مقام أهل البيت بسيطاً يشبه ما ذكر عن ضريح معاوية الى أن قام أحد آل المرتضى وأجرى حفريات على عمق اربعة امتار من سطح التربة الحاضر فظهر له ضريح السيدة سكينة رضي الله عنها وذلك التابوت الخشبي المنقوش نقشاً بديعاً فكان تحفة للناظرين وبركة للزائرين وهو أجمل ما وجد من العصر

الأول في تاريخ الاسلام . فبنى له مقاماً حديثاً وقبة واسعة يزوره المسلمون وغيرهم من سياح الافرنج .

هذا يقول هنا ضريح معاوية وذلك يخالفه ويبقى الموضوع بحت الدرس ربثما يأتي الناس من اميركا واوربا ويحفرون منقبين باحثين عن آثار لا تعد شيئاً بالنسبة لوجود ضريح معاوية وما قد يوجد معه أو يقربه من التحف أو النقوش واذا وجد التابوت وحده سواء كان حجرياً أو خشبياً فقيمته التاريخية لا تقدر بثمن . واذا فرضنا ان بقعة يلاحظ ان فيها بعض القبور فتحفر فوقها حفرة سعتها ٣×٣ أمتار وعمقها بالقليل ما يبلغ سبعة أمتار أو مجموع تكعيبها ٦٣ متراً مكعباً من التراب المادي وقد تكلف الآن حفراً وردماً وتدعيماً نحو الف ليرة سورية فاذا صحت عزيمة اولي الأمر على بحثها فانني مستعد لتقديم هذه القيمة والبدء بالعمل .

ان مستوى تربة باب الصغير كان في زمن معاوية على مستوى أضرحة آل البيت أي على عمق اربعة أمتار عن المستوى الحالي تقريباً وكان شكل القبور شكلاً ما وجد مماثلاً له بالهندسة أو بالوضع وطبعاً يكون قبر معاوية افخم واعظم لأنه ملك ذلك الزمان والذي أخذ عن الروم أشياء كثيرة مما وجد حسناً ومفيداً لرفع مجد العرب واعلاء شأنهم بين الأمم .

أما القول بأن العباسيين نبشوا قبور آل أمية واحرقوا عظامهم فأظن ان ذلك مردود عقلاً ولكن قد يحتمل درس قبورهم وشواهدهم أو قبابهم . لذلك يحتمل وجود قبر معاوية الكبير أو الصغير في الموضع المحكي عنه في تربة الباب الصغير .

يوسف دبوس

بعض الكتب المخطوطة التي في حيازتنا

١ — القرآن الكريم بخط جيد جداً متميز

٢ — الصحيفة السجادية 〃 〃 〃 〃

٣ — كتاب لوامع أنوار القلوب في جوامع أسرار المحب والمحبوب في التصوف

تأليف القاضي ابي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٩٤ مجهول التاريخ لذهاب أوله وآخره

٤ — معالم الدين في فقه آل يسين في الفقه الجعفري تأليف شمس الدين محمد ابن شجاع الأنصاري تاريخ كتابته ٨٣٢ لم يطبع ناقص من آخره

٥ — فرائدالقلائد مختصر شرح الشواهد تأليف محمود العيني قوبل بأصله سنة ٨٦٧

٦ — مختلف الشيعة في أحكام الشريعة في الفقه الجعفري تأليف الحسن بن يوسف الحلي المعروف بالعلامة كتب بعض اجزائه سنة ١٠٩٥

٧ — المغرب في اللغة للمطرزي كتب سنة ٩٦٨

٨ — مجموعة فيها (ا) عجائب احكام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ب) عنوان المعارف وذكر الخلائف تأليف الصاحب بن عباد كتب سنة (٤٢٠) (ج) رسالة الى احمد بن أبي دؤاد في فضل العلم كتبت سنة (٣٤٠) (د) الأدب الصغير لابن المقفع (ه) ذخائر الحكمة لابن دريد الأزدي (و) مختصر من كتاب جاويدان خرد في حكم الفرس والهند والروم والعرب تأليف مسكويه

٩ — رجال رواة الإمامية للحسن بن داود الحلي

١٠ — ديوان السيد المرتضى تاريخ كتابته (١١٣٩) ومعه قطعة من ديوان ابي فراس الحمداني

١١ — اليتيمة للثعالبي

١٢ — اجزاء من شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد الرابع والخامس والسادس تاريخ كتابة الرابع منها ٨٧٧

١٣ — أمل الآمل في علماء جبل عامل كتب عن نسخة مسودة المؤلف سنة ١١١٨.

١٤ — ديوان المتنبي نسخة قديمة ذهب قليل من أولها وآخرها

١٥ — مجموعة فيها (ا) شرح الفصول النصيرية للعلامة الحلي تاريخ كتابته ١١٤٦ (ب) الرسالة الجوابية لابن راشد البحراني (ج) شرح واجب الاعتقاد للعلامة الحلي والشارح عبد الواحد بن الصفي النعماني والثلاثة في علم الكلام

١٦ — شرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري بخط قديم وورق قديم جيدين

محسن الأمين الحسيني

بين العامية والفصحى

في مجلة المجمع (م ٨ : ص ٣٥) بحث طريف عن العامية وعلاقتها بالفصحى ومثل هذه الأبحاث لا تخلو من فائدة ولهو كما قال الكاتب ، ولكن العامية تختلف باختلاف الأقاليم والأماكن ولعل الأفضل في مثل هذه الأبحاث ان يشير الكاتب الى مثل هذا الخلاف إذا استطاع ، وإلا ففي بحث الأستاذ مآخذ ربما كان سببها اختلاف العامية باختلاف الأماكن وربما كان غير ذلك .

ورد في صفحة ٤٠ تقول العامة فاجر أي بذيء اللسان وهو في الفصيح العاهر الفاسق . ولكن الفاجر في القاموس المتمول — ولعل اللغة العربية لم تسبق إلى ابتداع هذا المعنى الرائع — وهو الساحر والفاسق والكاذب والكذاب والعاصي والمخالف الخ فكأن العامة لم تبعد في استعمالها عن الفصيح كثيراً .

وفي صفحه ٤١ ان العوام يقولون هدت الأم لولدها من حدت والحداء معروف ، ولعلها من هدهدت الأم لولدها بمعنى حركته لينام .

ويرى ان هص مقلوبة عن صه ، والعوام عندنا يقولون هس بالسين وهي زجر للغنم

وجاء « يقولون عنفص بمعنى طغى وتجبر فهو محرف عن عصف ، ولكن أكثر العوام في سوريا ولبنان يستعملون بمعناها الفصيح ، والتعنفص في اللغة الصلف والخفة والخيلاء والزهو ، وأكثر ما تستعمل في العامة للفرس يرفس فلا يمكن من ظهره وليس في عمل الفرس طغيان وتجبر بل زهو وصلف .

وجاء « ومن القلب عند العوام تولم في لائط بمعنى ملتصق لاطي » ولكن لطي في القاموس لزق بالأرض فهي فصيحة صحيحة .

وجاء « ويقول العوام جفل عوض أجفل » وفي القاموس جفل الظبي جفولاً أسرع وذهب في الأرض كأجفل فكلاهما فصيح صحيح .

وورد في صفحة ١٥٥ « فلان روم والصواب رومي » أما العامة فتستعمل رومي بمعنى اليوناني فقط ولعل الصواب ارثوذكسي وكاثوليكي لأن الكاثوليك أيضاً روم . ولعل الأصل ان يقال رومي ارثوكسي ورومي كاثوليكي ، ولكن حذفت

كلمة رومي وخصصت كلمة ارثوذكسي بالروم الارثوذكس كما خصصت كلمة الكاثوليكي بالروم الكاثوليك والا فهنالك السريان الارثوذكس والأرمن الأرثوذكس والأقباط الأرثوذكس يقابلهم أسمياؤهم الكاثوليك في الجانب الآخر .

وجاء في صفحة ١٥٦ « ومن مخالفة الصفة عند العوام مقلي عوض مقلو أما مقلي فمعناها في الفصيح مبغض » ولكن قلاه بقلبه في الفصيح أنضجه في المقلى فهي فصيحه كقلا يقلو .

وجاء في صفحة ١٥٥ « ان العوام يؤنثون النار وهي مذكرة » ولعل هناك خطأ مطبعيًا لأن النار مؤنثة في الفصيح .

وفي صفحة ١٧١ « كرعت فلان أي طاردته وتبعت أثره كأنهم يريدون انه تتبع كراعه وهو عظم ساقه ، ولكن العوام في أواسط لبنان يقولون كمرت فلان لا كرعته وهي من قعرته ، أي أقصيته أما كرع فيستعملونها بمعنى شرب الكاس دفعة واحدة . وفي القاموس كرع في الماء تناوله بفيه من غير أن يشرب بكفيه ، وأظن ان أكثر العوام في سوريا ولبنان يقولون كمرته لا كرعته ، وأظن أيضًا ان الذين يقولون كرعته قد قلبوها عن كمرته .

وجاء « ان عوام سوريا ولبنان وفلسطين ومصر يلفظون صوت القاف كالهمزة ما عدا أهل القرى في إقليم اللاذقية » والذي نعرفه نحن ان دروز لبنان يلفظونها قافًا مفخمة . وان مئات من القرى في لبنان وحوران والجبل العربي يلفظونها قافًا ، لا قرى إقليم اللاذقية فقط .

ومن الكلمات التي يختلف في لفظها العوام مما أورده الأستاذ مرقص عندم وعندن وعندهن ، ومبيوع ومبيع ومباع ، وعمال نكتب وعما نكتب ، وتملكز ، وتقلز وتجلس ، ويمحل ويؤمحل ، وعميق وغميق ، وهس وهص ، وغرغر بالماء ، ورغرغت عيناه بالدموع ، ولقب ولبق ، ويحترق ويحرق ، والحس ولمس ، وخربط وخبط ، وتصنت وتنصت ، الخ مما يستعمله بعض العوام فصيحًا صحيحًا .

وينعي الأستاذ مرقص على الذين يكتبون الاسماء التركية بالتاء المبسوطة ،

ولعل الأفضل أن تكتب الأعلام التركية بالمبسوطة والعربية بالمربوطة فعصمت اينونو ، وعصمة البيروتي فما رأي المجمع .

وليست المسألة مسألة تاء بل تتعداها إلى أصول اللغة والأعلام العربية المرتجلة في لغتنا لا معنى لها في صلب اللغة تشتق منه ولكنها عربية لا تمنع من الصرف إذا خلت من العلل الأخرى ، أما الأعلام المنقولة عن الأعاجم فهي أعجمية يمنع صرفها ولو كان للفظها معنى في صلب اللغة ، وعلماء اللغة يمنعون يعقوب من الصرف لأنه منقول عن العبرية مع أن اليعقوب في اللغة الحجل وهم يمنعون كل يعقوب أعربياً كان المسمى أم عبرياً .

وكميل شوطان وأميل زولا ممنوعان من الصرف بالعجمة وليس فينا من يصرف كميل وأميل ولو سمى بهما أولاده مع ان للفظهما معنى في اللغة غير العلمية .

وإذا أردنا ان يكون شوقي وفوزي وفتحي اسماء عربية فالصحيح صرفها وهي ممنوعة ، وما رأي المجمع في عصمت أو عصمة ، ورفعة أو رفعت أبالعجمة يمنعها أم بتاء التأنيث ؟

حنا نمر

العربية والمستعربون

انني لست مستشرقاً ولا أستاذاً للغة العربية بل قد توصلت الى تعلمها اضطراراً عن طريق لم يكن لي بد منها . ذلك انني كنت مفتقراً الى معلومات لم استطع ان ابلغها من المستشرقين ولم يكن لي سبيل سوى دراسة اللغة العربية حتى أنال ما أريد بمجهود نفسي .

لا يكفي ان أقول انني لست مستشرقاً بل ينبغي ان أضيف انني حرب على المستشرقين إذ ان اكثريتهم تسيء بالدارج ظناً وتعتقد ان الناطقين بالضاد لا يعرفون لغتهم الخاصة وبناء على ذلك يصرون على اعتبار اللغة العربية لغة ميتة ولا طائل من مجادلتنا إياهم لأنهم في واد ونحن في واد .

وانني متيقن انه يجب على المستشرقين ان يدرسوا الآداب العربية الحديثة كالآداب القديمة اذا هم أرادوا ان يفهموا إخوانهم العرب فهماً حقيقاً وان تحسن العلاقات بين الشرق وبين الغرب ·

يفتقر العالم الى تراجمة هم في هذه الحال المستشرقون واذا ابى هؤلاء التراجمة ان يقرأوا الكتب الحديثة التي تفسر وحدها الشرق الناهض فانهم بذلك ينتهون رسالتهم ·

يجب على المستعرب الاّ يدرس القرآن الشريف وكتباً قديمة أُخرى فقط بل عليه ان يتعرف إلى آداب الوقت الحاضر التي تحمل العبء الحي في تطور اللغة وتبين طموح الشرقيين ومقاصدهم وآمالهم وأوجالهم وتوق قلوبهم الى العلى ·

(الولايات المتحدة) سرطون

الفهرس العام لمواد المجلد التاسع عشر

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

لكتاب مقالات المجلد التاسع عشر

منسوقًا على حروف الهجاء

فهرس الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد التاسع عشر

الصفحة

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

